أمريكا اللاتينية والبرازيل

بحوث

في اللغة والجغرافيا والتاريخ

مع الإشارة إلى جذور الصراع العربي الإسرائيلي

الدكتور أحمد مصطفى أبو الخير

جامعة المنصورة

١٤٢٦ هـ

٢٠٠٦ م

www.geocities.com/abu_elkher

Abu_elkher@yahoo.com

في هذا الكتاب

حديث عن أمريكا اللاتينية ، هذا العالم الجديد الذي اكتشفه الأوربيون عقب سقوط غرناطة ١٤٩٢م ، وكيف عانى الإنسان في ذياك المكان بشكل ليس له نظير في الدنيا قاطبة ، ثم بحوث في اللسان، كيف اختفت لغات أصحاب الأرض الأصليين واندرست ، وما درست ، وفرضت لغات أوربية أخرى هن الأسبانية والبرتغالية ، الأخيرة في البرازيل والأولى في باقي أمريكا اللاتينية ، واستأثرت كندا والولايات المتحدة بلغتين هن الإنجليزية والفرنسية ، وفى الكتاب أيضا بحوث عن اللغة العالمية وعن الترجمة وضرورتها والجدلية القائمة بينهما ، ثم ترجمة لدراسة عن لغة المهاجرين اللبنانيين في البرازيل والتداخل بين العربية والبرتغالية على ألسنة هؤلاء المهاجرين ، وقد استطعنا من خلال الدراسة المترجمة إبداء بعض الملاحظات التقابلية بين العربية والبرتغالية .

وقد خرج من رحم هذه المعاناة أدب لاتيني لا نظير له ، ومن ثم أعطينا اقتباسات من هذا الأدب الفائق المتفوق والمتميز ، ثم من وحى الأحداث الساخنة في لبنان يوليو وأغسطس ٢٠٠٦ أشرنا إلى أصل الحكاية ، ولماذا يضرب لبنان ، وأخيرا وضعنا صور بعض الأسماء التي وردت في الكتاب ، تلتها خرائط للأماكن التي تحدثنا عنها .

د. احمد مصطفى أبوالخير-
أستاذعلم اللغة بجامعة المنصورة
رئيس قسم اللغة العربية بتربية دمياط
www.geocities.com/abu_elkher
abu_elkher@yahoo.com

تقدمة

كتبها أ. د. أحمد مصطفى أبو الخير

تتضمن هذى التقدمة عدة نقاط :

- أمريكا اللاتينية ، المكان والإنسان والزمان واللسان .
- الجالية العربية في أمريكا اللاتينية .
- البرازيل ، سيرة ذاتية (بطاقة تعريف) .
- الترجمة واللغة العالمية .
- نظرات تقابلية بين العربية والبرتغالية .

فماذا في الجعبة عما سبق ؟ في الجعبة كثير وكثير ، لكنا نقتطف منها ما يلي :

أمريكا اللاتينية

المكان والإنسان والزمان واللسان

وهنا حديث في الجغرافية والتاريخ ، حول هذا الجزء من العالم الذي عانى ما لم يعانه ركن آخر من أركان دنيانا على اتساعها ورحابتها ، كيف ؟ هذا طرف من الحكاية ، من البداية وصلا بها إلى النهاية .

ونبدأ الحديث بالمساحة والموقع ، أمريكا اللاتينية جزء من قارتين عرفتا حديثاً قبل خمسة قرون تقريباً ، أو قل اشتهرتا ، أو عرفتا لدى الداني والقاصي ، ولنا عود لهذي النقطة ، لكن القارتين ، أمريكا الشمالية وسميتها الجنوبية مساحتهما (٤٢٤٢٠٠٠) كم ، للأولى (٢٤٢٤٩٠٠٠) وللثانية (١٧٧٩٣٠٠٠) .

فما نصيب أمريكا اللاتينية من هذه الملايين من الأراضي الشاسعات ؟ إذا استثنينا مساحة كندا والولايات المتحدة (٩٩٧٠٠٠٠ + ٩٨٠٩٠٠٠) = (١٩٧٧٩٠٠٠) – (٤٢٠٤٢٠٠٠) يتضح لنا أن مساحة أمريكا اللاتينية هي (٢٢٢٦٣٠٠٠) البرازيل وحدها تقطتع من هذه المساحة الأخيرة ٨٥١٢٠٠٠ إن هذه الدولة وحدها تحتنك معظم مساحة أمريكا اللاتينية ، قرابة ثلث المساحة .

تتميز الأمريكتان بوقوعها بين محيطين عملاقين ، من الشرق المحيط الأطلسي الذي يربط القارتين بإفريقية وأوربة ، وتبلغ مساحة الأطلسي فقط (٨٢٢١٧٠٠٠) كم ، ثاني أكبر المحيطات في المعمورة ، بعد المحيط الهادي (١٦٥٣٨٤٠٠٠) الذي يفوق المحيطات طرا ، فمساحته وحده تزيد عن مساحتي المحيطين الهندي والأطلسي .

أما الأمريكتان من الشمال فيقبع المحيط المتجمد الشمالي ، وإن كان الأصغر في مساحته بين المحيطات (١٤٠٥٦٠٠٠) كما أنه يمتاز عنهما بتجمده ،

وهو ما يتيح للمشاة والدواب أن يسيروا عليه – كما سيأتي – أما أقصى الجنوب فتقع القارة القطبية الجنوبية ، مساحتها (١٣٣٣٨٠٠٠) كم .

أما طرق الوصول إلى القارتين فكانت الشمال ، شرقه ثم الغرب ، وأخيراً من الشرق عبر الأطلسي ، حيث جاء الاستعمار الأوروبي بقضه والقضيض ، وهاك التفاصيل :

١- الطريق الأول :

تقترب أمريكا الشمالية من قارة (أوراسيا) من جهة الشمال الشرقي ، ومن ثم كانت نقطة الاتصال الأولى بين الأمريكتين وبين العالم القديم ، وبرغم وقوع هذه النقطة في نطاق القطب الشمالي المتجمد إلا أنها مثلت المعبر والمنفذ للقارتين .

ومن ثم كانت الهجرات الأوروبية الأولى من هذا الطريق ، لقد ساعد قرب المسافة فضلاً عن مجموعة من الجزر في المحيط القطبي على هجرة شعب (الفايكنج) في شمال غرب أوربة ، فكانت هاتيك الجزر في المحيط نقطة وثوب مواتية إلى القارة الأمريكية الشمالية ، وكان هذا في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، حيث أقام (الفايكنج) ([1]) حتى القرن الثالث عشر – أي حوالي أربعة قرون – وذلك من خلال استعمارهم للساحل الشرقي لجزيرة جرين لاند (الأرض الخضراء) .

صفوة القول أن المعمرين الأُوَل للأمريكتين جاءوا من البوابة الشمالية الشرقية ، حيث تتصل أمريكا الشمالية بأوربة عبر مجموعة جزر ، مثل (فارو – أيسلندة – جرين لاند) وهذه الأخيرة هي أكبر الجزر مساحة في العالم على

١- لمزيد من المعلومات عن الفايكنج (الإسكندنافيين القدماء) انظر رسالة ابن فضلان ، بيروت ١٩٩٤ ، ص ٧٧ .

الإطلاق ، مساحتها (٢١٧٦٠٠٠) كم ، و هي مثل جز يرة فارو تابعة للنرويج ، أما أيسلندة فهي دو لة مستقلة ، حاضرتها (ريكافيك) مساحتها (١٠٣٠٠٠) كم سكانها أقل من ٣/١ مليون نسمة .

تجدر الإشارة إلى أمرين :

أ- ذكر عالم الأصوات الإنجليزي (أكّونر) في كتابه الشهير Phonetics (١) أن أبسط نظام للحركات في لغات العالم هو :

u   i

a

أي (الكسرة i – الضمة u – الفتحة a) وهو ما يصدق على العربية الفصحى ، وعلى لغة (اسكيمو جرين لاند) هذا ما نص عليه أكونر ، ترى ما الذي جمع بين لغتنا وبين لغة الإسكيمو في هذه الجزيرة النائية عن عالمنا العربي ؟ ترى مجرد مصادفة ، أم أن تأثير لغتنا ذ هب بعيدا بعيدا حتى و صل إلى هذا الجزء القصي البعيد عن وطن بنى يعرب ، لعل لنا عودا إلى مناقشة ما سبق .

ب- بل إن تجمد هذه المياه معظم الو قت يمكن أن يشجع على السير عليها وعبورها ، أو العبور بين جزرها .

٢- الطريق الثاني :

الذي سلكه البشر للوصول إلى الأمريكتين هو مضيق بيرنح إلى الشمال الغربي من أمريكا الشمالية ، حيث يربط هذا المضيقُ الطرفَ الغربيَّ الشمالي للقارة الأمريكية

١- ص ٢١٦ .

بأقصى الشرق الروسي من سيبريا الروسية ، في أقصى شمال شرق آسيا ، أو قل بفصل المضيق بين الجزء الروسي وبين ألاسكا التابعة للولايات المتحدة .

ومن أين لهذه الأخيرة بهذي (الألاسكا) ؟

يحكى أن الولايات المتحدة اشترتها من روسيا القيصرية – سنة ١٨٦٧ م – بكم يا طويل العمر والقامة ؟ بـ ٧.٥ مليون دولار أمريكي ، كم مساحتها يا حبيباه ؟ مليون ونصف كم ٢ ، الكيلو متر المربع إذن بيع بخمسة دولارات أمريكية ، بلاش يا بلاش ، ثمن بخس دراهم معدودة ، يبدو أن أصحاب ألاسكا كانوا فيها من الزاهدين ، ولعلهم كانوا فيها أكثر زهداً من السيارة في يوسف بن يعقوب ، عليهما السلام .

ولم تكتف أمريكا بهذا ، بل وضعت يدها على جزر (هواي) أو قل : (أرخبيل هواي) الذي يتكون من ثماني جزر رئيسة ، كبيرة هي نسبياً ، تقع بالقرب من الأطراف الشمالية للإقليم المداري ، أي شمال خط الاستواء ، كما تقع جنوب مضيق بيرنج الذي يفصل بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة ، أو بين القوتين اللدودتين الاتحاد السوفيتي السابق، وبين عدوه الرئيس أمريكا .

تبلغ مساحة الجزر الثماني ١٩٤٧٢ كم ٢ ، عاصمتها (هنولولو) كما يضم هذا الأرخبيل أيضا ١٥ جزيرة غير مأهولة بالسكان تقع إلى الشمال الغربي من الجزر الرئيسة .

وكان الأرخبيل قد اكتشفه عام ١٧٧٨ م الرحالة جيمس كوك ، ضمت إلى الولايات المتحدة ١٩٠٩ م وأصبحت الولاية الخمسين رسمياً ، قدر سكان الأرخبيل بحوالي المليون نسمة .

هواي لها أهمية زراعية وسياحية وعسكرية أيضاً ، عليها قواعد عسكرية تضم آلاف الجنود ([1]) .

نعود إلى خليج بيرنج الذي كان المعبر الثاني إلى القارتين فنقول : دخل الهنود الحمر أمريكا من هذا المضيق ، اتجه بعضهم إلى الشرق ، واتجه الآخرون – و هم الأكثرون – إلى الجنوب ، وتركز معظمهم في غرب القارة بالقرب من طريق هجرتهم الرئيس في الشمال الغربي ، وأقاموا حضارات عظيمة مثل حضارة (الأزتك) في المكسيك و (الإنكا) في بيرو وبوليفيا ، و(المايا) في بنما ، وقد نشأت الحضارتان الأوليان في ظروف مماثلة للظروف التي نشأت فيها الحضارتان المصرية القديمة ، وبلاد الرافدين .

على أية حال فإن هذه الموجة اختلفت عن الموجة السابقة التي جاءت من الشرق في أن هذه الأخيرة عادت أدراجها مرة أخرى ، في حين بقيت هذه الموجة الثانية حتى جاء الغزو الأوربي للقارتين ، والذي نحكيه فيما يلي .

٣- الطريق الثالث :

جاء البشر هذه المرة من الشرق ، من جنوب غرب أوربة ، وبالتحديد فور سقوط الأندلس وطرد العرب منها ، ومن أمريكا اللاتينية سوف نستمع إلى شاهد مهم من أهليها ، لماذا ؟ لأنه يبدأ الحكاية من البداية ، ليس النهاية ، من الأصل والجذور ، وليس من السطح والقشور ؟ .

من هذا الشاهد ؟ إنه إدوارد و جاليانو ، كاتب من أورجواي في أمريكا الجنوبية - نقتبس من كتابه : (الشرايين المفتوحة لأمريكا اللاتينية ، تاريخ مضاد)

١- فايد ، د. يوسف وآخران : جغرافيا إقليمية (الأمريكتين وأستراليا) وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١١٤ .

الذي ترجم إلى العربية عن الطبعة الحادية والثلاثين عام ١٩٨١ ، هذا الكتاب ستكون لنا معه وقفة مطولة لأهميته القصوى في توصيف ما يحس به الناس في هذا الجزء المظلوم من العالم ، يقول الكاتب :

كانت أسبانيا تعيش عصر إجلاء العرب ، لم يكن عام ١٤٩٢ مجرد عام اكتشاف أمريكا ، ذلك العالم الذي ولد من رحم ذياك الخطأ ذي النتائج الضخمة ، لقد كان عام استعادة غرناطة (١) ، فإن فردناندو ملك أراجون ، وإيزبيل ملكة قشتالة تجاوزا بزواجهما تمزق ممالكهما ، ونجحا أوائل ١٤٩٢ في إخضاع آخر معقل للدين الإسلامي على أرض أسبانيا ، استغرقت إعادة ما فقد في سبع سنوات نحو ثمانية قرون ، وكانت حرب إجلاء العرب قد أفرغت الخزانة الملكية ، لكن هذه الحرب كانت حربا مقدسة ، حرب مسيحية ضد الإسلام ، كذلك لم يك من قبيل الصدفة أنه في نفس هذه السنة ١٤٩٢ تم طرد مائة وخمسين ألف يهودي من البلاد ، إن حدث اكتشاف أمريكا لا يمكن تفسيره بدون النظر إلى روح التقاليد العسكرية لحرب الحملات الصليبية التي سادت قشتالة في العصر الوسيط ، الكنيسة لم تتباطأ في إضفاء طابع القداسة على غزو الأراضي المجهولة على الجانب الآخر من المحيط ، إيزابل لم تنس أن تجعل من نفسها راعية لمحاكم التفتيش المقدسة (٢) .

انتهى الاقتباس ، ولنا عليه ملاحظات :

١- إن أوربة كانت من بين الشعوب القليلة- أو قل النادرة - التي أصرت على رفض الوجود العربي الإسلامي على أراضيها ، وعدم التفاعل معه ، كلف هذا الرفض القارة ثمانمائة سنة من الحروب والدمار والخراب والضحايا من

١- غرناطة سلمت ولم يحارب عنها آخر ملوكها محمد الصغير ، سلمها للأسبان ١٤٩٢ م .
٢- ص ٢٢ .

الجانبين المتحاربين ، سواء القتلى أو المصابون والمعاقون ، فضلاً عن الخسائر المادية الجسيمة التي لحقت بالفريقين .

والرأي أن هذا ليس رفضاً للعرب أو المسلمين أو رفضاً للدين الإسلامي ، وإنما هو – في نظري – مرجعه إلى رفض الآخر ، أي آخر ، إذا اختلف في لونه – حقيقة أو مجازاً – أو في رأيه أو اتجاهه ، وعلى العكس من هذا كانت الشخصية العربية المسلمة .

والدليل على هذا ما يلي :

إن العرب قد أثروا في كل بلد ذهبوا إليه ، حتى بعد انتهاء حكمهم وبعد انهيارهم عسكرياً وسياسياً ، بل قد أثروا حتى في البلدان التي لم يفتحوها أو يحكموها ، مهما كانت قصيَّة نائية عن جزيرة العرب ، كما حدث في أندونيسيا وماليزيا مثلاً .

ولن نتحدث عن آثار العرب الثقافية والحضارية والعلمية والمعمارية . . . الخ ، فهذا مما يذكر فيعرف ولا ينكر ، وإنما سنتحدث عن تأثير لغة العرب في غيرها من اللغات ، نأخذ بشهادات باحثين من غير العرب ، فإن بعض بني يعرب ربما لا يتخيل أن لغته أثرت هذا التأثير الواضح في ألسنة العالم ولغاته :

- الأمريكيان (سكوفتز) و (ياسكوم) : إن الأثر الإسلامي الذي استمر يلعب دوره مدة طويلة من غير انقطاع قد صاغ – إلى حد كبير – أنماط الحياة عند الشعوب الزنجية في السودان بأسره ، وفي الكثير من أجزاء إفريقية الشرقية حتى إنه تغلغل في جهات أخرى تقع جنوب هذه المناطق وقد انعكس هذا الأثر في انتشار كلمات مستعارة كثيرة من أصل عربي ، حتى بين الشعوب غير الإسلامية ، والسؤال الذي نطرحه الآن : كيف

انعكس أثـر الأوربيـين الـذين احتكـوا بـالإفريقيين فـي القـرون الأخيـرة ، وأحدثوا تغييرا في كثير من أوجه الحياة الإفريقية ، كيف انعكس أثرهم في اللغة ؟ عن أثر الأوربيين في الحياة اللغوية لإفريقية كان – على الأرجح – صغيرا نسبياً إذا ما قورن بأثر اللغة العربية ، ولعل اللغة توضح أكثر من غيرها ظاهرة الاستمرار الأساسية في الثقافة الإفريقية ، برغم التغييرات الشديدة التي طرأت في مجالات أخرى ([1]) .

- الهولندي (مولمان) : أوضح تأثير للعربية تمثل في كتابة الملايو ([2]) بالحرف العربي . . . والأكثر أهمية من تأثير العربية في كتابة الملايو كان التأثير في اللغة نفسها ، خاصة مفرداتها . . . وفي مناقشة تأثير العربية في الملايو لا يغرب عن بالنا الإسهام المتميز للعربية في آلية صياغة كثير من الألفاظ الجديدة في هذه اللغة ، ليس في الكلمات ذات الأصل العربي فقط ، بل في الأسماء من أصل غير عربي أيضاً . . . إن العربية مارست تأثيرها في نحو الملايو ، خاصة عن طريق ترجمة المؤلفات الدينية ، وفي مقدمتها كتب الفقه ، ومن هذا الطريق دخلت الملايو عادات عربية صحيحة تختص بحروف الجر ، فهناك عدد من حروف الجر العربية ترجمت إلى نظائرها في الملايو ، ما أدى إلى وجود تعبيرات تخالف الاستخدام التقليدي في الملايو ، إن بعض هذه الظواهر أثرت بشكل واسع جداً في نحو الملايو ([3]).

١- الثقافة الإفريقية ، دراسات في عناصر الاستمرار والتغير ، ترجمة عبد الملك الناشف ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٥٧.
٢- توجد لغة الملايو بشكل رئيس في اندونيسيا وماليزيا وبروناي .
١- اللغة العربية في أندونيسيا ، ترجمة د. أحمد أبو الخير ، د. أحمد فريد ، القاهرة ٢٠٠٢ ، انظر ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٨ – ٣٩ .

انتهت الاقتباسات ، ولو أردنا الاستزادة لوجدنا مزيدا ومزيدا من الشهادات الدامغة على تأثير العربية في اللغات الأخر ، لكن حسبنا ما ذكر ، وإن كان هذا قلا من كثر وغيضا من فيض ، ونزرا من بحر .

٢- عندما هزمت الحروب الصليبية التي جاءت من أوربة إلى الشرق لم تترك هاتيك الحملات أي أثر يذكر ، لا في اللغة ، ولا في الثقافة ، ولا العمران ، بل عادت أدراجها من دون أن تؤثر في الإنسان أو المكان أو اللسان، وإن كان لها تأثير يذكر أو يقال ، فإنه لا يقارن البتة من بعيد أو قريب بتأثير العرب في كل مكان ذهبوا إليه حتى لو انهزموا عسكرياً ، بل حتى لو لم يذهبوا فاتحين مجيشين ، أفراد قلائل من العلماء أو التجار تقوم بعمل لا تستطيعه كل جيوش أوربة أو غيرها .

والسر في هذا كله هو اختلاط العرب بالآخر ، وسرعة الاندماج معه ، فمن تكلم لغتنا أصبح عربياً مثلنا ، في الحديث الشريف : " فمن تكلم العربية فهو عربي (١) " وعن أبي جعفر محمد بن على بن الحسين بن على – رضي الله عنهم : " من ولد في الإسلام فهو عربي " لأن من ولد في الإسلام فقد ولد في دار العرب واعتاد خطابها ولغتها .

ومن دخل ديننا فهو منا ، لا فرق بينا وبينه ، سواء كان أسود أو أصفر ، أو بين هذا وذلك ، يقول ابن تيمية " والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة ، مثل الإسلام والإيمان والبر والتقوى والعلم والعمل الصالح ، ونحو ذلك لا بمجرد كون الإنسان عربيا أو أعجميا أو أسود أو أبيض ، ولا بكونه قروياً أو

١- ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٦٨ .

بدوياً ([1]) " ففي القرآن الكريم : " يا أيها الناس : إنا جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ؛ إن أكرمكم عند الله اتقاكم ، إن الله عليم خبير ([2]) " وفي الحديث الشريف " ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو تقوى ([3]) " .

بل إن محمدا سيد العرب والعجم – صلى الله عليه وسلم – ألحق بعض صحابته إلى نسبه الشريف ، ويا للعجب كان هؤلاء الذين نسبوا إليه من بني هاشم أو من العرب ؟ كلا كلا ، ليسوا من العرب ،ولا من بنى هاشم ! أولهم سلمان الفارسي – رضي الله عنه – ففي الحديث " سلمان منا أهل البيت ([4]) " ليس سلمان فقط ، بل بلال أيضاً ، في الحديث : " أدخل الإسلام بلالا في نسبي ([5]) " هل هذا فقط ؟ لا ، بل أيضا :" وأخرج الكفر أبا لهب من نسبي ([6]) " أبو لهب عمه ، شقيق أبيه وصنوه ، ولكن الكفر أخرجه من نسبه ، صلى الله عليه وسلم .

وآخر ما يمكن أن يقال عن هذه الحملات الصليبية ، أن تيك – هذه – الحملات ظلموها كثيرا عندما وصفوها بأنها حملات صليبية أو نصرانية أو مسيحية ، إن هذا ظلم ما بعده ظلم للصليب والمسيح والنصرانية جميعا ، إن هذه الحملات يجب أن تنعت فقط ، وفقط ، بأنها أوربية ، أوربية هي حتى النخاع .

وما أقحموا الصليب في الموضوع إلا استدراجا لعامة الناس والدهماء وخداعا لهم ، كي يشحنوهم ضد الإسلام والمسلمين المسالمين ، والأهم من هذا أن يدفعوهم للغزو والسلب والنهب ، وكل هذا يأتي من التصور الأوربي للآخر ، أي آخر بأنه

١- السابق ، ص ١٤٥ .
٢- ١٣ الحجرات .
٣- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٢١٨/٤ .
٤- أبو العزايم : الإسلام نسب ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١٥ .
٥- السابق .
٦- السابق .

لكي يعيش لابد أن ينضوي تحت لواء أوربة ، وأن يلتزم بالنص بحذافيره ، دون أن يخرج عنه قيد أنملة .

ويجب القول أيضا بأن أوربة تسارع للغزو وتهرول إليه لأنها قارة صغيرة المساحة ، كثيفة السكان إلى حد كبير ، فهي من حيث المساحة تأتي في ذيل القارات ، فمساحتها = ١٠٤٩٨٠٠٠ كم ، ولا يفوقها في هذا الذيل غير قارة استراليا ، لكن الأخيرة هي من نصيب دولة واحدة فقط ، سكانها عشرون مليون نسمة تقريبا ، في حين يجثم على صدر هذه القارة الأوربية أربعون دولة ، سكانها سبعمائة مليون نسمة ، أو يزيدون ، ولهذا خرجوا إلى العالم مستعمرين غازين ، كما لم يختلطوا بمستعمريهم ومن غزوهم ، على العكس تماما مما فعل أسلافنا العرب ، وإنّا على دربهم لسائرون ومقتدون ، كما بقى الأربيون ، وجدوا آباءهم يفعلون وعلى آثارهم متبعون ومقتفون .

٣- وعند هزيمة العرب عسكرياً في الأندلس طرد البشر وديس الحجر وأهلك الحرث والشجر ، وخربت الآثار ومحيت الديار ، اقتلع الإنسان وقطع اللسان ، طردوا العرب واليهود ، وأجبر من بقى ونجا على الكاثوليكية ، وراقبوهم مراقبة صارمة قاسية عاتية حتى لا يفكر بشرفي يقظة أو منام في أن يتذكر شيئا من شعائر دينه ، وحرموا العربية على الناس ، والويل كل الويل لمن يوشى به نطق شيئا من العربية ، ثم قدموا للناس إنجازا مهما هو محاكم التفتيش التي كانت تحصى على الناس الأنفاس ، لتتقصى من أي فتحتى الأنف خرج ذياك النفس .

هذه ليست روحا صليبية أو مسيحية ، إنما هي روح أوربية ، وإن تدثرت بالصليب ، أو ادعت إنها تجاحش عنه ، أو تحمل لواءه .

٤- وأخيرا كم كان الثمن الذي دفعه الأوربيون باهظا لإخراج العرب من قارتهم ، بشريا عشرات الألوف من القتلى والشهداء والمصابين والمشردين ، معاناة الإنسان ، وقفر المكان ، بعد طرد أهاليه منه ، حضاريا... حضارة هوت وانسحقت ، عمرانيا.... بيوت ، وقصور هدمت ، ومساجد كان يذكر فيها اسم الله تعالى ، الشاعر العربي أبو البقاء الرندي يصور شيئا من هاتيك المآسي:

تبكي الحنيفية البيضاء من أسـف — كما بكي لفراق الإلف هيمـان
على ديـار للإسلام خاليـة — قد أقفرت ولها بالكفر عمـران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما — فيهن إلا نواقيس وصلبـان
حتى المحاريب تبكي وهي جامـدة — حتى المنابر ترثى وهي عيـدان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهـمْ — قتلى وأسرى فما يستغيث إنسان
يا من لذلة قوم بعد عزهـمُ — أحال حالهمُ كفـر وطغيـان
بالأمس كانوا ملوكا في منازلهـم — واليوم همْ في بلاد الكفر عبـدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهـم — عليهـمُ من ثياب الذل ألـوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهـمُ — لهالك الأمر واستهوتك أحـزان
يارب أم وطفل حيل بينهـما — كما تفرق أرواح وأبـدان
وطفلةٍ مثل حسن الشمس إذا طلعت — كأنما هي ياقوت ومرجـان
يقودها العلج (١) للمكروه مكـرهة — والعين باكية والقلب حيـران
لمثل هذا يذوب القلب من كمـد — إن كان في القلب إسلام وإيمـان

خروج العرب من الأندلس لم يك جملة عابرة ، بل مأساة إنسانية للعرب بكل معنى الكلمة ، لكن على الجانب الآخر المنتصر (١) ، ماذا كان نصيبهم ؟

١- الكافر من غير العرب .

الخراب والدمار حتى أفرغت الخزائن الأسبانية ، وفقدت الأرض عمارها ، ورحلت القوى والكوادر المهمة الفاعلة ، وذهبت رءوس الأموال ، بل أحرقت الكتب ، ومحيت آثار الحضارة فكان لابد من حل ، خاصة أن الشوكة العربية التي أدمت الحلق الأوربي قد زالت وأخرجت ، ولا ننسى أن القارة ضيقة المساحة ، لا تتسع لقاطنيها ، فماذا كان هذا الحل ؟

في عام ١٤٩٢ بعد سقوط غرناطة ، وفي ذات العام أبحر كريستوفر كولمبس من ساحل أسبانيا متجها نحو جزر الكناريا التي تواجه الآن أقصى الجنوب الغربي من الساحل المغربي في المحيط الأطلسي (بحر الظلمات كما كان يسميه العرب) وكان يحاول الوصول إلى الهند عن طريق الغرب .

بهذا انفتحت أبواب العصر الاستعماري الأوربي على مصراعيه نحو الأمريكتين ، حيث عانى أهل البلاد هناك إلى الآن في مسيرة دامية لما عرف بالهنود الحمر ، لماذا ؟ كان الاستعمار الأسباني يهدف إلى الغزو والفتح، كون الأسبان طبقة خاصة ، لم تختلط بالوطنيين – أصحاب الأرض – هدفها استغلال موارد البلاد واستنزاف ثرواتها ، ونقلها إلى الوطن الأم ، فاستولى الأسبان على أحسن الأراضي ، ولما نقص عدد السكان واحتاجت السخرة إلى مزيد من العمالة المجانية جلبوا الزنوج من قارتنا الحبيبة أفريقية ، ونقلوهم إلى العالم الجديد .

استغل الاستعمار الأوربي الفريقين ، الهندي والإفريقي في الزراعة وذهب الذهب والفضة ، وكل هذا صُدِّر إلى أوربة ، فامتلأت الخزائن الأوربية ، وإن كانت أسبانيا - طليعة الاستعمار الأوربي - آخر المستفيدين ، فضلا عن أنه كان لخروج العرب من الأندلس الأثر الوبيل الوخيم على أسبانيا ، كما سلف .

٢- سيأتي تفصيل لهذا في الملاحق .

وبطبيعة الحال فإن أسبانيا عندما اكتشفت الأمريكتين هرولت على إثرها كل قوى الاستعمار عصرئذ ، الفرنسي والإنجليزي ، فضلاً عن البرتغالي والهولندي ، ما أدى إلى أخطر النتائج وأفدح الخسائر ، في جانب الهنود الأصليين الذين قدر عددهم ١٤٩٢ بحوالي ثلاثة عشر مليون نسمة ، سنرى ما حدث لهم جراء الاستعمار الأوربي ، فأول خطو اتخذها هذا الاستعمار هو تقسيم أمريكا الجنوبية - في عامي ١٤٩٣ – ١٤٩٤ بعيد وصول كولمبس- بين أسبانيا والبرتغال ([1]) ، ثم قسمت بعد ذلك إلى شمال وجنوب ، شمال أنجلو – سكسوني ، وجنوب لاتيني ، كما سنتحدث عنه في موضعه ، ولكن ليس قبل أن نعطي اكتشاف القارتين بعض العناية والتفصيل مما حُكي وقيل :

١- في أغسطس ١٤٩٢ بدأ كولمبس رحلته الأولى – كما مر – وبعد حوالي شهر وصل إلى جزيرة سان سلفادور ، إحدى جزر البهاما إلى الشرق من خليج فلوريدا ، الواقع جنوب ولاية فلوريدا في الولايات المتحدة .

كانت هذه الجزيرة النائية التي تقع أقصى الشرق من جزر البهاما أول أرض تطؤها أقدام أوربية ، وعليها أيضا تم أول لقاء بين الأوربيين والهنود الحمر الذين أظهورا حسن نواياهم وطيبها للوافدين الجدد ، تبادلوا معهم الهدايا ، هكذا استقبلهم أصحاب البلد ، فماذا كان جزاؤهم ؟ كان جزاء سِنِمَّار ، وهو رجل رومي (أوربي) بنى قصر الخَوَرْنَقَ الذي كان بالقرب من الكوفة – للنعمان بن امرئ القيس ، فلما فرغ منع ألقاه من أعلاه ، فخر ميتا ، وإنما فعل هذا لئلا يبني مثله لغيره ، فضرب العرب به المثل لمن يجزى بالإحسان الإساءة ، قال الشاعر :

١- فايد وآخرون : مرجع سابق ، ص ١٧٣ .

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا   جزاء سنمار وما كان ذا ذنب ([1])

وكانت قطع الذهب التي يتحلى بها الهنود الحمر دليلا قاطعا - فى رأي كولمبس - على وصوله جزر الهند (الشرقية) وكان عليه آنئذ أن يبحث عن اليابان فواصل الرحلة ، واكتشف (كوبا) ([2]) لأن شكلها من بعيد يشبه القبة ، فاعتقد أنها اليابان ، ولكنه لم يجد شيئا مما وصفه الرحالة عن الحرير والمعابد المحلاة بالذهب في تلك البلاد .

ولكن هذا لم يمنعه من محاولة الاتصال بسكان الجزيرة ليقدم إلى امبراطور الصين واليابان الهدايا التي أرسلها إليهم ملك أسبانيا ، إلا أنه لاحظ أن سكان هذه المناطق يختلفون تماما عن سكان جنوب شرق آسيا ، إنهم يدخنون السيجار ، هذه العادة التي انتقلت إلى الغرب .

استمرت رحلات كولمبس بعد ذلك حتى اكتشف جزر (البهاما) وجزر الأنتيل . . . الخ ، إلا أن وصل أمريكا الوسطى بدءا من هندوراس ظانا أنها شبه جزيرة الملايو ، ثم نيكارجوا ، وكستاريكا ، حتى بنما ، بعدها عاد إلى أسبانيا .

وفي إحدى رحلاته السابقات كتب عن الجزر التي اكتشفها بأنها :" غنية بالتوابل والذهب ، وسكانها طيبون ، يمكن تحويلهم إلى المسيحية بسهولة ، يقصد الكاثوليكية ، وهنا تبدو شخصية كولمبس على النمط الأوربي الذي يرى دينه هو الصح ، ووجهة نظره هي الأصح ، ولا يرى الآخرين إلا مقتنعين ، أو يجب أن يكونوا مقتنعين تماما بالدين الذي يختاره هو للآخرين .

١- الميداني : مجمع الأمثال ، القاهرة ١٣٥٢ هـ ، ١٦٧/١ .
٢- وهي في الأصل كلمة عربية بمعنى (القبة) كما سيأتي .

صفوة القول أن رحلات كولمبس كانت الشرارة الأولى لانطلاق رحلات الاستكشاف للعالم الجديد ، وإن كان الهدف والاعتقاد والظن محاولة الوصول إلى أقصى الشرق من آسيا ، اليابان والصين وقبلهما الهند ، وللمصادفة وجدت هذه الرحلات في طريقها قارتين عملاقتين ، ليس هذا فقط ، ولكن أيضا محيطا عملاقا عميقا شديد الاتساع والمساحة ، يفوق المحيطين الآخرين (الأطلسي والهندي) مجتمعين ، إنه يتسع حتى ١٦٥٣٨٤٠٠٠ كم٢ .

ولكن اكتشاف القارتين بكل تفاصيلهما أخذ قرونا طويلة ، حيث لم تتضح الصورة كاملة إلا في بداية القرن العشرين ، ولذا سنشير هنا إلى أهم المستكشفين بعد كولمبس ، وهم : كابرال – أمريجو – بالبوا – ماجلان .

١- كابرال البرتغالي:

قام على رأس القرن الخامس عشر الميلادي برحلة هدفها الرئيس تتبع رحلة فاسكودا جاما حول إفريقية للوصول إلى الهند ، فاتجه نحو الغرب في المحيط الأطلسي ، فوصل إلى السواحل الشرقية للبرازيل عند دائرة عرض ١٧° جنوبا ، وفي كل هذا لم يك كابرال يدري هل الأرض الجديدة جزء من قارة أم جزيرة ، أهي جزء من الصين ، أم هي أرض أخرى جديدة ؟ كل هذا لم يك كابرال أو غيره يعرف حقيقته ، فكل ما سبق من كشوف كان من قبيل المصادفة البحتة التي قادت إلى هذا العالم الجديد ، فمن كشف لغز هذا العالم ؟ إنه :

٢- أمريجو فيسبوتشى:

الجغرافي الفلورانسي (١٤٥٤ – ١٥١٢) ملاح إيطالي ، قام بأربع رحلات ، اكتشف فيهن ساحل المكسيك وأمريكا الشمالية والجنوبية والأرجنتين ، كل هذا من ناحية الشرق بطبيعة الحال ، وليس من الغرب .

وبمـا أن أمريجـو مسـح القـارتين فـي سـاحلها الشـرقي ، مـن الشـمال حتـى الأرجنتين في أقصى الجنوب ، فقد اتضح له بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الأرض ليست جزيرة ، وليست مجموعة من الجزر ،ـ ولا هي جزء من الصين ولا الهند ـ إنما هي قارة جديدة تمتد في المحيط الأطلسي ربما يكون من الصواب أن يطلق عليها اسم العالم الجديد .

لقد كان كولمبس يختلف عن أمريجو الذي كان جغرافيا متخصصا في تحليل الكشوف ، في حين كان كولمبس مجرد ملاح فقط ، ولذا استطاع امريجو أن يصل إلـى حقيقـة هـذه الأرض المكتشـفة ، ولـذا سـميت القارتـان باسـمه (أمريكـا)، فقـط تحولت الجيم G إلى كاف K إذا الأخيرة هي النظير المهموس للأولى ، لا فرق غير أن الأخيرة مهموسة ، والأولى مهجورة ، أي تهتز الأوتار في نطقها ، في حين لا تهتز الأوتار في نطق الكاف ، كما تحولت الواو في (أمريجو) إلى ألف في (أمريكا) .

٣ـ دي بالبوا:

والآن تأكد الجغرافيون الأوربيون أن تصور كولمبس كان غير صحيح ، فقارة آسيا تقع بعيدا بعيد جدا عن الأرض الجديدة المكتشفة ، وهناك تمكن بالبوا عـام ١٥١٣ م مـن اختـراق بـرزخ بنمـا والوصـول إلـى السـاحل الغربـي لأمريكـا الوسطى متطلعا نحو الغرب ليجد أمامه نطاقا آخر من المياه ، يمتد بلا نهاية ، وهنا تحطمت آمال الأسبان في الوصول إلى الشرق .

لقد كان التصور قبل ذلك أنه بمجرد التحرك نحو الغرب سوف تظهر اليابان والصـين والهنـد ، وشـرق وجنـوب آسـيا ، لـم يـك فـي الحسـبان أن هنـاك قـارتين

عملاقتين بمساحة ٤٢٠٨٢٠٠٠ كم ومحيطا بالغ الضخامة = ١٦٥٣٨٤٠٠٠ كم ، هو المحيط الهادي ، وليس بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) وحده .

٤- فرديناند ماجلان:

تصور أنه يمكن الوصول إلى جزر الهندي الشرقية بسهولة عن طريق الدوران حول الطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية ، فانطلق من أسبانيا جنوبا متصورا أن خليج (ريو دي جانيرو) جنوب البرازيل ، وخليج لابلاتا الذي يقع بين أورجواي وبين الأرجنتين – وكلا الخليجين يقعان على الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية – متصورا أنهما الممر المنشود نحو جزر الهند الشرقية .

وفي أغسطس ١٥٢٠ م وصل ماجلان إلى أقصى الجنوب من القارة ، ليكتشف المضيق الذي عرف باسم (مضيق ماجلان) اخترق المضيق ، وسار مع الساحل الغربي للقارة الأمريكية الجنوبية ولمسافة ١٠٠٠ ميل ، لكنه بطبيعة الحال لم يصل إلى جزر الهند أو غيرها .

ومن أهم نتائج رحلة ماجلان هذه أن أمريكا الجنوبية لا تتصل في طرفها الجنوبي بالقارة القطبية الجنوبية ، وهنا اكتملت الصورة تماما تماما ، ومن ثم اتجهت الجهود نحو استكشاف الداخل الأمريكي وأعماق هذه اليابسة ، هاتيك الجهود التي استمرت حتى نهاية القرن التاسع عشر أو بدء القرن الذي تلاه ، بعد أن استقلت غالبية الدول الأمريكية ([1]) .

والآن اتضحت صورة العالم الجديد الذي اكتشف بمحض الصدفة ، ودحضت النظرية الكولمبية (نسبة إلى كولمبس) تماما تماما ، ما أشد البون بين الهدف الذي

١- رجعنا فيما كتبنا عن الكشوف الجغرافية للعالم الجديدة إلى الدكتور أبي عيانة ، والدكتور بكير : جغرافية الأمريكتين ، الإسكندرية ١٩٩٤ ، ص ١٧٨ – ١٨١ .

سعى إليه المكتشف الأول من الوصول إلى الهند أو شرق القارة الآسيوية . . . الخ ، وإنما هما قارتان كبيرتان ، أسميتا الأمريكتين ، الشمالية والجنوبية ، وضعتا في طريق المستكشفين .

مساحة الأولى أربعة وعشرين كيلو متر ، والثانية ثمانية عشر مليون تقريبا ، يحدهما من الغرب المحيط الهادي و هو الأضخم والأوسع مساحة بين المحيطات المائية على الإطلاق ، ومن الجنوب القارة القطبية الجنوبية ، ولا اتصال بين القارة الأمريكية الجنوبية و بين هذي القارة القطبية – كما سلف – أما في الشرق فيقع محيط آخر ، هو الأطلسي .

وأقرب نقطة من أمريكا الجنوبية إلى اليابسة الإفريقية تقع أقصى الشرق من البرازيل على المحيط الأطلسي ، وعلى الجانب الإفريقي من المحيط ، تقع عدة دولة في الغرب الإفريقي هن الأقرب إلى البرازيل ، أي (السنغال – وغينيا – و سيراليون) فهاتان أقرب نقطتين بين العالم الجديد و بين العالم القديم ، أقصى الشرق البرازيلي مع أقصى الغرب من قارتنا الحبيبة إفريقية .

وإذا سرنا شمال هذه النقطة المتقاربة المقاربة بين أمريكا الجنوبية والقارة الحبيبة وجدنا نقطتين أخريين مقاربتين بين القارتين ، جزر الرأس الأخضر (1) ، على مقربة من الساحل الغربي الإفريقي ، إنها الأقرب إلى جزر الأنتيل الصغرى التي تقف في مدخل البحر الكاريبي الذي يقع جنوب خليج المكسيك ، هذا البحر الذي يقع بين القارتين الأمريكتين ، الشمالية والجنوبية .

1- مساحتها ٤ آلاف كم تقريبا ، السكان يقدرون بـ ٤ ملايين ، اللغة هي البرتغالية ، وتسع لغات هجين مع هذه الأخيرة ، استقلت عن البرتغال في ١٩٧٥/٧/٥ .

فإذا صعدنا شمالا ، وفي المحيط أيضا ، وجدنا نقطة أخرى هي الأقرب ، ولكن إلى أمريكا الشمالية ، إنها غرب أوربة ، في الجنوب (البرتغال وأسبانيا) وإلى شمالها (بريطانيا – النرويج – أيلسندة) بل إن هذه الأخيرة لا يفصلها بين جزيرة جرين لاند غير مضيق الدانمرك ، فهذي الجزيرة الأكبر بين جزر العالم – كما سبق – هي من أملاك الدانمرك الذي ارتكبت جريمة الإساءة للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – في رسوم ساخرة في بعض صحفها ، تحت ستار حرية الرأي التي يُدّعى أنها أقدس المقدسات التي لا تمس من بعيد أو قريب .

أما في أقصى الشمال فنجد المحيط القطبي الشمالي الذي يحد أقصى شمال أمريكا الشمالية حيث نجد أملاك الدولة الكندية التي تحتل من القارة الشمالية الساحل الشرقي كله على المحيط الأطلسي ، ثم السواحل الشمالية بجزره على المحيط المتجمد ، وجزء من الساحل الغربي على المحيط الهادي ، إلى أن نصل إلى آلاسكا ، التابعة للولايات المتحدة الأمريكية ، والتي تقع – كما قلنا قبْلا – أقصى الشمال الغربي للديار الكندية ، ولا تتصل بالوطن الأم (الولايات المتحدة) إلا عن طريق البحر والجو ، فإن اليابسة الكندية تقطع ولاية ألاسكا في الساحل الغربي - أو في جزء منه - عن أراضي الولايات المتحدة في أقصى الغرب ، على ساحل المحيط الهادي .

بدأت الولايات (الأمريكية) تتحد واحدة بعد الأخرى ، وقد استمر هذا من ١٧٩٢ حتى ١٩١٢ ، كانت الأخيرة ولاية نيومكسيكو ، بعد سنة ١٩١٢ انضمت ولايتا ألاسكا التي اشترتها الولايات المتحدة من روسيا القيصرية سنة ١٨٦٧ ، ومجموعة جزر هواي في المحيط الهادي التي اكتشفها الرحالة جيمس كوك ١٧٧٨م

، ضمت للولا يات المتحدة ١٩٥٩ ، وأصبحت الولا ية الخمسين ر سميا للولا يات المتحدة .

(هواي) تبتعد عن أقرب نقطة إلى الساحل الغر بي (سان فرانسسكو) بحوالي ٣٣٦٠ كم ، نحو الغرب ، في المحيط الهادي ، وهكذا اكتملت الولا يات المتحدة ، فأصبحت خمسين ولاية ، يرمز لكل منها بنجمة في علم الولايات المتحدة ، في حين يرمز للولايات الثلاث عشرة الأولى – المؤسسة للاتحاد – بخطوط ([1]) ، مساحة الولايات المتحدة أقل من عشرة ملايين كيلو متر .

كندا هي الأخرى لها ذات المساحة ، مع زيادة طفيفة ، لكنها لا تصل عشرة ملايين أيضا ، مع الفارق بين الأراضي الكندية التي يقترب جزء كبير منها في الشمال المساحل للمحيط المتجمد ، في حين تبعد الأراضي في أمريكا الشمالية كثيرا عن هذا المحيط المتجمد ، بالطبع عدا آلاسكا التي تقع أقصى الشمال الغربي من القارتين .

وفارق آخر مهم هو عدد السكان في البلدين ، في كندا نجد (فقط فقط) فوق الثلاثين مليوناً بقليل ، أما في الولايات المتحدة فإن عدد السكان لا يزيد عن سكان الوطن العربي (٣٢٥) مليون نسمة تقريباً .

أما أمريكا اللاتينية ، أي ما عدا (كندا + الولا يات المتحدة) فإنه يقدر بحوالي (٥٥٠) مليون نفس من البشر ، أي مجموع السكان في الأمريكتين يمكن أن يقدر بحوالي (٨٠٠) مليون نفس ، في مساحة يابسة لكلا القارتين (٤٢) مليون كيلومتر تقريباً .

١- فايد : مرجع سابق ، ص ٥٠ .

أمريكا الجنوبية تنقسم إلي ثلاث عشرة وحدة سياسية ، تتباين فيما بينها من حيث المساحة والسكان ، ففي القارة خمس وحدات تزيد مساحة كل واحدة عن مليون كم٢، هن على التوالي : (البرازيل – الأرجنتين – بيرو – كولومبيا – بوليفيا) فالأولي هي الأكبر والأضخم مكاناً كما سيأتي .

أما أمريكا الوسطى فتضم ثماني وحدات سياسية ، خضعت كلها لاستعمار الأسباني ، عدا (بليز) التي خضعت للنفوذ الإنجليزي ، أما عملاق أمريكا الوسطى فهو المكسيك ، مساحته ١.٩ مليون كم ،

وتضيق اليابسة في منطقة أمريكا الوسطى هذه حتى تصل قمة الضيق في بنما ، حيث حفرت القناة البنمية التي مكنت من ربط المحيطين ، الهادي والأطلسي ، لقد سعت الولايات المتحدة إلى فصل بنما أو منطقة بنما عن كولومبيا حيث كانتا وحدة سياسية واحدة إلى أن خرج الأسبان ١٨١٩ ، وفي سنة ١٩٠٣ تمكنت الولايات المتحدة من سلخ الجزء البنمي عن الأصل الكولومبي .

وفي العام التالي ١٩٠٤ بدأ العمل فى حفر القناة لينتهي العمل بعد عشر سنوات ، أي سنة ١٩١٤م ، ولكن على أرض استأجرتها الولايات المتحدة – إجارة دائمة أبدية – من جمهورية بنما التي منحتها حق الإشراف التام الكامل الشامل الشافي المعافى على منطقة القناة ، فقط ؟ كلا كلا ، بل أيضا المواقع الضرورية لحماية القناة نفسها [1] كل هذا نظير مبلغ سنوي ، أو مهر متفق عليه كم ؟ هذا والله تعالي أعلي وأعلم ، ولكن لابد أنة مبلغ حنون حنّاناً ، رحيم ، غير مغالي فيه ، مثل كل الأسعار التي يشتري بها الغني المليارديرمن الفقير والمسكين ، شيء لا يذكر يضاف إلي شراء ألاسكا ووضع اليد على هواي إلي جانب اليابسة التي استعمرتها

[1]- المعجم الكبير ٥٩٢/٢.

في الولايات الباقية الثماني والأربعين ؛ ولكنها على أية حال لا تأخذ قناة بنما وما حولها بغير إيجار سنوي يدفع إلي دولة بنما والتي صنعت خصيصاً لهذا الغرض ، فأريد لها أن تكون القناة الدولة ، والدولة القناة ، أو هكذا أرادت لها الولايات المتحدة الأمريكية .

يقول أحد كتب جغرافيا الأمريكتين :" ورغم الشعور المعادي لسكان بنما تجاه الولايات المتحدة لسيطرة الأخيرة علي القناة والمنطقة المتعلقة بها ، فإن بنما تجني ثمارا عديدة ، فهي تحقق عائداً طيباً من مرور خط أنابيب البترول ، وعند مدخل القناة على البحر الكاريبي أقيمت أكبر منطقة حرة في العالم ، ولا شك أن بنما – بهذا الشكل – متعددة الموارد ، إن أحسنت استثماراتها أحرزت تقدماً ملحوظاً ، وفي المستقبل القريب " .

ولا شك أن على البنميين أن يكونوا في أتم حالات الامتنان والعرفان لما يدفع لهم ، مهما كان قليلاً ، فإن على المظلوم والمستغَل أن يسكت ويرضي ، فقط؟ كلا ، بل عليه في المقام الأول أن يكون ممتناً شاكراً ، ومباركاً ، ليس في الظاهر والسلوك فقط ، بل من أعماق أعماق قلبه .

ويبقي من أمريكا الوسطي جزر الكاريبي ، مساحتها صغيرة جداً ، تدنو إلي ١.١% من مساحة أمريكا اللاتينية وتنقسم إلي ثلاثة أقسام رئيسة ، هي جزر الأنتيل الصغرى والكبرى ، وجزر البهاما (١) .

نعود مرة أخرى إلي اكتشاف القارتين لنقول : إن تاريخ هذا الاكتشاف الأوربي جعل القارتين ينكتب لهما تاريخ جديد ، جديد تماماً ، تاريخ للمكان والإنسان واللسان ، تغيرت الخريطة السكانية في الأمريكتين واتجه تاريخها وجهة

١- أبو عيانة ؛ مرجع سابق ، ص ١٦٠-١٦١

أخري مخالفة تماماً لعهد ما قبل الاستعمار الأوربي ، كيف ؟ هذا ما نحاول الكشف عنه فيما يلي :-

١- اسم جديد : سميت القارتان باسم العالم الجديد ، ثم أطلق عليها الأمريكتان ، أمريكا الشمالية والجنوبية ، وجاء الاسم – كما سبق – من اسم البحار الإيطالي (أمريجو فسبوتشي [١]) .

ولكن القارتين انقسمتا إلي قسمين رئيسين ، شمال غني ، فيه دولتان فقط (كندا + الولايات المتحدة) وجنوب فقير ، أوليس غنياً ، و هذا ما أنطبق على باقي القارتين، بدءاً من المكسيك جنوب الولايات المتحدة حتى الأطراف الجنوبية جداً ، والسواحل الغربية والشرقية للقارتين ، فهل هذا تقسيم لغوي فقط ، أو متكئ على اللغة فقط ؟ فالشمال الأنجلوسكسوني فيه الفرنسية والإنجليزية ، والجنوب ، أمريكا اللاتينية ، فيه لغتان من اللاتينية انحدرتا ، هما الأسبانية والبرتغالية ؟ .

كلا ، إن الأمر ابعد من هذا بكثير ، وأخطر من هذا بكثير ، وسيأتي تحليل هذه النقطة فيما بعد ، في مكانها ، ولكن الهندسة الاستعمارية للدول قد قسمت الأمريكتين إلي كيانات سياسية عملاقة ، وكيانات أخري ضعيفة أو هزيلة ، مساحة وسكاناً ، اقتصادياً وسياسياً ، مثال الأولي : (الولايات المتحدة – البرازيل – المكسيك – كندا) على عكس الكيانات السياسية الأخرى ، خاصة في الوسط (منطقة الكاريبي) وغرب القارة الجنوبية ، لكنا نترك هذا الآن إلي التأثير الأهم في حياة سكان القارتين ، أو البشر الذين قدر لهم أن يواجهوا هؤلاء الوافدة الجديدة من المستعمرين .

٢- المعجم الكبير : ٤١/٤/١.

٢- معانات البشر : بمجرد أن أكتشف الأسبان هذا العالم الجديد حتى هرولت خلف أسبانيا القوي الاستعمار، وألقت بكلكها وقضها وقضيفها على الأرض الجديدة ،حتى عاني كل شيء في هذا العالم المكتشف ، بل امتدت المعاناة إلي القارة الإفريقية ، سيما على الساحل الغربي منها .

لقد كان الاستعمار الأسباني – ومن تبعه – يهدف إلي الغزو والفتح ، وكون الأسبان طبقة خاصة ، لم تختلط بالوطنين ، هدفها استغلال موارد البلاد ، واستنزاف ثرواتها ، ونقلها إلي الوطن الأم ، فاستولي الأسبان على أحسن الأراضي ، كما سلف .

ولما نقص عدد السكان واحتاجت السخرة إلي مزيد من العمالة المجانية جلبوا الأفريقيين ، ونقلوهم إلي الأمريكيتين ، فاستغل الاستعمار الفريقين ، الهندي والإفريقي ، في الزراعة ، ونهب الذهب والفضة ، كل هذا صدر إلى أوربة فامتلأت الخزائن الأوربية ، وإن كانت أسبانيا آخر المستفيدين- كما سيأتي - كما كان لخروج العرب من الأندلس الأثر الوخيم في أسبانيا (١) .

كل هذا يحتاج إلي شيء من التفصيل ، فنقول : لقد صور الهنود الحمر – السكان الأصليون للبلاد – بأنهم همج متخلفون متوحشون ، وعلى العموم بصورة سلبية تماماً ، في حين يحدث التاريخ بأنهم كانوا على غير هذه الصورة القاتمة ، ففي متحف ليما حاضرة البيرو يمكن مشاهدة الجماجم التي أجريت لها عمليات (تربنة) وعلاج بشرائح الذهب والفضة من جانب الجراحين الإنكا .

١- فايد : سابق ، ص ١٦ .

وكـان هنـود المايـا فلكيـين عظمـاء ، قاسـوا الـزمن والمسـافة بدقـة مدهشـة واكتشفوا قيمة الرقم صفر قبل أي شخص آخر في التاريخ ، وقد أذهلت قنوات الري والجزر الاصطناعية التي خلفها الأزتك ، أذهلت محتليهم الأوربيين ، برغم أنها لم تك من الذهب .

ولكن ماذا حدث لكل هذا ومن أنجزه ؟ لقد دمره الأسبان أو تركوه للخراب الزراعات الضخمة من الذرة والفول والبطاطا ... الخ ولم يبق من كل هذا غير الأحجار و الأجمات والرسوم والخرابات ، بل ألقي النظام الاستعماري في المناجم الأسبانية مئات الهنود المعماريين والمهندسين والفلكيين والعمالة الفحنية الماهرة ليعيشوا مع حشود العبيد ، ويقوموا بعمل خشن ومنهك في استخراج المعادن ، ولم تك المهارة التقنية لهؤلاء الناس تهم الاقتصاد الاستعماري ، كانوا يعدون فقط عمالاً غير مؤهلين [1] (فواعلية) كما يقول (المصاروة) المصريون

ولقد عاني الهنود والزنوج كلاهما من الاستعمار الجديد ، و هذه بعض التفاصيل :-

١. الهنود : قدر عدد هؤلاء القوم – ١٤٩٢- وهو عام الكشف الكولمبي قدروا بـ ١٣ مليون نسمة ، وفي المنطقة التي أصبحت تعرف بالبرازيل كان عدد الهنود ثلاثة ملايين نسمة [2] ، وهي أعداد كبيرة قياساً بالزمن الذي فيه عاشوا ، نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، فماذا حدث لهؤلاء المساكين ؟ أو قل فماذا نعرف – أو بعض ما نعرف- عما حدث للهنود ؟.

٢- جاليانو : سابق ، ص ٥٦،٥٥.

١- فايد : سابق ، ص ١٧١.

أول شيء حدث لهؤلاء القوم هو الإبادة وبلا هوادة ، فبعد أقل من مائة سنة ، وبالتحديد في عام ١٥٨١م كان ثلث هنود أمريكا قد أبيدوا ، بل كان الأحياء منهم ملزمين بدفع ضريبة عن الأموات ، كان الهنود يباعون ويشترون ويناموں في العراء ، بل كانت الأمهات تقتلن أبناءهن لإنقاذهم من جحيم المناجم ، ليس فقط ، بل تحولت مذبحة العالم الجديد إلي عمل من أعمال البر [١] .

وقد تكون حرب الإبادة واضحة جلية لدي جمهور كبير من الناس ، ولكن تأثير الجراثيم والأمراض التي انتقلت إلي أصحاب البلد ، ولم يكن لديهم مناعة ضدها ربما لا يعرفها كثير من الناس :" لقد كانت الجراثيم والأمراض أشد الحلفاء فعالية ، فقد جلب الأوربيون معهم الأوبئة الفتاكة ، الجدري والتيتانوس والأمراض الرئوية والمعوية ، وأمراض العيون والتيفوس والجذام ، والحمي الصفراء ، وتسوس الأسنان الذي جعل الأفواه تتعفن ، كان الجدري أسبقها في الظهور ، انتشر هذا الداء الوبيل المجهول والمقزز الذي يشعل نار الحمي ، ويفتت اللحم ، سعال ، دمامل ملتهبة تحرق الجلد ، مات كثيرون بسبب سائل الدمامل اللزج الثقيل ، أخذ الهنود يموتون مثل الذباب ، لم تك أجهزتهم تملك دفاعاً ضد الأمراض الجديدة ، ومن نجا من هذا كله غدا ضعيفاً ، لا يفيد في شيء والخلاصة أن أكثر من نصف السكان الأصليين للأمريكتين – وأستراليا و جزر المحيط الهادي – ماتوا نتيجة العدوى ، بعد أول اتصال بالرجل الأبيض ".

فماذا فعل الناس في مواجهة هذه العذابات : لقد استبق كثيرون من هنود الدمينكان – مثلاً – هذا الجحيم الذي فرضه عليهم المضطهدون البيض الجدد ؟

---

[٢]- جاليانو : ص ٥٣.

قتلوا أطفالهم ثم انتحروا ، ومع هذا لم يمنع المؤرخ الرسمي لوصف هذه المذبحة في منتصف القرن السادس عشر على النحو التالي:-

" كثيرون من الهنود – من أجل تسليتهم – قتلوا أنفسهم بالسم ؛ حتى لا يعملوا في حين خنق آخرون أنفسهم بأيديهم " أي من أجل التسلية أيضاً.

وفي الجانب الآخر سحق كل من خرج عن النص الاستعماري ، و هذا مثال على المقال ، أحد زعماء الهنود (توباك) ثار عام ١٧٨١م – في منطقة بوليفيا الحالية – وعندما انتصر المستعمر عذب الرجل مع زوجته وأبنائه ومقربيه في ميدان عام ، قطعوا لسانه ، وربطوا ذراعية وساقيه إلي أربعة خيول لكي يمزقوه إلي أربعة أشلاء أو خمسة، قطعوا رأسه ، وأرسلوا أشلاءه إلي أماكن متفرقة ، حرقوا جزعه ونثروه فوق ماء النهر ، وأوصوا بإبادة سلالته حتى الدرجة الرابعة هذا قل من كثر ونزر من بحر ، وغيض من فيض .

فما رأي المستعمر الأبيض في أصحاب البلد الأصليين ؟ ومع الذنب ولد نسق كامل من الأكاذيب من أجل الضمائر المذنبة حَوّل الهنود إلي حيوانات جر ؛ لأنهم يتحملون أثقالاً أكبر مما يتحمله ظهر حيوان (اللاما) الضعيف ، وجرت البرهنة على أن الهنود هم حيوانات جر ، لا علاج لهم أفضل من العمل في المناجم من أجل شفاء الشر الطبيعي لديهم .

هم يستحقون المعاملة التي ينالونها لأن خطاياهم ووثنيتهم تمثل إهانة للرب، كما لا يلاحظ على هذه الحيوانات الباردة أي نشاط روحي ، أما فلاسفة الغرب – مثل بيكون ومنتسكيو وهيوم – فقد رفضوا أن يتعرفوا على أشباه لهم من البشر

المنحط للعالم الجديد ، وتحدث هيجل عن العجز الفيزيقي (العضوي والجثماني) والروحي لأمريكا ، وقال : إن الهنود قد ماتوا بنفخة واحدة من أوربة [1] .

٢. الزنوج : كانت انجلترا البطلة الأولي في شراء وبيع اللحم الأسمر ، حتى أضحي الأمر لا يناسبها ، إلا أن الهولنديين كانت لهم تقاليد أعرق في هذه التجارة المربحة ، كان كار لروس الخامس قد أهداهم احتكار نقل العبيد إلي أمريكا قبل زمن من حصول انجلترا على حق إدخال العبيد إلي مستعمرات الآخرين .

أما لويس الرابع عشر – ملك فرنسا – فقد كان يناصف ملك أسبانيا في أرباح شركة غينيا ، التي تأسست ١٧٠١م لجلب العبيد إلي أمريكا ، وكان وزيره كولبير – مهندس التصنيع الفرنسي – يؤكد أن تجارة العبيد مطلوبة من أجل تقدم البحرية التجارية الفرنسية .

بين مولد القرن السادس عشر ونهاية التاسع عشر عبر المحيط الأطلسي ملايين الإفريقيين ، لا يعرف عددهم ، لكنهم كانوا بالتوكيد أكبر بكثير من المهاجرين البيض ، القادمين من أوربة ، وبرغم أن من بقوا منهم على قيد الحياة كانوا أقل بكثير – بطبيعة الحال – فقد شيد هؤلاء العبيد منازل سادتهم ، قطعوا الغابات ، عصروا قصب السكر ، زرعوا القطن ، غرسوا الكاكاو ، حصدوا البن والتبغ ، ونقبوا مجاري الأنهار بحثاً عن الذهب .

كم من هيروشيما تعادل أبادتهم المتعاقبة ، لقد كان شراء الزنوج أسهل من تربيتهم .

---

[1]- السابق ص ٥٣.

وعندما أهل القرن التاسع عشر وصل إلي البرازيل ما يقدر بستة ملايين من منكوبى القارة الإفريقية ، أما كوبا ومساحتها (١١١ ألف ك م) فقد كانت سوقاً ضخمة للعبيد تعادل حجم هذه التجارة من قبل في نصف الكرة الغربي كله .

وبرغم مرور قرون من اغتراب الزنوج عن أوطانهم فقد بقي لديهم الحنين لها ولثقافاتهم ولغاتهم ، ففي ولاية (باهيا) في أقصي الشرق البرازيلي المكان الأقرب – عبر المحيط الأطلسي – إلي الساحل الإفريقي بقيت الأناشيد الاحتفالية بلغات البوربا والكنغو وغيرها من اللغات الإفريقية ، وفي ضواحي المدن الضخمة – جنوب البرازيل – حيث تسود اللغة البرتغالية – يتضرع البشر المهانون في الأحياء البائسة من عشش الصفيح حول المدن الكبرى ضارعين :

يـــا قـــــوة باهيا

أيتها القوة الإفريقيـة .

أيتها القوة الإلهيـــة .

تـــعــــا لـــــي .

تعــالي لتساعدينا [١] .

كل هذا حدث للزنوج ، وقبلهم الهنود ، هذا شيء مما حصل لهم ، أو قل هذا جزء فقط ، مما حدث ، ومما عرفنا ، ووصل إلي أسماعنا ، هل هذا فقط كل ما صنع الأوربيون في العالم الجديد ؟ .

ليس هذا فقط ، ولكن أوربة زرعت في هذا العالم الجديد روح الطبقية والاستعلائية ، لقد أضحي إنتاج الأرض لا يمثل بركة للفلاحين ، برغم أنها تسهم في التقدم العام ، لا تزيد أجورهم ولا مشاركتهم في المحاصيل التي ينتجونها ،

١- السابق ، ص ١٠٧.

الريف يشع فقراً لساكنيه ، وثراء لقلة قليلة من غيرهم ، تحلق الطائرات الخاصة فوق الصحراوات البائسة ، ويتضاعف البذخ العقيم في المنتجعات الفخمة الضخمة ، وتمور أوربة بالسياح من أمريكا اللاتيذية ، جيوبهم بالنقود منتفخة ، يهملون زراعة أراضيهم إلا أنهم لا يهملون تثقيف أرواحهم وإمتاعها ، هذا الذي ينقصهم فقط [1] تلك الطبقة المقيتة التي بقيت طويلاً .

ففي بدايات القرن العشرين كان بعض الملاّك الهنود المكرسون للخدمة المنزلية يعرضون للإيجار في صحف (لا باز) حاضرة بوليفيا ، وحتى ثورة ١٩٥٢م ، التي أعادت للهنود حق المساواة المداس بالأقدام ، لقد كان بعض هؤلاء الخدم يأكلون بقايا طعام الكلب الذي ينامون إلي جواره ، وينحنون حين يخاطبون أي شخص ذي جلد أبيض .

وبعيداً عن الخدمة في البيوت نجد أن الأجير الهندي ملزم بالعمل أياماً بالمجان حتى يسمح له صاحب المزرعة بأن يزرع أرضه التي يملكها ، فقط في الليالي المقمرة ، يعمل بالمجان حتى يضمن له حق زراعة الجبل المجدب ، بعد أن كان هذا المالك يزرع أرضه قبل ذلك بحرية لا حدود لها [2] بل ذكرت احدي الفضائيات العربية منذ أيام قلائل – مارس ٢٠٠٦ - أن مليوناً وثلاثمائة ألف في أمريكا الجنوبية ما يزالون يعملون بنظام الرق والعبودية .

٣. نزح الثروات : بمجرد أن وضعت أوربة يدها على القارتين حتى بدأت عملية نزح تاريخية لثروات البلاد ، فقد قيل : إنه بين عامي ١٥٠٣ – ١٦٦٠ وصل ميناء أشبيلية ١٨٥ ألف كيلو من الذهب + ١٦ مليون

١- السابق ص ١٥٣.
٢- السابق ص ٥٣.

كيلو من الفضة ، لقد تجاوزت كميات الفضة المنقولة إلي أسبانيا – في أقل من قرن ونصف – ثلاثة أضعاف الاحتياطيات الأوربية مجتمعة برغم أن هذه الأرقام الموجزة لا يدخل فيها التهريب ، و هو أمر وارد ومنطقي .

ليس الذهب والفضة فقط ، بل سائر المعادن ، وما تغله الأرض من خيرات وزراعات ، كل هذا نزح نزحاً إلي قارة المكتشفين ، مما ترتب عليه ثروات ضخمة ، ضاع جزء كبير منها في بذخ وتبذير ، لا مثيل له في التاريخ !؟ كانت الثروات تأتي وتضيع في غمضة عين ، كثيرون من أصحاب المناجم أو من غيرهم كان على استعداد لدفع ثروة مقابل زنجي يجيد العزف على البوق ، ولدفع ضعف ذلك من أجل عاهرة يغرق معها في الخطايا المتصلة والمخزية .

و في منطقة بوتوسى البوليفية – مثلاً – كانت تقام المآدب و الاحتفالات الضخمة البازخة ، كانت الأطباق الفضية والأدوات الذهبية للمائدة تلقي من الشرفات ليلتقطها المارة المحظوظون ، يقول إدواردو جاليانو[1] :" ما يزال في بلدي مثل برج إيفل وأقواس نصر ، بل إن جواهر السيدة العذراء بإحدى كنائسها يمكن أن تسدد كل الدين الضخم لبوليفيا ".

والخلاصة أن رءوس الأموال لم تك تتراكم ، بل كان يجري تبديدها تطبيقاً للحكمة القديمة : (أب تاجر ، ابن فارس ، حفيد شحاذ) .

٤. التقسيم شمال / جنوب : كان من أخطر الآثار في هذا العالم المكتشف أنه انقسم إلي شمال وجنوب ، الأول غني وسيد ومخدوم ، والأخير فقير خاضع خادم ، مكرسا كل إمكانياته وأرواحه لخدمة الأول .

---

[1]- ص ٤٧.

واقتضى هذا هندسة الكيانات السياسية ، بحيث تعكس التناقض والبعد التام عن الانسجام ، وتكون عرضة للصراع ، في جميع المناحي السياسية والعسكرية والثقافية ... الخ ، وأشد ما يكون التناقض في المساحة والسكان ، فهناك كيانات ضخمة كبري ، الولايات المتحدة في الشمال ، هو الكيان الأكبر في القارتين ، يليه البرازيل ، الكيان الثاني في الأمريكتين ، والأول في الأمريكية الجنوبية ، ثم المكسيك (فوق المائة مليون نسمة) .

وفي الطرف المقابل كيانات سياسية صغري تصل إلي خمسة آلاف ك م (ترينيداد وتوباجو) بل وصل الأمر إلي كيانات سكانها أقل من مائة ألف نسمة (برمودا) تماماً كما حدث في جنوب شرق آسيا ، وفي العالم العربي ، ففي الأولي – مثلا – برو ناي ، المساحة ٦آلاف ك م ، السكان ثلث مليون نسمة إلي جانب اندونيسيا (سكانها فوق المائتي مليون) ماليزيا (٣٣٣ ألف ك م ، ٢٥ مليون نسمة تقريباً) وإلي الجنوب منها سنغافورة (٤مليون نسمة تقريبا ، في أقل من ألف ك م = ٦٣٩ ك) مدينة في دولة ، ودولة هي مدينة ، مع احترامنا الشديد لكل بلد .

و في العالم العربي البحرين (٦٩١ ك م – ٦٠٠ ألف نسمة) إلي جانب الكويت العزيزة (١٨ألف ك م – مليوناً نسمة) إلي جانب السعودية (مليونان وخمس المليون ك م – فوق العشرين مليون نسمة) العراق الجريح (٢٥ مليون نسمة – ٤٣٨الف ك م).

وأخيراً وليس آخرا زرع كيان غريب في قلب العالم العربي ، لغة غريبة عن الناس هي العبرية ، ودين آخر هو اليهودية ، وثقافة هي الأخرى غريبة ، لا تنسجم مع الوسط العربي ، إن هذا الكيان ليس كياناً عبرياً أو يهودياً ، أو حتى

صهيونياً ، وإنما هو كيان غربي أوربي حتى النخاع ، وربما يكون لنا عود لهذي النقطة فيما بعد ، أوفى الملاحق .

على أي الأحوال فإنا نعود إلي أمر الأمريكيتين ، والعود دوما أحمد من كل المحامد ، فنقول : لقد بدا التقسيم الأوربي منذ الوهلة الأولي للاستعمار الأوربي للعالم الجديد ، كيف ؟ لقد انهارت دولة الأذكا في البيرو تحت ضربات الأسبان ، ليس هذا فقط ، بل إنه في عامي ١٤٩٣ – ١٤٩٤ بعيد وصول كولومبس مباشرة قسمت أمريكا الجنوبية بين أسبانيا والبرتغال بمقتضي معاهدة (توردِيسِلاّس) وبعد وصول الأسبان استولوا على معظم أجزاء أمريكا اللاتينية ، وانحصر نشاطهم في الفترة من ١٤٩٣ إلي ١٥٠٥ م في منطقة الكاريبي ، حيث قاعدتهم في (سانت دمينجو) .

وفي سنة ١٥٢٣ تركز غزو الأسبان على المكسيك التي أطلقوا عليها : (أسبانيا الجديدة) وكذا البيرو ، فأسقطوا الإمبراطوريات القديمة بها ، وانتشر الاستعمار بعد ذلك في شتي أنحاء القارة الجنوبية ، وتفشى كالوباء الوبيل .

وفي حين حافظت البرتغال على وحدتها في البرازيل تشظت أملاك الأسبان ومستعمراتها حتى وصلت ١٨ دولة سنة ١٩٠٠، ليس أسبانيا والبرتغال كانت هنا فقط ، بل فرنسا وهولندا وبريطانيا في جيانا و هاييتي وجمايكا وترينيداد وبعض الجزر الصغيرة ..الخ وإن كان قطار الاستقلال قد شمر عن ساقيه ، خاصة بعد أن ضعفت أسبانيا بسبب الحرب النابليونية .

ومن أوائل الدول التي استقلت الولايات المتحدة وكان هذا سنة ١٧٧٦ ، وبريطانيا المحتل السابق اعترفت باستقلال الجمهورية الجديدة١٧٨٣، والتي تكونت من ١٣ ولاية فقط ، يسكنها سنتها مليونان من البشر فقط .

ولكن الجمهورية الوليدة تمكنت من زيادة ولاياتها إلي نصف المائة ، سواء بالحرب – كما حدث مع المكسيك مثلاً – أوبوضع اليد وبالشراء ، فاشترت من نابليون ولاية (لويزيانا) ١٨٠٣م ، كما اشترت ولاية (فلوريدا) من أسبانيا ١٨١٩م [1] .

فليست روسيا الوحيدة **التي باعت** جزءا من الأرض إلي الولايات المتحدة ، وإنما أيضاً فرنسا النابليونية ، والإمبراطورية الأسبانية أيضاً .

والآن الأمريكتان انقسمتا إلي شمال غني (كندا – الولايات المتحدة) والجنوب الفقير ، فيه باقي القارتين ، أو ما عرف بأمريكا اللاتينية ، ونتعرف أولاً على مظاهر هذا التقسيم وكيف استخدم الكيل بمكيالين مختلفين ، غني في مكان ، وإفقار في آخر ، ولحساب الغني ، ثم نحاول ثانياً أن نبحث عن السبب في إغناء هذا وإفقار ذلك .

أولاً مظاهر التقسيم [2]: ولعل من المفيد أن ينعم القارئ النظر فيما يلي :

١- لم يكن ثمن المنسوجات الإنجليزية المصدرة إلي البرازيل يدفع بأقل من الذهب ، في حين بقيت أنوال النسيج مشلولة ، ولم يُكتف بقتل الصناعة البرازيلية ، وهي لا تزال في البيضة ، بل صفيت كل جراثيم أي نوع من التطور الصناعي في البرازيل ، كما حظر تكرير السكر ١٧١٥م ، وبعدها بأربعة عشر عاماً فقط اعتبر شق طرق مواصلات جديدة في أقاليم المناجم جريمة ، كما أمُر بحرق مصانع الغزل والنسيج البرازيلية .

١- فايد : ص ٤٨-٤٩.

٢- جاليانو : ١٠٣-١٦٠.

٢- أدت محاولات قمع تجارة العبيد إلي رفع أسعار العبيد ، وضاعفت أرباح النخاسين بشكل متسارع ، كان التجار يعطون بندقية قديمة مقابل كل رجل قوي ينتزع من القارة الإفريقية الحبيبة ليعاد بيعه في كوبا – مثلاً – بأكثر من ستمائة دولار ، ومع هذا منع هؤلاء التجـــار (النخاسون) الناس من أن يصنعوا في بلادهم إبرة أو حدوة حصان فما فوقها.

٣- وفي المقابل كان صعود الولايات المتحدة وتدعيمها كنسق مستقل اقتصادياً لا يستنزف الثروة الوليدة المتولدة والمتوالدة على ظهره نحو الخارج ، لقد تمتع هذا النسق – حتى قبل الاستقلال ١٧٧٦ – بحوافز وضروب حماية رسمية ، وأبدت انجلترا مرونة واضحة تجاه الولايات المتحدة ، في ذات الوقت الذي حرمت على مستعمرات أخري في أمريكا اللاتينية وفي غيرها وحظرت عليها بحسم أن تصنع ولو دبوساً .

إذن أسفر اكتشاف العالم الجديد عن تقسيم القارتين إلى شمال يحظى بكل الحماية والرعاية ، سيما الولايات المتحدة، وجنوب حظر عليه أن يصنع ولودبوسا أو حتى حدوة حصان ، فما السر في هذا التقسيم ؟ والرأي أن هذا يرجع إلى نقاء العنصر الأبيض ، أو محافظته على هذه النقاوة ، كيف ؟ هذا ما يتضح فيما يلي :

١) حافظ البيض في الشمال على نقاوتهم بأن وضعوا قوانين صارمة للتفرقة العنصرية ، في حين نجدهم في الجنوب اللاتيني اختلطوا بجميع الأجناس التي تسكن القارة ، ففي كندا رأينا الإنجليز والفرنسيين ٨٠ % من

عدد السكان الإجمالي [1] وإن كان البلد قليل السكان قياسا بالولايات المتحدة ، ففي كندا = ٣٠ مليون نسمة تقريباً ، فقط لا غير .

٢) ومن الجنوب نعطي مثالا مهما ، البرازيل الكيان الأكبر على الإطلاق في الأمريكية اللاتينية ، والأكبر بعد الولايات المتحدة – على مستوى القارتين – لقد تميز تاريخ هذا البلد عن تاريخ تكوين معظم الأمم التي كانت مستعمرة بميزة شديد الخصوصية ، ألا و هي عملية الاختلاط العرقي والثقافي العالية الكثافة .

فالمستعمرون البرتغاليون على العكس من الإنجليز في أمريكا الشمالية تركوا عائلاتهم ، وجاءوا إلى البرازيل في جماعات صغيرة ، معظمها من الرجال ، فكان من الطبيعي أن يتخذوا لأنفسهم زوجات من الموجودات في المنطقة من السكان الأصليين في البداية ، ثم من

الإفريقيات فيما بعد ، على عكس ما كان عليه الحال في المستعمرات الإنجليزية في أمريكا الشمالية ، حيث قوة الرابطة الأسرية ، والرقابة الدينية الصارمة من المجتمع ، وهكذا قبلت البرازيل منذ البداية باختلاط الأعراق كأمر واقع .

لقد سعدوا بالاختلاط بالنساء الملونات منذ أول اتصال بالمجتمع الملـــــون (غير الأوربي) ونتج عن ذلك ما لا يحصى من الأطفال مختلطي الأعراق ، حتى إن بضعة آلاف من الرجال تمكنوا من استعمار مناطق شاسعة ، ومنافسة أضخم وأكثر الشعوب عددا في سعة الأراضي المستعمرة ، وفاعلية النشاط الاستعماري وذلك كله بسبب هذه السياسة التي تقبل الاختلاط بالملونين .

١- فايد : ص ٢٠ .
٢- الميد ، خوزية موريشيو : الأدب والاندماج العرقي ، مجلة ديوجين ، القاهرة ٢٠٠٢ ، العدد ١٩١/١٣٥ص ٩٨.

وبرغم أن كل هذا لم يمح النعرات العرقية تماماً ، إلا أنه جعل من فرض سياسة تمييز صارمة ، مثل تلك التي تطورت في الولايات المتحدة ومعظم الإمبراطوريات الاستعمارية ، جعل من هذه السياسة العنصرية أمرا غير ممكن في البرازيل .

إذن فالقضية هي قضية عنصر ، والمشروع مشروع أوربي ، أو ذو طابع أوربي ، فالمجتمع الذي يبقى (على الحِجْر) الأوربي ويحظى بتدليل أوربي عليه أن يأخذ بوجهة النظر الأوربية التي ترى بقاء العنصر نقيا من مخالطة الآخرين ، مفتاح الرعاية والثروة والغنى ، وإذا تنازل المجتمع أو تهاون في هذه النقائية فقد كل رعاية أو عناية ، وترك للفقر والناقة وكان خادماً وظهراً ذلولا للأغنياء الذين يتفننون في استغلاله .

وهذا أيضاً سبب دعم المشروع الإسرائيلي في قلب العالم العربي ، هو في الحقيقة كما سلف مشروع أوربي حتى النخاع ، لقد نبتت الفكرة في أوربة ، تيودورهرتزل (١٨٦٠ – ١٩٠٤ م) مؤسس الحركة الصهيونية كاتب نمساوي وإن كان هنجاري (مجري) المولد ، مارس نشاطه بحرية شديدة وبدعم كامل من أوربة ، خاصة الزعيمة الكبرى التي لم تك تغيب عنها الشمس ، هي هي صاحبة وعد بلفور ١٩١٧ ، وهي التي احتلت فلسطين حتى سلمتها بيضة مقشرة جاهزة للحركة الصهيونية مايو ١٩٤٨ .

ولا تنس عزيزي القارئ أن أول مؤتمر صهيوني عقد في بال السويسرية عام ١٨٩٧ ، وسويسرا هي صاحبة الصيت الشهير في الحياد ، ومع هذا إنعقد المؤتمر الصهيوني الأول على أراضيها .

وكان المقدر لهذه القاعدة الأوربية أو طليعة الفكر الأوربي في بلاد العرب - كيان أوربي حتى النخاع- كان المقدر لهذا الكيان أن يتميز بالمحافظة على العنصر الأبيض ويتمسك بنقائه حتى النهاية ، كان المقدر له أن يكون كياناً غنياً متقدماً في وسط متخلف فقير – من وجهة نظرهم – ولكن الرياح أتت بما لا تشتهي السُّفُن ، لقد ظهر البترول في أرض العرب فاغتنى الناس ، ولم يغرقوا في الفقر وفي الفاقة ، كما تصور المتصورون ، برغم سعي المستهلكين الحثيث الملحف لشراء البترول العربي بأبخس ثمن ممكن، يوافقهم في هذا منتجون عجم أو عرب.

من طريف الصدف أن المشروع الأوربي اختار شمال الوطن العربي ، أو اختار فلسطين كنواة لمشروعه الذي اتخذ شعار (من النيل إلى الفرات) هذه المنطقة التي يحتضنها النهران هي تماماً تماماً قمة الوطن العربي في شمال شماله ، حتى تنتقل الفكرة الأوربية المعشوقة ، شمال غني ، وجنوب فقير .

وعندما قام الكيان الأوربي في فلسطيننا على جماجم مليون عربي من أصحاب الأرض ، ما بين شهيد وطريد ، مات دفاعاً عن أرضه ، أو اخرج عنها ، فتاه في البلاد وتشرد بين العباد ، حتى لم يبق منهم في وطنهم غير ربع مليون عربي أو اقل عام ١٩٤٨ .

من الربع مليون زاد العرب في الكيان الجديد إلى أن أصبحوا الآن أكثرمن ٤ ملايين ، يتوقع أن يكونوا سنة ٢٠١٠ = ٦ ملايين ، وفي ٢٠٢٠ ربما يصلون إلى ٩ ملايين ، كما زاد – بطبيعة الحال – العرب بشكل عام حتى أصبحوا الآن ٣٢٠ مليوناً ، ويتوقع أن يكونوا نصف مليار عام ٢٠٢٠ م .

واعجب معي إن كنت من العاجبين المتعجبين ، إن أوربة المعاصرة تحاكم مؤرخيها وعلماءها وباحثيها إن هم أبدوا أي رأي في تنكيل أوربة باليهود التي

تتشبث بشكل ملفت للنظر ، لا نظير له في تاريخ البشرية ، بإثبات التهمة على نفسها ، وما جارودي وإيرفنج منا ببعيد ، ولن يكون عنا ببعيد .

ترى لو جاء أحد أبناء القارة ليدافع – من وجهة نظره – عن بلده أو قارته ، أو حتى ما يرى أنه الصح ، أيكون هذا جزاؤه ؟ لكن أوربة تفعل هذا دفاعاً عن مشروعها هي لا عن المشروع الصهيوني ، ولا عن صالح اليهود ، بل يرون أن نفي هذه الجريمة التي ارتكبتها ، أو حتى التشكيك فيها يمكن أن يؤدي إلى اهتزاز مشروعها هي ، وتخطيطها هي ، وصالحها هي ، هذا ما ينبغي أن ننعم النظر فيه جميعاً .

وآخر ما يذكر هنا أو يقال ما حدث فى- ٢٠٠٦/٣/١٤ - عندما فوجئ الناس في العالم أجمع باقتحام القوات المدججة بالسلاح سجن أريحا للقبض على أحمد سعدات وفؤاد الشبكي ورفقائهما ، وينقل السجناء من سجن السلطة الفلسطينية إلى سجن إسرائيلي ، الظاهر هنا للباده أن اليد الأوربية بعيدة بريئة براءة الذيب من دم ابن يعقوب – عليهما السلام – ولكن القاضي والداني يعرف بدء الحكاية ، وربما حبكة النهاية ؟ .

لقد اتفق الحكماء والوسطاء على أن يسجن هؤلاء المساكن في سجن فلسطيني الأرض والبناء ، ولكن مع انتقاء الحراس والسجانين من ذوي الجلدة البيضاء ، من بلاد الضباب الأوربية ، ومن امتدادها في الولايات المتحدة الأمريكية ، الحراس البيض ، الأمريكان والإنجليز انسحبوا من حراسة الذئب على الغنم ، بعدها بدقائق على أصابع اليد الواحدة تعد ، جاءت القوات الإسرائيلية ، بقيت طوال نور النهار تقصف وتزمجر وتهدم ، وعندما حل الظلام وظفرت بصيدها ، لتعلن للعالم أن سعدات ومن معه قد استسلموا أخيراً للقوات المظفرة .

أما وزير خارجية الدولة الأوربية التي كانت زعيمة فقد أعلن على الملأ ؟
كنا نعلم أن القوات الإسرائيلية سوف تقتحم السجن ، وقد سحبنا جنودنا لأننا خشينا على حياتهم وقد أبلغنا السلطة الفلسطينية بهذا ، هذا السلطة هي المسئولة عما حدث لأنها لا تستطيع القضاء على الإرهاب الفلسطيني ، إنه المنطق الأوربي.

نحن لا ندافع عن أحد ، ولا نحاول تبرئة احد ، فان المنطق الأوربي شديد الحزم في التعامل مع المبِّرئين ، ولو كان المبَّرءون أوربيين ، ولكن نحاول إلقاء الضوء على اللاعبين المهمين الرئيسين في زرع هذا الكيان الأوربي في الجسم العربي .

ليس اليد الأوربية فقط هي التى أسهمت في إنشاء هذا الكيان وتقف الآن تدعمه وتغذيه وتسمنه وتدلله حتى الرمق الأخير ، بل من بنى جلدتنا من أسهم بحظ وافر في إنشاء دولة ١٥ مايو ١٩٤٨ ، ودون الدخول في تفاصيل ومتاهات التاريخ نذكر للقارئ ما حكاه أحد المجاهدين العرب على إحدى الفضائيات من أنه دخل السجن في بلده العربي المتاخم للأرض المحتلة ، لماذا ؟

يذكر بصوت متهدج هدَّه السن في أرذل العمر : لقد علمنا بحاجة المقاومين في فلسطين إلى بعض العتاد الخفيف جداً هذا العتاد كان عبارة عن :
(حجارة) ولاعة السجاير ، يقول : فكان الحل أن نهرب هذا عن طريق الحجاج الفلسطينيين ، وبرغم كل الإحتياطات فإن سلطات الجمارك في البلد العربي الذي مر عليه الحجاج تمكنوا لدقتهم الشديدة ويقظتهم من العثور على حجارة الولاعة وكانت سلطات البلد من اليقظة أيضاً بحيث استطاعت أن تعرف أبعاد الموضوع ، لتضع أطراف الموضوع ورءوسه في سجونها .

والشيء بالشيء يذكر فلا يستغرب ولا ينكر ، وعودة مرة أخرى إلى دور الغرب فى خدمة بلاد العرب على طريقته ، إذ يحكى أن لويس التاسع ملك فرنسا دعا بعض أمراء المغول ، واتفق معه على انه يتجه التتار من الشرق إلى حاضرة الخلافة بغداد لتدميرها ، في حين يتولى الفرنسيون غزو البلاد من الغرب لإعاقة الجيش المصري وتعطيله ، وكان الغرض الرئيس القوات التحالف التتري – الأوربي الاستيلاء في نهاية الأمر على بيت المقدس .

ليس هذا فقط ، بل أرسل لويس هذا قائداً من قواده إلى عظيم التتار يشد أزره لقتال المسلمين . . . كما يتوجه الملك الفرنسي على رأس حملة إلى مصرنا ١٢٥٠ م ، لكن الحملة دحرت في دمياط ، وأسر الملك لويس ، ثم رجع إلى بلاده ومعه مائة جندي فقط ، من أصل ثمانين ألف عسكري ، قتل أكثرهم وأسر الباقون.

أما التتار فقد أخذوا في طريقهم الأخضر واليابس حتى دخلوا حاضرة الخلافة ٦٥٦ هـ ، قضى على الخلافة ، وقتل آخر الخلفاء العباسيين (المستعصم) وعدد لا يحصى من الأعيان والعامة ، حتى قيل قتل من المسلمين في بغداد مليونان من البشر .

أي أن اجتياح العالم الإسلامي حتى تحطيم راس الخلافة في بغدادنا كان بدعم وتخطيط وتحريض من أوربة أيضاً ، هو أيضاً مشروع أوربي حتى النخاع ، تماماً تماماً كما فعل التحالف الغربي الأنجلو أمريكي عام ٢٠٠٣ بالعودة مرة أخرى إلى بغداد ، لكن حسبنا ما قلنا ، ولله الأمر من بعد ومن قبل .

بعيد هذه الاستفاضة والاستطرادة نعود سراعاً سراعاً من الوطن العربي إلى أمريكا اللاتينية ، فإن المصائب يجمعن المصابينا لنتحدث عن أثر آخر من مآثر القدم الأوربية في الأرض التي سميت بالأمريكية ، وهو :

١) قتل التنوع الثقافي واللغوي : بعد قتل البشر وتحطيم الحجر والشجر والمدر والوبر بدأت عملية إبادة للتنوع الثقافي واللغوي على أرض القارة ، لقد ترتب على قتل الإنسان وزرع نوع آخر من اللسان ، أو قل زرع نوع آخر من الإنسان أن بادت ثقافات ولغات عديدات في الأمريكيتين كيف ؟.

بمجرد حضور الإنسان الأوربي تغيرت أسماء المكان ، اسمه الآن الأمريكتان ، الشمالية والجنوبية ، الجزء الشمال أصبح أسمه (أمريكا الأنجلو – سكسونية) تسودها لغتان الإنجليزية في الولايات المتحدة وكندا ، والفرنسية في شرق كندا ، خاصة في (كويبك) والتي تسمي (فرنسا الجديدة) .

هذا الجزء الشمالي الغني امتد من أقصي الشمال عند جزر المحيط القطبي وحتى نهر (ريوجراند) الذي مثل مجراه جزءاً من الحدود السياسية بين الولايات المتحدة وبين المكسيك ، أو قل بين أمريكا الشمالية الثرية وبين أمريكا الجنوبية اللاتينية الفقيرة .

ومن الحدود المكسيكية الشمالية حتى أقصي جنوب القارتين تقع أمريكا المنعوتة باللاتينية ، اللغة الأم في القارة الأوربية ، حيث جاءت منها لغات عديدات ، منها الأسبانية والبرتغالية ، والفرق بينهما أن الكلمات العربية فى الأسبانية أكثر منها فى البرتغالية ، وبسبب انتماء اللغتين السابقتين إلي اللاتينية كانت التسمية الأمريكية اللاتينية ، تسميات أوربية هي حتى النخاع ، نخاع النخاع البرتغالية في البرازيل فقط ، والأسبانية في باقي أمريكا اللاتينية كله[١] .

ونقتبس بعض ما قاله باحثون أوربيون وأمريكيون :

١- فايد : ص ٨.

أ- رانكا بيلياك [1] : لغوي من جامعة بواتيه الفرنسية ، إنه يري أن غزوات أوربة الاستعمارية تسببت في انخفاض حاد في التنوع اللغوي ، واستبعدت على الأقل ١٥ فى المائة من اللغات التي كان يتكلم بها الناس في ذياك الوقت اللغة ليست فقط الأداة الرئيسة للتواصل الإنساني فقط ، إنها أيضاً تعبر عن رؤية أصحابها للعالم وعن خيالهم وأساليب استخدامهم للمعرفة .

ونضيف إلي ما قاله (رانكا) أن اللغة ليست ساعي البريد الذي ينقل الرسالة من المرسل إلي المرسل إليه ، أو من المتكلم إلي السامع ، من الكاتب إلي القارئ ، بل لها بصمة و تأثير على متكلميها وكاتبيها ، هي تطبعهم بطابعها و هم أيضاً يطبعونها بطابعها ، فالتأثير متبادل بين اللغة وأصحابها ، وبين الناس ولغتهم ، وهكذا .

ب- رولاند بريتون[2] : لغوي وجغرافي فرنسي ، إنه يري الاستعمار الثقافي أكثر مكراً بكثير من الاستعمار الاقتصادي ، والذي هو ملموس ومرئي بدرجة أقل من العسكري والسياسي ، والذي تكون تجاوزاته واضحة ، جلية لكل ذي عينين ، ويكون من الخطأ – في رأي حسني النية – القول بأن السيطرة الحالية للغة الإنجليزية هي شيء متعمد مقصود ، نظمته ودعمته القوة الأنجلو – سكسونية ، جذباً إلي جنب خططهم السياسية ، وكذا التغلغل في الاقتصاد العالمي بواسطة شركاتهم متعددة الجنسيات والقوميات ، إن حرب اللغات نادراً ما انتبه الناس إليها على أنها حرب حقيقية ، إنها لم تعلن ابدأ في أي مكان ، أو بعبارة أخري لا تقوم بشكل معلن واضح وصراح .

٢- ٦٠٠٠ لغة ، تراث يستعد للقتال ، رسالة اليونسكو ، القاهرة أبريل ٢٠٠٠ ، ص ١٨.
١- هل يمكن إنزال الإنجليزية عن عرشها ؟ رسالة اليونسكو القاهرة ٢٠٠٠،ص ٢٤،٢٣.

وعلى مدي الثلاثمائة سنة الأخيرة لم يتبق في أستراليا – مثلاً – سوي ٢٠ لغة فقط ، من مجموع ٢٥٠ لغيّة – تصغير لغة – كانت في نهاية القرن الثامن عشر ، وفي البرازيل فقط ماتت ٤٥٠ لغة ، وهي ثلاثة أرباع إجمالي اللغات التي كانت قبل الاستعمار البرتغالي ١٥٣٠.

في أمريكا الشمالية تواجه لغات أهل البلاد الأصليين أكبر تهديد ، وباستثناء قليل جداً منها تتعرض اللغات المائتان للهنود للأمريكيين التي عاشت حتى الآن في الولايات المتحدة للخطر .

وما يقرب من ثلث إلي نصف لغات الهنود الأمريكيين الخمسمائة في أمريكا اللاتينية تتعرض للخطر مع التنبؤ بأعلى معدل للانقراض في البرازيل ، حيث أغلب اللغات تتكلمها مجتمعات صغيرة جداً .

إن آثار موت اللغات خطيرة لأسباب عديدة ، أولها أنّا إذا انتهينا إلي الكلام جميعاً بلغة واحدة فإن عقولنا سوف تفقد بعضاً من قدرتها الطبيعية على الابتكار اللغوي ، ولن نستطيع أبداً أن نسبر غور اللغة الإنسانية وأصولها ، وبموت كل لغة يغلق فصل من تاريخ البشرية إلي الأبد ، ولا يفتح أبداً .

إن تعدد اللغات هو أدق انعكاس لتعدد الثقافات ، فتدمير اللغات يؤدي حتماً إلي ضياع الثقافات ، إن فرض لغة ليس لها رابطة بثقافة شعب ما وأسلوبه في المعيشة يخنق التعبير عن عبقريتهم ، إن الاستراتيجيات العسكرية والسياسية والدبلوماسية والاقتصادية للقوى الكبرى يمكن دراستها ومقاومتها ، ولكن الاستراتيجيات اللغوية تبدو غير واضحة ، وضمنية غامضة ، وحتى بريئة أو غير مرئية ، إن تاريخ القرن الماضي قد أجبر قوي عديدة على اتخاذ موقف متواضع

جداً تجاه اللغة ، ولكن هل أدركت هذه القوي أن عليها أن تقاوم سيطرة اللغة الواحدة المستبدة التي تروم – تريد – احتناك اللغات الأخرى والقضاء عليها؟ .

إن القضاء على اللغات سواء بقصد أو بدون هي واحدة من الأدوات الرئيسة لقتل الأعراق ولحرمان الشعوب من ثقافاتها التي كانت دائماً جريمة الاستعمار ، والتي يغفل عنها كثير من الناس غير مقدرين لحجمها وخطورتها .

جـ - لويزا مافّي : هي [1] باحثة لغوية و (أنتروبولوجية) ودارسة للبيولوجيا العرقية ، وهي مؤسِّسة ورئيسة لهيئة Terralingua (التنوع اللغوي البيولوجي) وهي هيئة عالمية وغير حكومية ، مقرها العاصمة الأمريكية واشنطن ، ومهمتها دعم التنوع اللغوي في العالم ، واكتشاف الروابط بين التنوع اللغوي والثقافي وبين التنوع البيولوجي عن طريق البحوث والتوعية وإفشاء المعلومات عن هذا التنوع ، ورسم السياسات الداعمة لهذا التنوع ، لويزا أيضاً محررة كتاب نشر عن التنوع الثقافي والبيولوجي : لغة التواصل والمعرفة والبيئة (عام ٢٠٠١م) .

ماذا تقول هذه الباحثة ؟ إنها تقول : اللغة جسر متحرك ونشط بين الماضي والمستقبل ، وأداة الانتقال المستمر والمتجدد لمعارف الأمة ومعتقداتها وقيمها وممارستها ... ولقد طرحت في تسعينات القرن الماضي فكرة وجود روابط بين التنوع اللغوي والثقافي وبين التنوع البيولوجي باعتبارهما مظهرين متمايزين ، لكن كلا منهما يعزز الآخر .

كما أشارت البحوث إلي العلاقات القائمة بين اللغة والبيئة ، فاللغة هي المستودع الرئيس للمعرفة والأداة الجوهرية لنقلها ، ونظراً للترابط بين قضايا البيئة

١- اللغات والمعارف المعرضة للانقراض ، ديوجين ، مطبوعات اليونسكو بالقاهرة ، نوفمبر ٢٠٠٢ ، ص ١٧٣.

والثقافة واللغة وحقوق الإنسان ، ظهر مجال علمي جديد سمي (التنوع الثقافي البيولوجي) .

مرة أخري انجلت المعركة عن قضاء على اللغات المحلية والثقافات لتزرع أربع لغات غريبة عن القارتين ، هي (الإنجليزية – الأسبانية – البرتغالية – الفرنسية) ولكن ؟ ماذا حدث بعد ذلك ؟ زحف من اللغة الإنجليزية والأسبانية على البرتغالية ، هذا الزحف الذي أثار قلق المتحدثين بالبرتغالية ؟.

في مقالة آريان ويتكوفسكي بعنوان (طعم اللغة الهجينة) ويقصد باللغة الهجينة البرتغالية يقول آريان : لازالت البرتغال والبرازيل إذا أردنا استعارة عبارة برنارد شو – عن بريطانيا العظمي والولايات المتحدة عندما قال :

" الأمريكيون والبريطانيون أولاد عمومة ، فرقتهم لغة مشتركة [١] ".

يعلل آريان هذا بأن الأفلام البرتغالية تعرض في البرازيل مترجمة ، أي من اللغة البرتغالية إلي البرازيلية ، مع أن المفترض أنهما لغة واحدة لا تحتاج إلي ترجمة .

أما مبررات القلق على البرتغالية لدي الكاتب المذكور فيراها في أمرين :

١- أعلن الخبراء أنه بعد توحيد الجمارك في دول السوق المشتركة لأمريكا الجنوبية فإن اللغة المشتركة بين دولها ستصبح فعلياً الأسبانية ، لأن البرتغالية موجودة في دولة واحدة هي البرازيل ، في حين باقي دول أمريكا الجنوبية يتحدثون الأسبانية .

---

[١]- نقلنا نص عبارة برنارد شو من كتاب دين آلن فوستر (المساومة عبر الحدود ...) ص ١٠١.

٢- أكبر دولة إفريقية تستخدم البرتغالية لغة رسمية و هي (موزانبيق)[١] ، غزتها بالفعل اللغة الإنجليزية ، وكان هذا نتيجة قربها من جنوب إفريقية التي تجذب كثيراً من الأيدي العاملة .

واللغة الإنجليزية لا تترك البرتغالية حتى في عقر دارها البرازيل ، فقد ذكر جاليانوا [٢] : بعثات تبشيرية من الكنيسة البروتستانتية للولايات المتحدة أساساً احتلت الأمازون ... تنشر على نطاق واسع موانع الحمل ، وتعلم الإنجليزية للهنود وليس لغة الناس أو لغة البلد الذي يعيشون فيه ، تعلمهم اللغة الأجنبية مع مبادئ البروتستانتية ، وتطوق مناطقهم عناصر مسلحة ، بحيث لا يستطيع أحد النفاذ إليها .

نعود للبرتغالية مرة أخري لنذكر أن هذه اللغة لم تكن مثار قلق للمثقفين والمسئولين أكثر مما كانت عليه في نهاية القرن الماضي ؛ لذا تأسست ١٩٩٦، وبمبادرة من الحكومتين البرتغالية والبرازيلية (رابطة الدول الناطقة بالبرتغالية) CPLP وقعت عليها سبع دول (٢٠٠مليون نسمة) وقد أثارت فكرة التحدث بالبرتغالية حماسة جديدة ، أريق فيها الكثير من الدماء والمواد والجدل ، ويختم آريان حديثة ببعض الشعارات التي يرفعها الآن بعض متحدثي البرتغالية ، مثل :-

- من لغتي أستطيع أن أري البحر .
- لغتي هي [٣] وطني .

---

[٢]- تقع على الساحل الشرقي الجنوبي للقارة الإفريقية الجنوبية ، المطل على مضيق موزنبيق ، والذي يفصلها عن جزيرة مدغشقر ، الواقعة إلي الشرق من المضيق المذكور ، سكان موزنبيق حوالي (٢٠ مليون نسمة) في مساحة ثلاثة أرباع المليون كم تقريباً ، يحدها من الجنوب الشرقي جنوب إفريقية ، ومن الغرب (زمبابوي ومالاوي) ومن الشمال كينيا . أما عاصمة موزنبيق فهي مابوتو التي تقع أقصي جنوب البلاد ، بالقرب من الحدود مع جنوب إفريقية وسوازيلاند كما يبدوا في الخرائط الملحقة .

[١]- مرجع سابق : ص ١٨٠.

٢- بل اللغة أهم من الوطن ، لأن اللغة إذا ضاعت فلا عودة لها ، في حين يمكن أن يعود الوطن السليب إلي أصحابه.

على أية حال ليست البرتغالية وحدها في هذا القلق بل شاركتها لغات أخري فاجتمعت دولها وبلدانها للمجاحشة والذب عنها ، فكانت القمم الأسبانية الأمريكية التي تجمع كل عامين أكثر من عشرين دولة (٣٥٠مليون نسمة) ناهيك عن مؤتمرات للمتكلمين بالهولندية والتركية والفرنسية بطبيعة الحال [١] .

ليس اللغة الأجنبية فقط التي زرعها المستعمرون في العالم الجديد ، بل أيضاً الكاثوليكية ، فقبل كل حملة عسكرية كان يجب على القادة أن يقرءوا أمام كاتب عمومي إنذارا مسهباً وبليغاً يستحثهم على اعتناق الكاثوليكية المقدسة مهدداً متوعداً :" وإذا لم تفعلوا ، أو أبديتم في ذلك إبطاء بسوء طوية فإنني أشهدكم على أنني بعون الرب سأحمل عليكم بسطوة ، وسأشن عليكم الحرب في كل مكان ، وبكل طريقة أستطيعها ، وسأخضعكم لطاعة الكنيسة وصاحبة الجلالة وسآخذ نساءكم وأبناءكم سبايا ، وأبيعهم بيع العبيد ، وسأتصرف فيهم كما تأمر جلالتها وسآخذ أملاكهم ، وأوقع بكم كل ما أستطيع من شرور وأذي[٢] ".

هذه هي الروح الديمقراطية الأوربية ، وحرية الرأي والاعتقاد لدي أوربة ، هم لا يريدون من الآخر أن يفعل ما يريدون فقط ، بل أيضاً أن يقتنع الآخر ، ومن قلبه ، ومن سواء قلبه راضياً ممتناً شاكراً للأوربيين أياديهم البيضاء عليه .

الدعاية الأمريكية الشمالية تتشبت وتلح في عملها على أن فرص سيطرة الولايات المتحدة بقوتها الجغرافية – السياسية على جمهوريات الموز – مثلاً – في

٣- بريتون : مرجع سابق ، ص ٢٤.

[١]- جاليانو : ص ٢٣.

أمريكا اللاتينية على أنها موافق عليها ومقبولة لتكون هذه البلاد آمنة ومسالمة لشركات الموز الأمريكية [١] .

وفي عالم العرب فعلوا نفس الشيء الذي فعلوه في العالم الجديد ،انقسم الشعب العربي إلى ٢٢ دولة ، وزرعوا في أحشائه اللغات الأجنبية عنه ، الفرنسية في المغرب والجزائر ، وبدرجة أقل في تونس ولبنان ، الإنجليزية في مصر والسودان ، وفي الوقت الراهن تندفع الإنجليزية بالدفع الأمريكي لمزاحمة لغتنا العربية في مصر والخليج ، وفي عقر دارها ومعاقلها ، ومن أسف أن بعض بني يعرب يلهثون خلف هذه اللغة الأجنبية متوهمين أنها مفتاح الجنان في الدُّنا والآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ويبدو أن هذه المعاناة التي كابدها الناس في أمريكا اللاتينية قد أفرزت أدبا راقياً متميزاً وعالمياً ، وهذا ما يبدو لنا فيما يلي :

أولاً : عندما فاز الأدب العربي بأول جائزة من نوبل ١٩٨٨ كانت أمريكا اللاتينية حصدت أربع جوائز، هذه الجائز التي يبدو وكأنها أوربية غربية تماماً ، قد فاز فيها الأدب اللاتيني – كما ظهر – بأكبر قدر من الجوائز ، بعد الآداب الأوربية .

جائزة نوبل للآداب بدأت ١٩٠١ م بفوز الفرنسي (رينيه سولي برودم) فإذا نظرنا إلى الجائزة حتى سنة ١٩٩٣ م ، حوالي مائة سنة ، أو مائة مرة منحت الجائزة وجدنا أنها حجبت ٧ مرات ، كما أعطيت لأوربيين من أمريكا الشمالية ٨٥

٢- كرانج ، مايك : الجغرافيا الثقافية ، أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية ، ترجمة د. سعيد منتاق ، عالم المعرفة بالكويت ، يوليو ٢٠٠٥ م ، ص ١٧٩.

مرة ، أي حوالي ٨٥ % من الجوائز حصدها أدباء غربيون ، والباقي ١٥٠ % وزعت كالآتي :

- أمريكا اللاتينية ٧ مرات .
- الاتحاد السوفيتي ٤ مرات .
- اليابان وجنوب إفريقية والهند ومصر ونيجيريا مرة واحدة لكل بلد .

قد يكون في حرمان الأدب العربي إلا من جائزة واحدة يتيمة بعض الغبن أو التجاهل ، لكن سبق الأدب اللاتيني في جوائز نوبل لن يكون – أو لا نتصور أن يكون – بسبب المجاملة ، وإنما نرى أن هذا الأدب خرج من رحم المعاناة التي عاناها الناس هناك ، ربما بشكل غير مشابه لأية منطقة من مناطق العالم ، ومن ثم كانت قوة هذا الأدب .

ثانياً : قد كنت أعرف أن هذا الظلم الذي وقع لإخوتنا في الخلق هناك قد ولد مناضلين مشهورين ومغمورين على السواء ، لكنه في ذات الوقت ولد أدباً راقياً يستحق أن يصل مرتبة العالمية ، وفي مكتبتي عثرت على أحد الكتب بعنوان الشرايين المفتوحة لأمريكا اللاتينية ، تاريخ مضاد كتبة إدوارد وجاليانو ، ترجم الكتاب ونشر في مصرنا ١٩٩٤ م عن الطبعة الحادية والثلاثين ، ولقد أتاحت لي إحدى إجازات الأعياد أن أقرأه من الألف إلى الياء ، فرأيت فيه قطعة أدبية راقية ، وما أرى هذا إلا لأن الكاتب يعبر عن معاناة حقيقية غير مفتعلة ، وعذابات واقعية بلا تهويل أو تهوين .

هل تأثر بالأدب العربي والفكر العربي ؟ نعم هذا أمر وارد ، فقد جاء في الكتاب المذكور [1] : " ذكر القرآن الموز بين أشجار الجنة . . . " في إشارة إلى

١- ص ١٣٤ .

قوله تعالى : " وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود [١] " .

إذن فهل يرجع الكتاب في بلاغته وجمال أسلوبه الشائق الرائق الفائق إلى التأثر بالأدب العربي ، أو ربما كان هذا من أثر الترجمة ، أو من فعل التراجمة ؟ الرأي أن كلا العاملين ليسا كافيين – من وجهة نظري – ليكون الكتاب بهذه الصورة الأدبية الراقية ، بل- كما قلنا – لأنه خرج من رحم المعاناة البالغة ، وعبر بصدق وإخلاص عن بؤس الناس ومآسيهم المفجعة ، ولذا أفردنا اقتباساً مطولاً من الكتاب في ملحق هذه الدراسة ، حاولنا الاختصار قدر الطاقة والوسع ، برغم إغراء الكتاب وأسلوبه ، والذي نأمل أن تدرس هذي المقتبسات لطلابنا .

والآن نتساءل : بما أن هذا الأسلوب المشرق لم يك بفعل التراجمة أو تأثراً بأدب العربية ، وإن كان لهذين العاملين الدور الذي يذكر هنا ولا ينكر ، فهل هذا يعني أن الترجمة قادرة على نقل الأدب بصوره وبلاغته ورونقه ؟ نعم إن هذه الترجمة مما يثبت كل هذا ولا ينفيه ، وما أظن الترجمة وحدها بقادرة على وضع الكتاب على هذه الصورة الأدبية الراقية ، وإنما هذا من فعل أسلوب المؤلف نفسه.

٢- ٢٧ – ٣٠ الواقعة .

الجالية العربية في أمريكا اللاتينية

أول شيء يحسن بنا ذكره هنا ، هل وصل العرب إلى العالم الجديد قبيل أو قبل الغزو الأوربي الأخير في عام ١٤٩٢ ؟ هذا ما رأيناه في مصدرين ، كتاب وبعض المواقع على الشبكة :

١. الكتاب : (العالم الإسلامي) للأستاذ محمود [1] شاكر الذي ذكر فيه :

يبدو أن السواحل الشمالية لأمريكا الجنوبية قد شهدت تجمعات عربية قبل معرفة الأوربيين لتلك القارة ، لقد أكد الدكتور (هوى لزلى) أستاذ علم الذبات بجامعة بنسلفانيا – وهو من أصل صيني – في محاضرة ألقاها في " الجمعية الشرقية الأمريكية) في (فلادلفيا) أن المسلمين وصلوا إلى السواحل الشمالية لأمريكا الجنوبية من الطرف الغربي للعالم الإسلامي وبالتحديد من الدار البيضاء " .

وأعتقد أنهم ساروا من الدار البيضاء على المحيط الأطلسي ، ومنها إلى الجنوب الغربي في جزر الكناري الأسبانية أو إلى جزر (مادورا) البرتغالية أولا ثم جزر الكناري ، ومنها إلى جزر الرأس الأخضر وتقع إلى الغرب من سواحل السنغال في داخل المحيط .

ومن الرأس الأخضر تحرك العرب غرباً حتى جزر الأنتيل فهذه النقطة هي الأقرب تماماً إلى الرأس الأخضر ، فالدكتور (هوى) يذكر أن المسلمين وصلوا السواحل الشمالية لأمريكا الجنوبية ، هذه السواحل هي الأقرب جداً إلى جزر الأنتيل الصغرى ، هذا هو الطريق الذي نتصوره لرواية الباحث الصيني التي ذكرت قبلاً ، والتي استندت إلى : " وثائق محفوظة في الصين ، تعود إلى القرنين

---

٢ – بيروت ١٤٠٣ هـ ، ص ٣٤٥ .

السادس والسابع . . . وبعد أن أمضى ثمانية أعوام في تتبع انتشار المحاصيل الزراعية في شتى أنحاء العالم " .

وقد أيد هذا الرأي الدكتور (لين سينج يانج) أستاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد ، والدكتور (ريتشارد رودلف) الذي قال : " ينبغي على العرب أن يتابعوا دراسة تاريخهم مبتدئين من هذه النقطة " كذلك عثر على صخرة بالقرب من مدينة (ريودي جانيرا) البرازيلية عليها نقوش قريبة الشكل من الحروف العربية القديمة ، وقد زاد عدد القائلين بهذا ، كما زادت الآثار الدالة على ذلك ، وأضحى هذا الرأي شائعاً ، وخاصة في البرازيل .

٢. على الشبكة : من بعض المواقع على الشبكة الدولية قرأنا لك - عزيزي القارئ – ما يلي : تشير كثير من الدراسات إلى أن المسلمين- العرب - سبقوا كولمبس في الوصول إلى أمريكا اللاتينية ، بعد عدة سنوات من البحث والدراسة في تاريخ أمريكا اللاتينية ، كشف الباحثان عبد الهادي بازورتو ، وداذيال دنتن في محاضرة ألقياها في جامعة كاليفورنيا عن جوانب تشابه في طرق المعيشة التي كان يمارسها السكان الأصليون من الهنود الحمر المعروفين بقبائل الأزنك ، مع طرق معيشة المسلمين [١] ، كما عرض المحاضران عدداً من الوثائق ، وسردا مجموعة من القصص التي تناقلتها أجيال متعاقبة من الأزنك ، ظهرت فيها إشارات واضحة إلى آثار إسلامية كانت موجودة قبل كريستوف كولمبس والمستكشفين الأوربيين مما يعد دليلاً على أن العرب قد وصلوا إلى القبائل الهندية في الأمريكتين قبل وصول الأوربيين إلى تلك الأرض بقرون ، ويضيف

١ - يلاحظ أننا نستخدم لفظي (المسلمين والعرب) بشكل مترادف أحياناً .

الموقـع المـذكور [1] : وتشـير دراسـات أخـرى إلـى أن عـددا مـن البحـارة العرب من بقايا الممالك الأندلسية كانوا ضمن أعضاء البعثة الاستكشافية التي قادها كولمبس ١٤٩٢ ، نظراً لتفوق العرب في علوم الفلك والملاحة وصناعة السفن ، إضافة إلى ذلك فقد كانت نسبة كبيرة من الإفريقيين الذين أتى بهم إلى أمريكا اللاتينية من شمال القارة الحبيبة و شرقها كانوا من العـرب أو مـن المسـلمين ، وانتهـى بهـم المطـاف فـي البرازيـل وفنـزويلا وكولومبيا .

وأضيف بأن بعض ملامح القوم في أمريكـا اللاتينية تبـدو عربية تمامـا ، فالرئيس الفنزويلى الحالى هوجو شافيز يظهر من قراءة وجهة أنه شرقي السمات ، وعربي في القسمات ، وجهه وقوامه يذكران بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وجهة نظر خبير في قراءة الوجه .

ويشير ذياك الموقع إلى أن عدد المسلمين في أمريكا اللاتينية يقدر الآن بأربعة ملايين نسمة ، منهم مليون ونصف – أو أقل -- في البرازيل ، عملاق أمريكا اللاتينية ، وفي الأرجنتين ثلاثة أرباع المليون ، نصف هذه الأعداد من المهاجرين وأبنائهم ، ونصفهم الآخر من السكان الأصليين .

وفي الموقع أن الهجرات من البلاد العربية والإسلامية بدأت في منتصف القـرن التاسـع عشـر ، وإبـان الحـربين العـالميتين ، الأولـى والثانيـة ، معظـم تلـك الهجرات جاءت من سورية ولبنان وفلسطين ، ومن الهند والباكستان .

1- www.alqoqaz.net

المهاجرين العرب في البرازيل والأرجنتين استخدموا المطابع العربية في نهاية القرن التاسع عشر لإصدار الصحف باللغة العربية .

وقد ساهمت الصحوة الإسلامية في الشرق وفي الغرب على السواء على زيارة التواصل مع المسلمين في أمريكا اللاتينية من خلال الهجرات الحديثة أو الزيارات التي يقوم بها المسئولون العرب أو المسلمون ، والدعاة ، يضاف إلى هذا زيادة طباعة ترجمات القرآن الكريم باللغات التي يتحدث بها أهل تلك البلاد ، وطباعة الكتب التعليمية التي تربطهم بالإسلام وتدعوا إليه ، وترفع مستواهم العلمي ووعيهم .

ومع هذا فإن شعوب أمريكا اللاتينية تعيش حالياً فراغا روحياً لم تستطع الكنيسة أن تملأه ، ولا يزال عدد كبير منهم يبحث عن الدين القادر على تلبية حاجاتهم الروحية والعقائدية .

ومنذ حوالي عشر سنوات قرأت في إحدى المجلات العربية الشهيرة أن أحد بني يعرب ذهب إلى البرازيل لدراسة الدكتوراه في الهندسة ، لكنه فوجئ بأن الناس يطلبون منه- بما أنه عربي - أن يعلمهم اللغة العربية ، كيف يعلمهم وماذا يعلمهم ؟ أحسست انه يصرخ بأعلى صوت : (الحقوني يا عرب) .

وقد أرسلت له كيف يعلم العربية ، وقبل كيف يتعلم هو نفسه اللغة العربية ، ومن أين يبدأ ، ثم أرسلت له مجموعة من الكتب الأساسية في عمله ، ثم كتب لي بعد ذلك كيف يقبل الناس في البرازيل على تعلم العربية ، وكيف يحسون بالفراغ الروحي والديني ، ويحتاجون إلى من يدعوهم لديننا.

وفـي بعـض حلقـات [1] فضـائية الجزيـرة التـي خصصـت لأمريكـا اللاتينيـة ذكرت إحدى الفتيات التي خطبها أحد المهاجرين العرب من العراق الجريح أن العرب لهم ثقافتهم التي يتمسكون بها حتى في غربتهم ، أو خاصة في غربتهم ومهجرهم ، في حين تحس هذه الفتاة (البيضاء) بأنه لا ثقافة لها ، ولا للمجتمع من حولها ، وكانت تقول هذا والدموع تنزل من عينيها .

ومنذ خمس سنوات نشر ملحق (الإيمان) في الكويت [2] أن السفراء العرب في الحاضرة الكولومبية (بوجوتا) يقترحون إنشاء قسم اللغة العربية في جامعة بوجوتا ، وطلب السفراء العرب من الجامعات المصرية إبداء رأيها في كبينة إنشاء القسـم ، ومنهـا جامعـة المنصـورة ، حيـث قمـت بكتابـة مقترحـاتي لإنشـاء القسـم المقترح.

وفي ذات الصفحة التي نقلنا عنها ما سبق وجدت خبرا آخر عن الأرجنتين جاء فيه : " بهدف الإسهام في نشر قيم الإسلام ومبادئ الدين الحنيف في أمريكا اللاتينية ، قام مكتب الثقافة والدعوة الإسلامية بالأرجنتين بترجمة عدد من أمهات الكتب الإسلامية إلي اللغة الأسبانية وطباعتها وتوزيعها على الجمعيات والمراكز الإسـلامية فـي الأرجنتـين ، وبعـض الـدول المجـاورة الناطقـة بالأسـبانية ، وذلـك لمسـاعدة مسـلمي المنطقـة علـى الفهـم الصـحيح لـدينهم ، خاصـة أن أغلـبهم ولـدوا وعاشوا في هذه المجتمعات ، ونكاد تكون الترجمات هي المصدر الوحيد لثقافتهم الإسـلامية ، وفهـم المعلومـات الشـرعية والعبـادات والمعـاملات ".

ويضـيف الخبـر :" إن المكتـب قـام بتوزيـع أعـداد كبيـرة مـن هـذه الكتـب

١ – في بداية عام ٢٠٠٦ .
٢ – ٢٠٠١/٣/٩ م ، ص ١ .

والمطبوعات على المراكز الثقافية والمكتبات الحكومية الأرجنتينية المهمة مثل المكتبة العامة في بيونس أيرس التي تعتبر من أكبر المكتبات العامة في أمريكا اللاتينية ، ومكتبة البرلمان الأرجنتيني ، والمكتبات الجامعية في : (بيونس أيرس – مندوسا – لابلاتا – ماردي لابلاتا) وذلك لعرضها والإفادة منها ، وإطلاع غير المسلمين الراغبين في التعرف على الإسلام ".

" هذه الكتب المترجمة تشمل صحيح مسلم ، والخلفاء الراشدين ، وصور من حياة الصحابة ، والمذكرة الفقهية ، والجنازة في الإسلام ، وأريد أن أتوب والأذكار ، فضلاً عن مطويات عن : حقوق الإنسان في الإسلام ، والعدل والمساواة في الإسلام ، والنظام الأخلاقي في الإسلام ، والعبادة في الإسلام ، والمسيح – عليه السلام – في القرآن ، وتعريف بالإسلام والقرآن الكريم ، وغيرها ، كما انضم المكتب إلي موقع على الإنترنت لبث معلومات عن الإسلام باللغتين العربية والأسبانية ".

والشيء بالشيء يذكر ، وبما أننا في مجال الصحافة فإنّا نذكر أيضاً ما جاء في مجلة الوعي الإسلامي [1] الكويتية ، و هذه المرة عن هنود المكسيك :" ذكرت صحيفة لوفيجارو الفرنسية أن الإسلام بدأ ينتشر بين هنود المكسيك ، وانه أصبح للمسلمين في شمال مدينة سان كريستوبال المكسيكية حي كامل ، يضم مدرسة ومصنع أثاث وورشة حياكة ومطعماً " .

أضافت المجلة :" إن الهنود بعد أن تنازعتهم الديانات المختلفة ، بدءوا يميلون إلي الإسلام ، فأقاموا حياً كاملاً لهم في سان كريستوبال ، يعلو فيه صوت الأذان

---

[1]- فبراير ٢٠٠٦م،ص٩٠.

خمس مرات يومياً ، وترتدي فيه الهنديات المسلمات الحجاب ، ويسرن جنباً إلي جنب مع السيدات المسنات من الهنود بملابسهن التقليدية ".

" وتضم الطائفة الإسلامية من الهنود الحمر – حالياً – نحو مائة مسلم ، أنشأها أسباني اهتدي إلي الإسلام الذي يقول : إن أسرتين مسلمتين من أسبانيا تعيشان اليوم مع مسلمي سان كريستوبال من المكسيكيين الهنود ، أو من المخلطين في قرية أسمها شامولا، ويصف الإسلام للصحافيين : إنه نور حَلّ بقلوب الهنود ليهديهم إلي الطريق القويم ... إن الهنود الذين طردوا من أراضيهم في السبعينات مازالوا إلي الآن يتعرضون للتنكيل ، لكنهم وجدوا ضالتهم أخيراً في الإسلام ؛ ليصنعوا بفضله هويتهم الجديدة ".

وكأن عذابات السنين لم تكف ظالميهم ، فأعادوا طردهم – ولا نقول طردوهم – حتى السبعينات ، أيضاً لم ينسوا التنكيل أيضاً ، أو قل استمرار التنكيل بهؤلاء المساكين المنكل بهم طوال التاريخ .

على أية حال فإننا ننتقل من الوعي الإسلامي والتنكيل بإخوة الخلق والبشر إلي أحد المواقع التي تتحدث عن العرب في أمريكا اللاتينية ، إنه موقع الجزيرة[1] على الشبكة ، والذي قدم ملخص كتاب " الوطن العربي وأمريكا اللاتينية " يجمع أعمال مشروع لليونسكو بعنوان (إسهام الحضارة العربية في ثقافة أمريكا اللاتينية عبر أسبانيا والبرتغالية) قام بترجمته إلي العربية مركز دراسات الوحدة العربية .

ويتكون المشروع من ثلاثة أجزاء ، الأول والثاني تناولا التأثيرات غير المباشرة للثقافة العربية الإسلامية في أمريكا اللاتينية ، والثالث التأثيرات المباشرة للثقافة العربية التي أفرزها وصول المهاجرين العربي ، وتضمن عناوين مثل (

---

1 - www.aljazeera.net .

الهجرة العربية إلـي أمريكا اللاتينية - الإسـهام الاقتصادي والثقافي للمهـاجرين العرب في أمريكا الوسطي في القرن التاسع عشر والعشرين – الحركة الأدبية في أمريكا اللاتينية – حرب الخليج في الصحافة الأمريكية اللاتينية) .

لقد عرف تاريخ العـالم منذ منتصف القرن التاسع عشر واحدة من أكثر الهجرات البشرية أهمية في التاريخ ، وبرغم تراجع الأهمية العددية للهجرة العربية إلي أمريكا اللاتينية ، إلا أنها لم تتوقف إلي اليوم ، وإن عرفت مسارا آخر من حيث الانتمـاء الـديني للمهـاجرين بعد انـدلاع الحـرب الأهليـة اللبنانيـة ١٩٧٥م إذ أصبحت أعلي نسبة منهم من الطائفة الشيعية .

ومن جهة أخري فإن الاقتصاد الرأسمالي [1] الأوربي أدي إلي تدمير البنى الاقتصادية المحلية في الزراعة والصناعات التقليدية دون إنشاء بديل جديد إضافة إلي النمو السكاني الذي عرفته مناطق مثل جبل لبنان ، كل هذا جعل من الهجرة إلي الخارج أمراً حتمياً ، لا مفر منها ، وذلك للخروج من حالة البؤس التي عاشها الناس في أوطانهم .

بدأت الهجرة بالمسيحيين اللبنانيين ، تصوروا أنهم ذاهبون إلي قوم على دينهم ، ولذا توقعوا أن يجدوا أنفسهم وكأنهم في أوطانهم ، لم تك أسباب الهجرة اقتصادية فقط ، بل كانت سياسية وثقافية ، من الانتداب الفرنسي والبريطاني وقيام دولة إسرائيل ١٩٤٨م ، والحرب الأهلية في لبنان – كما سلف – ثم هناك دوافع ذاتية فردية ، رغبة المهاجر في تحقيق النجاح وجمع الثروة ، وهنا لا تصبح الهجرة وسيلة لضمان العيش الكريم ، وإنما للحصول على اعتراف الآخرين وإعجابهم .

---

[2]- جريمة أخري من جرائم الرأسمالية الأوربية المستمرة على رءوس الناس إلي يوم الناس هذا ، والتي لن تتوقف أولاً يراد لها أن تتوقف حتى تدوس في طريقها كل شيء ، لا تترك نفساً من البشر ، ولا ظلاً من الحجر أو الشجر أو المدر .

وهنا نقف وقفة عجلي أمام الكليمات الأخيرة (اعتراف الآخرين وإعجابهم) وتقديرهم ، و هذا هو الهدف الرئيس والمحوري لأي إنسان في هذه الحياة ، أن يحظى برضا الآخر وتقديرهم ، وهذا ما يدفع الناس – في رأيي – للهجرة ، وليس المال ، ولذا فإن هجرة العلماء والكفاءات لا يكون هدفه الرئيس الثروة بقدر ما يكمن في الحصول على تقدير المجتمع من حولهم ، وإدارته على وجه الخصوص.

وعند مشاهدة إحدى الفضائيات العربية سألتني ابنتي :" لماذا نجد أعظم المتحدثين وأبرعهم في الفضائيات ممن يعملون في الخارج ؟" لأنهم لا يجدون تقديراً من أي نوع في بلادهم ، أعظم نعمة يتحفون بها هي الإهمال والسكوت حتى يقتل العاملون والمبدعون صمتاً وصبراً ،لكنهم في معظم الأحوال تشن عليهم حرب لا هوادة فيها حتى يخرج عن بلده أو يقول (حقي برقبتي) يعلن رايات الاستسلام دون قيد أو شرط .

كنت أحكي لرئيس أحد الأقسام في جامعة مرموقة أن أحد شباب قسمه من الباحثين قد نشر بحثاً له في دورية عربية متميزة وأن هذا ما يستحق الإشادة داخل القسم والكلية ، ولكن سيادته بدا على وجهه الشحوب والصفرة ، يغالب ريقه ، ينصح بالابتعاد عن هذه الموضوعات لأنها لا تفيد في الترقية إلي الدرجة الأعلى ، نغلق هذا الملف المثير للشجن والشجي والأسى لنعود إلي موضوعنا : فنقول : لم يعد الاهتمام بالعربية لدي متحدثي الأسبانية حكراً على المهتمين بالتاريخ والأدب والتيارات الفكرية والسياسية في العالم العربي المعاصر ، هذا من الجانب الأسباني ، وفي الجانب العربي بدأت الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية من خلال عدد من جمعياتها ، ومنذ ما يزيد على نصف قرن بتنظيم الملتقيات العلمية والمؤتمرات والمعارض التي تعرف بالماضي العربي المجيد ، وبإسهام الحضارة العربية الإسلامية في تقدم

الإنسانية ، دون أن ننسي ما هو متجذر من مظاهر هذه الحضارة في بلدان أمريكا اللاتينية .

أما الأسبانية في العالم العربي فقد أقتصر الاهتمام بها مدة طويلة على الباحثين المهتمين بالحضارة الأندلسية ،إلا أن السنوات الأخيرة شهدت نو عاً من الاهتمام المتزايد بالتاريخ والأدب المعاصرين للعالم الأيبيري وأمريكا اللاتينية .

عودة مرة أخري إلي العرب فر أمريكا اللاتينية ، فنأخذ نموذجين للعرب في دولتين ، هما الأهم الأرجنتين والبرازيل / كما أنهما يمثلان العرب – أو النموذج العربي – في باقي البلدان اللاتينية ، فعن الأولي نشير إلي أن قانون ١٨٧٦ صدر بتشجيع الهجرة ، فاستقبلت البلاد ١٨٩٥ – ١٩١٤ أكبر موجة هجرة في تاريخها ثلاثة ونصف المليون مهاجر ، من بينهم ١٣٠ ألف مهاجر عربي ، إلا أن عدد المهاجرين العرب تراجع بعد ذلك فغادر الأرجنتين أثناء الحرب العالمية الأولي حوالي خمسة آلاف مهاجر عربي مقابل ألف وفدوا إليها .

بدأت الأرجنتين منذ ١٩٣٠ تضع قيوداً على الهجرة إليها بعد الانقلاب العسكري فيها والأزمة الاقتصادية العالمية ، إلا أنه بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٦٧ هاجر إليها أكثر من ٣٥ ألف عربي .

شاعت بين العرب في الأرجنتين التجارة المتجولة ، وأصبحت بهم مقترنة ملتصقة ، برغم أنهم لم يكونوا أول من مارسها في الأرجنتين ، سبقهم إليها الإيطاليون ، غير أن العرب سيطروا عليها بشكل كامل منذ ثمانيات القرن التاسع عشر ، و مع اندلاع الحرب العالمية الثانية وبسبب أخطار الملاحة التي عاقت وصول النسيج الأوربي إلي أسواق أمريكا اللاتينية ازدهرت الصناعة العربية في الأرجنتين والبرازيل لأنها تحولت إلي بديل للمنتجات الأوربية .

وهذه بركة من بركات الاستيراد من الخارج تزدان بها البلدان المستوردة ، إنه الخراب والدمار ، على العكس من توقف الاستيراد من الخارج ، إنه يدير عجلة العمل والإنتاج في الداخل ، هذه العجلة يريد بها الخارج وناس ومن بني جلدتنا في الوطن أن تتحطم وإلي الأبد ، فلا تقوم لها أبداً الدهر قائمة .

المستويات الثقافية للمهاجرين العرب كانت مختلفة ، وتبع ذلك درجات مختلفة من الاندماج في المجتمع الجديد ، فالمثقفون والأغنياء وسكان الحضر استطاعوا الاندماج في الطبقة (الأرستقراطية) وشهد الجيل الأول حالات كثيرة من الزواج من خارج الجالية ، وشهد الجيل الثاني والثالث من المهاجرين عودة إلي اعتبار الدين في الزواج ، خاصة بالنسبة للنساء المسلمات .

وعن الحركة الأدبية العربية في المهجر يذكر أن العرب أصدروا هناك مجموعة من الصحف ، وإن كانت صفيحاتها قليلة ، وبأسلوب أقرب إلي العامية كما أنها لم تأخذ طابع الأهمية إلا بداية القرن العشرين ، ومن أهمها أخبار الوطن.

ولا ننسي أن عددا من المهاجرين العرب كانوا من المثقفين والشعراء الشبان ، هؤلاء حمل بعضهم – وهم في الطريق إلي المهجر – في حقيبته كتباً عربية لقراءتها ، وفي قلبه بقايا أحاسيس منكسرة ، واستعارات أدبية متشوقة لرؤية طاقة نور ، وأنشأ هؤلاء – فيما بعد – حركة أدبية عربية ، متميزة في أسلوبها ومنهجها وروحانيتها ، اعتبرت ثورة فريدة في نوعها في تاريخ أدبنا العربي .

ويسجل التاريخ هجرة مجموعة من الشعراء إلي البرازيل ، منهم إلياس فرحات ١٩١٠ ، ورشيد سليم الخوري ١٩١٣ ، وبوصول أمثال الشاعرين إلي العالم الجديد تم تأسيس النوادي الأدبية (الرابطة القلمية في نيويورك ١٩٢٠-

العصبة الأندلسية ساو باولو ١٩٣٣- ندوة الأدب العربي بيونس أيرس ١٩٤٨- الندوة الأدبية سانتياجو حاضرة تشيلي ١٩٥٥..) الخ .

وعن الترجمة بين الأسبانية والعربية تجدر الإشارة إلي أنه منذ النصف الثاني من القرن الماضي وبفضل إنشاء مراكز وأقسام اللغة الأسبانية في عدد من المؤسسات الجامعية في البلدان العربية ، بدأت الدراسات العربية المهتمة بالعالم الأسباني تمس شيئاً فشيئاً موضوعات لم تك تتطرق إليها من قبل ، لقد عرف عقداً السبعينات والثمانينات قفزة مهمة في الترجمة من الأسبانية إلي العربية – كماً وكيفاً – مقارنة بالعقود السابقة ، ترجم ما يزيد عن ستين عملاً ، وفي مجال الشعر ترجمت عدة أعمال سمحت للقصيدة الشعرية الأسبانية أن تتخطي الحقل الأكاديمي العربي ، لتصل إلي جمهور أوسع من القراء ، وفي سنوات الخمسينات عرفت الترجمة خطوة مهمة تمثلت في صدور طبعات باللغة الأسبانية لثلاثة أعمال ، الأيام لطه حسين ، ويوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثالث هو مختارات من الشعر العربي المعاصر .

ومن موقع الجزيرة ننقل بعض المعلومات عن الجالية اللبنانية ، نحاول تلخيصها فيما يلي :-

- اهتمام كبار رجال الدولة اللبنانية بالمهاجرين من أبناء الوطن ،وعلي رأسهم فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية إميل لحود ورئيس الوزراء الراحل الشهيد رفيق الحريري ، ورئيس مجلس النواب نبيه بري وغيرهم من المسئولين ، سواء بحضور مؤتمرات المغتربين في الوطن ، أو خارجه ، وكذا الزيارات المتبادلة بين المسئولين اللبنانيين ونظرائهم في أمريكا اللاتينية ،وغيرها .

- لم يكن الهدف هو الهجرة الطويلة ، بل العودة السريعة إلي الوطن فقد هاجروا وقلوبهم معلقة بالوطن ، اتخذوا المهجر وطناً ثانيا تعلموا لغته وعاداته ، أحبوه واحترموه وأخلصوا له ، انخرطوا في جميع حقول العلم والخدمة الإنسانية والمحافظة على الوطن الجديد ، كما حافظوا على لبنان .

وعليه فإن لبنان المهجر بألف خير في الماضي والحاضر ، ففي الماضي كان جبران خليل جبران (١٨٨٣ – ١٩٣١ م) وميخائيل نعيمة (١٨٨٩-) وحسن كامل الطباخ [١] (١٨٩٤ – ١٩٣٥) وغيرهم ، ومن المعاصرين : جاك ناصر كارلوس غص – كارلوس مسعد . . . إلخ .

سكان لبنان ٤ ملايين نسمة ، وفي الغربة خمسة أضعافهم = ٢٠ مليون منحدر من أصل لبناني ، ينتشرون في العالم أجمع وكما استفادت الدول من المغتربين اللبنانيين ، فإن لبنان الوطن يمكن أن يستفيد من أبنائه ، ولو فعل هذا لكان بألف خير .

إذا نسى لبنان أبناءه المغتربين فإنهم لم ينسوا لبنانهم ، كانوا له العون الدائم والابن البار قبل الحرب ووقتها وبعدها ، حولوا للوطن ٤ مليارات سنوياً ، بمعدل ألف دولار لكل مواطن مقيم .

إن أكثر الدول إفادة من مغتلربيها الهند ، يحول مغتربوها عشرة مليارات سنوياً ، لكن سكان الهند فوق المليار ، ولذا فإن نصيب الهندي من هذه الدولات المحولة عشرة دولات أو أقل ، في مقابل ألف لكل لبناني .

---

١ – عالم لبناني ، سجل عدداً من المخترعات في حقل الكهرباء .

إلى جانب الدعم المالي قدم المغتربون من أصل لبناني الدعم السياسي والاقتصادي ، بإقامة المؤسسات مثل المعهد العربي الأمريكي ، وحملة من أجل لبنان وغرف التجارة والنوادي والجامعات والمجالس .

كما قام المغتربون في جميع أنحاء العالم بتأسيس مجلس المغتربين اللبناني الذي يضم رجال أعمال ومثقفين وإختصاصيين وخريجين ؛ ليكون المجلس أداة الاتصال والعمل والتفاعل بين المغتربين ، وليكون اللوبي الذي يدافع عن مصالح لبنان الاقتصادية والسياسية في أنحاء العالم ، وبالتنسيق مع مؤسسات المغتربين العرب ، وكل هذا مقدمة لإنشاء لوبي عربي في العالم .

لقد عقدت مؤتمرات المجلس في أنحاء شتى من العالم مثل بلجيكا برعاية الأمير لوران ، وفي دبي برعاية سمو الشيخ حمد بن راشد آل مكتوم ، وفي عام ٢٠٠٣ في البرازيل برعاية رئيس مجلس الوزراء الشهيد رفيق الحريري – رحمة الله – وبحضور رئيسة الجمهورية (لولا دي سلفيا) وعدد كبير من الوزراء والنواب ورجال الأعمال من لبنان والبرازيل ، وكانت الزيارات المتبادلة بين رئيسي البلديين تتويجاً لهذه العلاقات المميزة وتأكيد نجاح المؤتمر .

الرئيس إميل لحود حظي بإشادة المجلس في مؤتمر ٢٠٠٤ في لبنان فخراً به قائدا للبنان وقف مع كل لبنان ، بشماله وبقاعه وساحله ، خاصة مع جنوبه كي تصمد المقاومة ويتم التحرير ، فقد كانت المقاومة اللبنانية – ولا تزال في نظر المغتربين- مثلا يحتذي لكل من أراد أن يحرر وطنه من أيدي الغاصبين ، حتى أصبح لبنان فخر العرب ، كل العرب ، جديراً بحبهم واحترامهم الذي يأمله مغتربو لبنان ، كما حظي دولة الرئيس نبيه برى ، رئيس مجلس النواب بإشادة أخرى ، فهو المغترب الأول والأعلم بأمور المغتربين ومعاناتهم ، فإن إخلاصه لقضية

المغتربين وزياراته لهم في إفريقية وأستراليا وأمريكا والبرازيل يؤكد أنه أول مسئول يهتم بشئونهم .

وقد أدت جهود الرئيس نبيه بري إلى نتائج إيجابية خاصة في البرازيل بتوقيع اتفاقيات سياحية واقتصادية وثنائية تعود على لبنان بالخير ، وتحافظ على الجالية اللبنانية في البرازيل ، وتعود عليها بفوائد جمة .

ويقدم المغتربون تطلعاتهم نحو القضاء على الفساد الإداري والاقتصادي الشر الذي يهدم أسس الوطن ، وهو أيضاً من أسباب عدم الاستثمار في لبنان ، وعدم عودة بعض الشركات اللبنانية والأجنبية إلى لبنان .

المغتربون بقدراتهم المالية والاقتصادية يستطيعون زيادة الدعم المالي والاستثمار إذا توفرت أسس نجاح المشاريع الاستثمارية ، مثل عدالة القانون ، ومعاملة الجميع بقانون واحد ، وشفافية المعاملات الرسمية وسرعة الإنجاز .

وكذا تطوير دوائر التقنية لحوسبة جميع المعاملات ، ونشر الشبكة الدولية وتوسيعها وتسريعها لتمتد إلى جميع المؤسسات الحكومية والخاصة والمدارس والمنازل وتحسين المواصلات والكهرباء والاتصالات الهاتفية والمحلية والدولية ، وأن تكون أسعار الكهرباء والاتصالات بسعر معقول .

وأن يكون القضاء اللبناني عادلاً لا يعطل من أجل المصالح الشخصية ، وسرعة البت في الدعاوى بحيث لا يزيد البت في الدعاوى- أية دعوى - أكثر من ستة أشهر .

ليس هذا فقط ، ولكن المغتربين يقدمون بعض المقترحات منها :

١- بعودة وزارة المغتربين التي ألغيت .

٢- أن يكون للمغتربين ١٢ نائباً ، اثنان من كل قارة ، ينتخبون في السفارات والقنصليات من لبنانيين مغتربين ، يحملون الجنسية اللبنانية وجواز السفر اللبناني ، ويكون لهم كل حقوق النواب اللبنانيين .

٣- فتح مجال الحصول على الجنسية اللبنانية لكل مغترب من أصل لبناني يرغب في الحصول على الجنسية والجواز اللبناني ويكون له الحق في الانتخاب في سفارته أو بواسطة الشبكة الدولية لمرشحين من المغتربين.

إن لهذا المطلب مردوداً اقتصاديا ، كيف ؟ إذا تقدم لطلب الجنسية ١٠ % من أصل ٢٠ مليون ذوي جذور لبنانية ، فسنجد أمامنا مليوني طلب ، سوف يدفع كل واحد حوالي ألف دولار ، ما بين طلب الجنسية ورسوم الجواز . . . إلخ ليصبح العائد ملياري دولار ، زد على هذا تجديد الجوازات وزيادة عدد السياح ، فكل من حصل على الجنسية لا بد أن يزور لبنان ، ولو مرة كل سنتين ، وكل هذا يصب في مصلحة لبنان .

٤- عدد الخرجين في لبنان يزيد عن ١٥ ألف جامعي سنوياً ، ٨٠ % أو أكثر لا يحصلون على عمل عند تخرجهم ، وأكثريتهم الساحقة تحاول السفر إلى الخارج ، ولكنهم لا يعرفون كيف ؟ الدولة الآن لا تؤمن لهم فرص العمل ، ولا تساعدهم على السفر ، ولا تقدم النصيحة للطالب لتحديد نوعية الدراسة المطلوبة للعمل .

والمطلوب أن تعمل الدولة مع مجلس المغتربين لإيجاد مؤسسة خاصة تساعد الخريجين على إيجاد فرص عمل خارج لبنان ، ويمكن أن يناقش المغتربون هذا الأمر مع الدول العربية الشقيقة ، ودول إفريقية وأوربة وكندا وغيرها ، وذلك لمعرفة احتياجاتهم لتوظيف الخريجين اللبنانيين ، مما يؤدي إلى مردود اقتصادي

فضلاً عن أهمية وجود هؤلاء الموظفين فى مراكز مهمة من بلدان العالم التي توفر لهم فرص النجاح والإبداع ليرفعوا اسم لبنان عالياً .

٥- تعيين منسقين سياحيين في كل بلاد الاغتراب ، ويستطيع مجلس الاغتراب أن يعين خلال سنة واحدة ما لا يقل عن مائة منسق سياحي في مائه مدينة من مدن العالم ، وهذا ما لا يكلف الدولة أي راتب لهذا المنسق فقط التنسيق مع وزارة السياحة .

٦- تعيين ملحقين تجاريين في بلاد الاغتراب ممن يختارهم مجلس الاغتراب وبدون راتب ، مسئوليتهم تشجيع تصدير البضائع اللبنانية إلى بلاد العالم إن هذا القرار لا يكلف الدولة شيئاً ، ولكن تأثيره في التصدير وتشغيل الأيدي العاملة كبير وخطير ومثمر .

٧- أن تتحمل الدولة مسئوليتها للعمل بشفافية خالصة ومد اليد للمغتربين وأن تفيد من قدراتهم الفكرية والعلمية وخبراتهم في جميع أقطار الأرض ليشفي لبنان من أزمته الاقتصادية والإدارية ، سيما أزمة البطالة وغلاء الأسعار وخدمة الديْن العام .

كان هذا مما جاء في كلمة رئيس مجلس المغتربين في بيروت ٢٠٠٤ ، وقد أفضنا الحديث عن هذي الكلمة لما فيها من معلومات وطموحات ومقترحات يمكن أن نفيد منها في مصرنا ، وإن بعض التقديرات تشير إلى أن عدد المغتربين المصرين هم مليونان اثنان فقط ، عشر المغتربين اللبنانيين، وإن كنت أرى أن المصريين ربما يكونون أكثر ارتباط بمصرهم عن غيرهم ، وبرغم هذا فإن ما ورد من أفكار يمكن الإفادة منها في التعامل مع الجاليات العربية بشكل عام ، لبنانية كانت أو مصرية . . . إلخ .

آخر ما يمكن أن يقال هنا أنه بالإضافة إلى المؤتمر المشار إليه فإن مجلس مغترب لبنان خطط لمؤتمرات أخر ، مثل كندا والولايات المتحدة والمكسيك واستراليا وأوربة ، دعما لاستمرارية العمل ليكون لهذي المؤتمرات المردود الإيجابي في لبنان ، وفي البلاد التي يعيش عليها مغتربوه .

والآن وقد تحدثنا كثيراً عن الجالية العربية في أمريكا اللاتينية ، وخاصة اللبنانية ، نشير إلى أن عدد المسلمين في الأمريكية اللاتينية يقدر الآن ب ٤ ملايين نسمة ، و هو عدد قليل ضئيل جداً ، لا يقارن بعدد المسلمين في العالم ، أو بعدد سكان الأمريكية الجنوبية .

ومن ناحية أحرى فإن العدد الأكبر من هذي الملايين القليلة موجود في البرازيل ، و هو مليون ونصف تقريباً ، و في الأرجنتين ثلاثة أرباع المليون ، مليونان من المهاجرين وأبنائهم ، والنصف الآخر من السكان الأصليين ومن جنسيات مختلفة ، أما المسلمون في كندا والولايات المتحدة فيقدرون ب ٣ ملايين نسمة ، منهم أكثر من مليونين من أصل إفريقي .

انتهينا من الحديث عن أمريكا اللاتينية و ندخل إلى حرم البرازيل لنفصل عنها الكلام ، ونخصص لها بعض الصفحات.

البرازيل سيرة ذاتية (بطاقة تعريف)

أول شئ في السيرة الذاتية لعملاق أمريكا اللاتينية ، أو أية سيرة ذاتية هو الاسم قبل الرسم والوسم ، وقبل المكان والإنسان ، وقبل الحجر والشجر والمدر .

وقد بدأنا نسأل المتخصصين في علم الجغرافيا ، ثم الأخ (جو جل) أو كما يحلو لي أن أسميه أو أعرب اسمه إلى (جلجل) ثم المراجع والمعاجم العربية ثم دوائر المعارف ، فعرفنا أن الأمازون ، كما جاء في معجمنا [1] الكبير – نهر بأمريكا الجنوبية ينبع في جبال الأنديز ، ويصب في المحيط الأطلسي ، أكبر أحواض الأنهار في العالم من حيث المساحة (مليونان وثلاثمائة ألف وعشرون ميلاً [2] مربعاً) ويترامى على أكثر من ٢٥ درجة من درجات العرض ، طول نهر الأمازون = ٦٥٧٠ متراً ، ثاني أطول الأنهار في العالم بعد نهر النيل ٦٦٩٥ متراً .

سمي نهر الأمازون في البداية باسم مكتشف (أورلانا) ثم غلب عليه اسم (الأمازون) وهو مشتق من الأسطورة اليونانية القديمة عن نساء الأمازون المحاربات ، فهو اسم أوربي أيضاً ، وحتى النخاع ؟ أيضاً ، أيضاً .

الأمازون ثاني أنهار العالم من حيث الطول ، والنهر الرئيس في دولة البرازيل ، ولكن هذا الاسم الأخير من أين جاء ؟ هذه المادة (ب رزل) ليست غريبة على السمع ، أو على سمعي ، أحس بأنها كلمة عربية ، حتى النخاع ؟ ربما وربما ، وبالفعل بدأت رحلة البحث عن الكلمة في معاجمنا العربية الموسعة

١- ٤٧٦/١ .
٢- الميل البري ١٦٠٩ أمتار ، والبحري ١٨٥٢ متراً .

(القاموس المحيط – لسان العرب – المعجم الكبير – تاج العروس للزبيدي) وأخرها أضخمها وأوسعها على الإطلاق ، لنصل إلى :

- البُرزل بزنة (فُعْلُل) مثل قُنْفذ ، وهو الضخم من الرجال [١] .
- برزالة – بكسر الباء – بطن من البربر ، منهم : علم الدين القاسم محمد (البرزالي) الأشبيلي الحافظ ، ت ٦٦٥ هـ [٢] .
- البرزلي بضم الباء ، أبو القاسم بن أحمد القيرواني ، ثم التونسي ، الشهير بالبرزلي ، الفقيه والمفتي الحافظ العلامة ، أحد أئمة المذهب المالكي صاحب الديوان المشهور في الفقه والنوازل من كتب المذهب الأجلة ، توفى بتونس ٨٤٤ هـ ، عن مائة سنة زيدوا ثلاثاً من السنوات الهجرية [٣].

هذا ما عثرنا عليه في المعاجم العربية ، فماذا عند المسمى عندنا (جلجل) ؟ أصل تسمية البرازيل ؟ إنه انتشار شجرة اسمها البراسيل يستخرج منها اللون الأحمر للصباغة ، ولكن هذا الاسم الأخير يلاحظ عليه ما يلي :

١. الكلمة مكتوبة بالحرف العربي ومحلاة بأداة التعريف العربية بالألف واللام بعدها ، أي بعد الألف .
٢. لم يذكر لنا موقع (جلجل) من أية لغة هي .
٣. الكلمة (البراسيل) بالسين ، وليس بالزاي ، كما ننطقها في العربية ، لكن من السهل تفسير هذا الاختلاف لأن الزاي هي النظير المجهور للسين ، معنى هذا أن السين حدث لها إجهار ، والسبب أن جميع الأصوات في كلمة Brasil

---

١- الزبيدي – تاج العروس ، مادة (ب رزل) .
٢- السابق .
٣- التنبكتي ، أحمد بابا – نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ترجمة ٤٧٩ .

هي مجهورة باستثناء السين وحدها ؛ ومن ثم تأثرت بما قبلها وما بعدها من الأصوات المجهورة [1] .

وتحول المهموس إلى مجهور مما له أمثلة لا تحصى في العربية وفي غيرها من اللغات ، ونسوق مثالاً واحداً هنا ، وفيه إجهار السين على وجه الخصوص ، أي تحولها إلى زاي ، فقد سئل أحد الأعراب (البدو) هل تنطق (السقر) بالسين، أو الصاد ، أي (الصقر) ؟ قال : (نحن ننطق الزقر) بالزاي لقد تحولت السين إلى زاي ، أي حدث لها (إجهار [2]) كما يحدث للصاد أو غيرها من المهموسات ، فقد أجهرت الصاد في (صراط – أصدق – تصديق – يصدر – فاصدع . . .) إلخ في بعض القراءات [3] القرآنية .

إذن فالعربية تجيز تحول السين إلى زاي ، أي تجيز في كلمة Brasil بالسين ، برازيل بالزاي ، بل إننا وجدنا الكلمة في مواقع على الشبكة مرة بالسين كما سبق ، وأخرى بالزاي ، وذلك في الهجاء اللاتيني Brasil ، اسم العاصمة برازيليا تكتب بالسين هكذا Brasilia ، وينطق في العربية ، وتكتب هكذا (برازيليا) أي بالزاي .

على أي الأحوال فقد رجعنا إلى دائرة المعارف البريطانية لنجد ما ترجمته من الإنجليزية إلى العربية : " الاسم الرسمي : جمهورية البرازيل الاتحادية ، وبالبرتغالية : Republica Federativa do Brasil

اسم البرازيل مشتق من الكلمة البرتغالية Brasil التي تعني أو تشير إلى أشجار البرازيل ذات اللون الضارب إلى الحمرة ، أحد أهم صادرات البلد خلال القرن

١- الصوت المجهور ما تهتز الأوتار في الحنجرة عند نقطه والمهموس العكس ، لا تهتز الأوتار عند نطقه .
٢- جاء في القاموس المحيط : " الزقر الصَقْر ، وزَقَرْ لغة في سَقًر ، ٣٩/٢ .
١- ألبنا – إتحاف البشر ، ص ١٩٣ .

السادس عشر ، أما هذه الأيام فإن البرازيل هي أكبر مصدر لبن القهوة والسكر في العالم ، و برغم الزراعة الخصبة والمعادن والصناعة الحديثة فإن البرازيل تئن تحت وطأة دين خارجي ثقيل وضخم !! " .

عجب عجاب يفوق الوصف والخيال ، دولة عملاقة هي أكبر مصدر في العالم للقهوة و سكرها ، وذات زراعة مزدهرة و صناعة حديثة فضلاً عن مساحة من الأرض تزيد عن ثمانية ونصف المليون ك م ، مع كثافة سكانية ضعيفة متدينة ، ومع هذا يعاني البلد من دين خارجي ثقيل ، إن هذا يرجع – كما سبق – إلى تقسيم العالم إلى شمال غني ، وجنوب ليس فقيراً ، بل يفرض عليه الفقر ، ولعلنا نعود إلى هذه النقطة فيما بعد .

و عودة مرة أخرى إلى دائرة المعارف البريطانية التي تذكر أن الشعب البرازيلي متعدد الأعراق فإن معظم البرازيليين قد اتحدوا على اللغة والدين ، البرتغالية هي اللغة الرسمية ، إلا أن بعض القبائل المنعزلة قدرتها الدائرة البريطانية ب ٣٥ ألف نسمة ، وبعض المهاجرين حديثاً خاصة اليابانيين لا يتحدثون البرتغالية .

أكثر من ٩٠ % من البرازيليين كاثوليك ، الكنيسة انفصلت تماماً عن الدولة منذ عام ١٨٨٩ م ، أي بعد استقلال البرازيل بـ ٦٧ عاماً ، وقد انتهى الآن ما اقتبسناه عن دائرة المعارف البريطانية لتخلص إلى ما يلي :

١. كلمة Brasil هي في الأصل برتغالية .
٢. هذي الكلمة تعني نوعاً من الشجر يميل لونه إلى الحمرة ، ينتشر في البلد وكان أهم صادراتها في القرن السادس عشر .

٣. و هي تكتب بالسين أو بالزاي Brazil أو Brasil . وإن كانت في الأصل البرتغالي بالسين .

٤. تحول السين إلى زاي ، أو إجهار السين من السهل واليسير تبريره صوتياً وعلمياً .

٥. المادة (ب رزل) ليست غريبة في العربية بل وجدناها في (رجل بُرزل) ضخم ، وبطن (برزالة) في البربر ، ثم (البرزلي) أحد أعيان المالكية .

٦. الملاحظ أن (برزالة) البربر كانت في المغرب العربي، أي هي قريبة من الأندلس ، وكذا (البرزالي) المنسوب إلى (برزالة) عاش في أشبيلية الأندلسية .

صحيح أن هذه المدينة تقع الآن جنوب أسبانيا على غير مبعدة من جبل طارق إلا أنها قريبة جداً ، أو بنفس المسافة من جنوب البرتغال أيضاً .

أما (البرزلي) فقد عاش في القيروان التي تقع الآن في جمهورية تونس وهذه المنطقة لا تبعد كثيرا عن مغرب العرب الذي يفصله عن الأراضي الأسبانية جبل طارق يصل منتهى ضيقة إلى ١٣ ك م [١] فقط ، وكان قبلاً يسمى باب الزقاق.

٧. ما معنى كل ما سبق ، معناه أن من المحتمل جداً أن هذه اللفظة (برازيل) جاءت من أصل عربي ، ولكن هذه العربية أو المعربة (بَرازيل) تنطق بفتح الباء ، أو بفتحه قصيرة بين الصامتين الأولين في الكلمة، في حين نجد الكلمة نجد الكلمة في البرتغالية ساكنة الأول ، بدأت بصامتين متجاورين دون حركة بينهما ، هما الباء والراء هكذا Brasil فإن هذا ما تجيزه البرتغالية وغيرها من اللغات

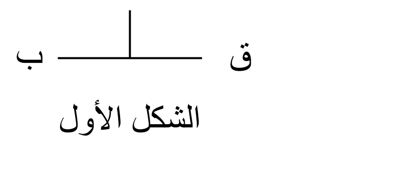
١- المعجم الكبير ٤/٤٥ .

خاصة الأوربية ، ولكن العربية لا تجيزه ، لا تجيز البدء بالصامت الساكن إلا إذا جاءت ألف الوصل هكذا (اكْتب – اسْتراحة) .

هي لا تجير البتة مطلقاً البدء بصامتين دون حركة بينهما ، ولو كانت قصيرة ، ويمكن أن يعتبر حذف الحركة القصيرة من بين الصامتين في البرتغالية تطوراً عن النطق العربي الذي يمنع تجاور صامتين في بدء الكلمة أو بدء المقطع أي أن الكلمة تحولت من النطق البرتغالي Brazil إلى النطق العربي Barazil .

ليس البرازيل فقط التي يمكن إرجاعها إلى أصل عربي ، بل كوبا أيضاً (المساحة ١١١ ألف ك م – السكان ١١ مليون نسمة) تيك – هذه – الكليمة من أصل عربي هو (قبة) و هذه كلمة عربية صميمة ، عندما رأى البحارة العرب الجزيرة لأول مرة رأوها على شكل القبة ، وبالفعل فإن الناظر إلى ذياك البلد يراه على هيئة القبة ، فهو عبارة عن نصف دائرة ، ترتفع من الوسط ، ويقل ارتفاعها التدريجي ، ذات اليمين وذات الشمال ، من الشرق ، ومن أقصى غربها .

و في إحدى خرايط الأطلس [١] العربي (مقياس الرسم ١ : ٣٠ مليوناً) وجدنا أن طول هذه الجزيرة من أقل النقاط انخفاضاً في الجنوب من الشرق إلى الغرب = ٢.٨ سم ، فإذا ما أخذنا أعلى نقطة على القبة ، فى أقصى شمال الجزيرة أخذنا خطا من هذى النقيطة حتى الخط السابق من الشرق إلى الغرب لكان طوله ٩ مم ، هكذا كما فى الشكل .



الشكل الأول

١- ص ٦٤ .

فإذا ما أخذنا خطأ من ق (شرق) إلى ل (شمال) ثم ب (غرب) لو جدنا أن ق ل ب هي بالفعل قبة ، أو على شكلها تماماً تماماً .

بقيت كليمتان تصغير كلمات – عن القبة ، هما :

١- كوبا Cuba هي أكبر جزر الهند الغربية ، وأول مستعمرة أسبانية في العالم الجديد ، وآخر مستعمرة تحصل على استقلالها من أسبانيا ، بعد أن خاضت الولايات المتحدة غمار حرب قصيرة خاطفة وحاسمة ضد أسبانيا ١٨٩٦ ، فانتزعت من هذه الأخيرة استقلال كوبا لتضعها تحت حمايتها هي ، أي تحت حماية الولايات المتحدة ، أي أن هذي الأخيرة غيرت علم الاحتلال الأسباني إلى علمها هي أو هيه .

وإذا كانت كوبا تتمتع بالاستقلال قانونا ، فقد كانت رؤوس الأموال الأمريكية الضخمة تتدفق على مزارع القصب ومعامل عصره وتكريره والطباق والفاكهة حتى السكك الحديدية والفنادق والمرافئ إلى أن قام فيديل كاستر [1] بثورته الأخيرة .

٢- تهتم الولايات المتحدة اهتماماً خاصاً بشئون كوبا ، وذلك لموقعها في البحر الكاريبي وقربها من فلوريدة التي اشترتها من أسبانيا ١٨١٩ م ، كما اشترت ولاية لويزيانا من فرنسا النابليونية ١٨٠٣ م ، وكما اشترت ألاسكا من روسيا القيصرية ١٨٦٧ ، ودفعت في هذه الأخيرة مبلغاً باهظاً لقد دفعت ما يزيد عن ٧ ملايين دولار أمريكي طبعاً .

وبسبب قرب هذه القبة الشديد من فلوريدة الأمريكية (حيث لا يفصل بينهما غير مضيق فلوريدة فقط فقط) ولموقع الأولى المهم في البحر الكاريبي فقد بذلت

٢- ولد كاسترو ١٩١٧ ، قاد ثورة شعبية ضد الدكتاتور باتيستا ، قام بتأميم صناعة السكر ١٩٥٩م .

الولايات المتحدة جهوداً عديدة لشرائها – أي كوبا – من أسبانيا في منتصف القرن التاسع عشر ، بحكم الخبرة المتميزة في شراء الأراضي من الإمبراطوريات الروسية والفرنسية والأسبانية ، بل والبرازيلية فيما بعد ، كما قيل قبلاً ، حيث اشترت الولايات المتحدة في البرازيل ما يوازي مساحة خمس ولايات أمريكية ، لكن هذه المرة كانت حوالي عام ٦٧ من القرن الماضي فقط .

إلا أنه في هذه المرة دفعت الولايات المتحدة ٧ سنتات عن كل فدان ، مبلغ كبير عظيم تصعب الإحاطة به ، فضلا عن عده ونقده ، نقول بسبب هذه الخبرة المتميزة والشطارة النادرة في شراء الأراضي فقد حاول القوم شراء القبة القريبة جداً جداً من (فلوريديتهم) وعندما لم يوفقوا احتفظوا لأنفسهم بحق التدخل في شئون كوبا الداخلية إلى أن وقعت اتفاقية ١٩٣٦ التي أنهت الحماية السابقة ، ولكن القوم لم يستطيعوا الاستغناء عن قاعدة لأسطولهم في خليج (جوانتانامو) Guantanamu هذا الاسم الذي يتردد صباح مساء في الفضائيات ووكالات الأنباء ووسائل الإعلام ، أو قل يطرق آذان الناس آناء الليل وأطراف النهار، فترتعد الفرائص ، وتشيب الأرحام والأجنة فى بطون أمهاتها ، بكسر الهمزة أو بضمها .

وإذا كانوا لم يستطيعوا شراء الجزيرة فإنهم كانوا يدفعون إيجار سنوياً لهذه القاعدة (الجوانتنامية) يضخ في شرايين الاقتصاد الكوبي ، إلا أن حكومة فيدل كاسترو ترفض هذا الإيجار ، أو بمعنى ترفض استلام مبلغ الإيجار ، والعجيب أن أحداً لا ينصح هنا بوضع مبلغ الإيجار لدى محكمة العدل الدولية ، أو إحدى المحاكم الدولية ، أو حتى المحاكم الإقليمية أو المحلية ، كما يفعل بعض المستأجرين في بلدنا عندما يرفض المالك استلام الإيجار لسبب أو لآخر فإن

المستأجر الناصح الأريب (الأروب) يضع الإيجار في المحكمة ويبقى مقيماً في السكن ، وليشرب المالك من مياه المحيط الأطلسي ، وإذا لم تك كافية فعنده المحيط الهادي ، إذ هو المحيط الأضخم في العالم ، أو حتى ليذهب إلى حيث ألقت أم قشعم .

تذكر أخيراً أن ٧٥% من صادرات كوبا كان يذهب إلى الولايات المتحدة كما أن هذه الأخيرة كانت تصدر ٨٠% من الواردات الكوبية ، لكن كاسترو اتجه نحو أسواق الكتلة السوفيتية والشرقية وغيرها في محاولة للتحرر من سيطرة الجارة الكبرى [1] التي تحاول فرض العزلة على الجزيرة الكوبية .

وعود مرة أخرى إلى الأسماء وليس المسميات لنقول أو لنضيف : ليس كوبا (القبة) فقط والبرازيل التي نزعمها إلى أصل عربي ، بل أيضاً أصل تسمية أمريكا ، فقد ذكرنا أن (أمريجو فيسبوتشي [2]) هو أصل التسمية أما (فيسبوتشي) فواضح أنها ليست عربية ، بل هي إيطالية ، أما (أميري جو) فيظهر أنها مكونة من جزءين ، الأول (أميرى) عربي بالتمام والكمال ، لا شية فيه أما المقطع (جو) فهو الفعل الإنجليزي go اذهب أو ارحل ، فكأنهم كانوا يقولون له : Amerigo ، ثم اندمجت الكلمتان بفعل كثرة الاستخدام فأصبحتا Amerigo .

وقد حاولت النظر في دائرتي المعارف البريطانية والأمريكية فلم أجد من الأعلام من اسمه Amerigo إلا هذا الرجل فقط .

١- غلاب وآخران : جغرافية العالم ، ص ٤٣٠ ، ٤٣١ .
٢- أرشد إلى هذا الرأي الدكتور أحمد الشيخ عبد السلام أستاذ اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عندما كان في زيارة لمصر أبريل ٢٠٠٦ .

والآن قد قلنا كل ما عندنا وأفرغنا الجعبة تماماً عن اسم البرازيل وأصله وفصله ورسمه ووسمه نبدأ في التعريف بهذا البلد ، ومن الجغرافيا نبدأ ، فنفتح بالموقع:

تقع جمهورية البرازيل في الجزء الشرقي من شمال قارة أمريكا الجنوبية من الشرق شمالاً وجنوباً يساحلها المحيط الأطلسي ، ويحوطها حزام من الدول اللاتينية من الجنوب أورجواي ثم الأرجنتين ، ثم بارجواي ، بوليفيا ، بيرو ، كولومبيا ، فنزويلا ، جويانا ، سورينام ، جويانا الفرنسية ، حزام غربي من الدول يمتد من الجنوب إلى الشمال ، ولكنه في الغرب فقط المتاخم لليابسة أما الجزء الشرقي من البرازيل فهو مساحل للمحيط الأطلسي في مقابل الحزام الغربي المكون من عشر دول لاتينيات .

تحتل البرازيل أكبر مساحة من القارة ، ثمانية ونصف المليون ك م ، في حين تبلغ مساحة القارة كاملة = ١٨ مليون ك م ، فكأن البرازيل فازت بحوالي ٤٨% من مساحة قارتها ، وما يزيد عن خمس مساحة أمريكا اللاتينية (٤١.٤ في المائه) فالبرازيل فازت وحدها بحوالي ٤٨% من مساحة قارتها ، وما يزيد عن خمس مساحة أمريكا اللاتينية (٤١.٤ %) هي خامس دولة من ناحية المساحة بعد روسيا = ١٨ ك م تقريباً ، ثم كندا ٩.٩٧ مليون كيلو ، فالولايات المتحدة ٩.٨٠٩ مليون ك ، فالصين ٩.٥٨٥ مليون ك .

وفي عدد السكان أيضاً هي الخامسة ، بعد الصين والهند ثم الولايات المتحدة واندونيسيا ، يبلغ عدد السكان في البرازيل حوالي ١٨٠ مليون نسمة ، وهم في ازدياد سواء بسبب الهجرة أو بسبب الزيادة السكانية الذاتية .

وتبدأ سيرتها الذاتية التي كتبها الأوربيون لهذا البلد في العام التالي لوصول كريستوف كولمبس العالم الجديد عندما قسم هذا العالم بين الإمبراطوريتين الأسبانية والبرتغالية وفي عام ١٧٥٠ تعاهدت القوتان العظيمان آنئذ على هذا التقسيم ، وفي معاهدة مدريد وفي ذات العام اعترفت أسبانيا بسيطرة حليفتها البرتغال على حوض الأمازون التي كانت احتلت سواحل البرازيل الشرقية منذ القرنين السادس عشر والسابع عشر .

بقي البلد قليل السكان طوال الفترة الاستعمارية التي انتهت بالاستقلال ١٨٢٢ م ، حيث هاجرت بعد الاستقلال أعداد من الأوربيين واليابانيين الذين تركزوا في الجنوب في حين بقي الشمال والغرب – البعيدين عن الساحل - قليلي السكان ، وبعد هذي الهجرات جاء المهاجرون الشوام ، من سوريا ولبنان ، حتى قدروا بالملايين ، خاصة من لبنان هذا البلد الأخيرة يبدو للوهلة الأولى عندما تزوره وكأنه هجره أهلوه ، فقد ذكرنا أن عدد المغتربين عنه قدروا من مصادر موثوقة بـ ٢٠ مليونا ، وقدر المقيمون في الوطن ب ٤ ملايين فقط ، ومن ثم فإنه بندر أن تجد لبنانياً ليس له قريب في البرازيل ، فهذا يحكي لك عن عم له هاجر من عشرات السنوات ، واستقر به المقام هناك ، وآخر يحكي عن قريب له ذهب إلى الديار البرازيلية داعياً إلى الله ، بقى سنوات عاد بعدها إلى وطنه .

بل من شدة ارتباط اللبنانيين بهذا البلد في أمريكا الجنوبية ما يحكيه بعض اللبنانيين عن واحد من بني جلدته هاجر إلى البرازيل ، أقام في إحدى المدن لكن لسبب أو لآخر عنّ له أن يذهب إلى (البرية) حيث يقيم الهنود أصحاب البلد في معازل خاصة في الأحراج والجبال بعد طردهم من مدنهم وقراهم ، وبرغم

نصح أبناء بلده بعدم الذهاب بعيداً عن المدن ، فإن الهنود يتوجسون من البيض ، وقد يبطشون به .

ولكن الرجل لم يأبه بتحذيرات أصحابه ، فذهب إلى (البرية) وهناك قبض عليه ، وضع في السجن لينظر في أمره ، هل هو جاسوس ، أو يريد بهم شراً ، وعندما علموا أنه ليس عدوا ، وليس من البيض ، أكرموه ورحبوا به ، وكذلك فعلوا مع الأوربيين عندما وصلوا إليهم منذ ١٤٩٢ م ، بل أعطوهم الذهب الذي كانوا يبحثون عنه ، ولكن الأوربيين غدروا بهم ، ثم قاموا بطردهم إلى البرية ، وبالفعل فإن من عرف الهنود أو تعرف على أحد منهم لمس منهم كرم أخلاق وسخاء واضحين .

على أية حال عاش هذا اللبناني بين هؤلاء القوم حتى تزوج ابنة زعيمهم وعندما مات الزعيم ولم يكن له أولاد ذكور توج الصهر زعيماً مكانه .

ومرت الأيام وأراد أحد أبناء هذا أن يذهب للبحث عن أبيه في البرية ، قبض عليه مثل أبيه ، ووضع في السجن ، وجاء الزعيم لينظر إلى هذا الغريب الذي اقتحم عليهم برِّيتهم ، تسّمع إلى كلامه ، وجده يتحدث باللهجة اللبنانية ، لهجته هو أيضاً ، إنه يكلم نفسه : ترى أين ذهب أبي ؟ (وين راح بيي ؟) وتصارح الرجلان ، ووضع الأب في جيوب ابنه ما يملؤها ذهباً ونقداً ، وطلب منه أن يكتم عنه ، وأن يعود من حيث أتى ، وأن لا يكرر هذه المجازفة مرة أخرى .

وفي لبنان تجد البن البرازيلي بصورة ربما لا تجدها في غيره ، وما ذاك إلا بسبب هذه الجالية اللبنانية المليونية في دولة البرازيل ، والتي يسعى أفرادها إلى ربط البلدين بعلاقات قوية راسخة ، خاصة في المجال التجاري والاقتصادي .

وفي الملتقى الثالث للتربية والتعليم الذي عقدته مؤسسة الفكر العربي في بيروت – نهاية أبريل الماضي – تساءل أحد متحدثي الملتقى : لماذا فشلت التنمية والتصنيع في البرازيل ، ونجحت في شرق آسيا ؟ وبعد الجلسة قلت له : أنا متخصص في اللغة العربية ولكني أستطيع أن أجيبك عن تساؤلك قال : واضح من خلال تعليقاتك أنك من المتخصصين في اللغة العربية .

وأعتقد أن هذا الكتاب فيه إجابة عن التساؤل السابق لقد كان واضحاً منذ البداية أن العالم الجديد انقسم إلى شمال غني (كندا والولايات المتحدة) وجنوب فقير من الحدود الشمالية للمكسيك وحتى أقصى نقطة من جنوب القارتين ، ولا يتم غنى الشمال إلا بإفقار جنوبه ونزح واستنزاف كل فتيل وقطمير من ثروات الفقراء ، وحتى الثمالة .

أما منطقة شرق آسيا ، وجنوبها الشرقي فهي بعيدة الشقة عن الشمال الأمريكي ، برغم أنها لم تسلم من هذا الأخير ، هيروشيما ونجازاكي شاهدان ناطقان بأفصح لسان ، هذا البعد مكنها من سرقة التقدم أو شيء منه فالجنس الآسيوي خاصة في الشرق يتمتع بقدر هائل من الذكاء والدهاء وحسن الحيلة ولباقة التصرف ، هذا ما أراه ، وهو اجتهاد شخصي ، ولعل لنا فرصة عود لتفصيل ما ذهبنا إليه .

ولله الحمد والمنة على إتمام بحوثنا حول جغرافية وتاريخ أمريكا اللاتينية والبرازيل ، يليه موضوعان لغويان ، هما :

- الترجمة واللغة العالمية .
- نظرات تقابلية بين العربية والبرتغالية .

بعدها تأتي الدراسة المترجمة عن التداخل بين اللغتين العربية والبرتغالية علـى ألسـنة المهـاجرين اللبنـانيين فـي البرازيـل ، والتـي ترجمناهـا عـن اللغـة الإنجليزية، ثم ملاحق تشتمل على اقتباس من أحد الكتب المهمة من أمريكا اللاتينية يتحدث عن هذه المنطقة المحرومة المظلومة من عالمنا ، كما أن هذا الاقتباس هو قطعة أدبية راقية بليغة سامقة الفصاحة والبلاغة .

وأخر ما تشتمل عليه الملاحق صور لزعماء من القارتين ، ثم خرايط للأماكن التي أشير إليها والبلدان والرحلات ، حتى تثبت المعلومات الجغرافية والتاريخية في ذهن القارئ ، كما أننا لم ننس أحداث لبنان الدامية فى صيف تموز – يوليو ٢٠٠٦ – الساخن كى نقول رأينا فى المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الجديد والديمقراطية الدامية ، العراق نموذج لها ، على أنه امتداد لقناعة الأغنياء فى هذا العالم بأن وجود الفقراء – مجرد وجودهم – هو خطر كبير على هذا الغنى وهؤلاء الأغنياء .

الأحد لغة المهاجرين اللبنانيين في البرازيل

دراسة معجمية

تأليف

نيوزا نايف نبهان

جامعة ساوباولو — البرازيل

ترجمة وتقديم

أ . د أحمد مصطفى أبو الخير

د . أحمد فريد عبد الشافي

جامعة المنصورة

١٤٢٧هـ

٢٠٠٦م

www.geocities.com/abu_elkher
abu_elkher@yahoo.com

الترجمة واللغة العالمية

تكاد تكون فكرة الترجمة مناقضة لفكرة اللغة العالمية ، فإن كانت هذي الأخيرة فلا داعي للأولى ، إذا وصلنا أو توصلنا إلى لغة مشتركة بين البشر قاطبة، تجمعهم وعليها توحدهم ، فإن الحاجة إلى ترجمة من لغيَّة – تصغير لغة -إلى أخرى سوف تنتفى وتختفي ، وفي بحث لي عن اللغة العالمية [١] ذكرت أنها حلم جميل تمناه الفلاسفة والناس من زمن بعيد ، وخاصة أنه في بعض الأحيان لا تسعفنا ما نتعلم من لغات أجنبية على كثرتها وشدة إتقانها ، وربما ساعتها لا نجد المترجم أو الترجمة ، لا نعرف لها حيلة ، ولا نهتدي إليها سبيلا ، ساعتها نعود إلى حلم اللغة الوحيدة الموحدة بين بني البشر .

وقد خلصتُ إلى أن هذا الحلم قد يبدو في أجل غير مسمى ، وفي رحم المستقبل غير المنظور ، بعيد مناله على أهميته والحاجة إليه ، إلا أن هذه اللغة العالمية الحلم قد بدت بعض عناصرها التي يمكن الإفادة منها في أمرين ، أولهما تعليم اللغات الأجنبية ، ومنها لغتنا العربية ، وثانيهما التفاهم مع الناس حين لا نجد للترجمة حيلة ولا سبيلاً .

هذي العناصر حصرتها في :

- الألفاظ التي أصبحت عالمية ، لا تغيب في آية لغة من لغات العالم المنتشرة المشهورة ، مثل : راديو – فيلم - تليفون . . . إلخ .
- الأرقام .
- لغة الإشارة .

١- انظر كتابنا : (العربية في بلدان غير عربية) القاهرة ٢٠٠٠ من ٣٥٥ – ٣٧٨ .

- الألوان .
- لغة العلماء .

وهذا مثال لكل عنصر مما سبق يوضحه ، ويلقى عليه الضوء ، ففي العنصر الأول نذكر أننا عندما كنا في نسكن في الحاضرة الأكرانية كييف ، أو كما سماها أجدادنا العرب (الكُيابة) كان بعض رفقاء السكن لا تجمعنا بهم لغة مشتركة ، ومن ثم استخدمنا الألفاظ المشتركة بين اللغات إذا دق جرس الهاتف ، وعرفنا اسم المطلوب مهاتفته ، أسرعنا إلى حجرته نطرق عليها ، ونقول :

(تليفون) مجرد استخدام كلمة واحدة من اللغة اللفظية ، والباقي الطرق على الباب مسرعين ، هو مما يدخل في اللغة غير اللفظية ، حيث نجد هذه الأخيرة هي السائدة في الاتصال المباشر المواجه ، ولا تترك للغة اللفظية غير ٧ % من الإسهام في الحوار المباشر بين الناس .

وعندما كنا ندرِّس العربية هناك في (الكيابة) رأيت بعض زملائي في القسم من الفسلطينيين يصرون – مثلاً – على أن يعلموا أبناءنا الشهور السريانية الأصل والتي تعودوا عليها ، و هي التي نرا ها في النهر الأول من الشكل (الشكل التالي) بدل الرومانية (في النهر الثاني) على اعتبار أن الأولى هي العربية ، أو لأنها في لهجتهم ، وقد يكون معهم بعض الحق ، إذ لربما كانت عربية الأصل ، أو هي إلى العربية أقرب .

وبرغم هذا كله عندما نعلم غير العرب لغتنا فإنا نميل إلى الثانية ؛ لأنها مستخدمة في عدد كبير من اللغات خاصة الأوربية :

الشهور السريانية الأصل	الرومانية المعربة
كانون الثاني	يناير
شباط	فبراير
آزار	مارس
نيسان	ابريل
أيّار	مايو
حزيران	يونيه
تموز	يوليو
آب	أغسطس
أيلول	سبتمبر
تشرين الأول	أكتوبر
تشرين الثاني	نوفمبر
كانون الأول	ديسمبر

الشكـــــــل الثاني

ولذا نراها من الناحية العملية أسهل على الأجنبي الذي نعلمه العربية سيما في المراحل الأولى من تعلم اللغة العربية ، إذ هذي المرحلة هي الأصعب والتي يؤدي فشلها إلى نتائج خطرة ، إذا المتعلم يمكن أن ينصرف عن تعلم هاتِك

(هذه) اللغة ، أو لعله يبني على أساس خاطئ ، ولا يتمكن بعد ذاك من إصلاح ما وقع فيه من خَطا (خطأ) .

وهنا نقترح في عملية تعليم العربية أن نميل على الأقل في المراحل الأولى - أن نعلم الطالب أسماء الشهور المعربة ، وكذا عند الحديث إلى غير العرب ، أو عندما نكتب ما نرى انه سوف يترجم إلى غير لغتنا ، ترجمة المكتوب ، أو عند الترجمة الفورية ، وكذا يفعل المترجم نفسه عندما يترجم إلى غير العرب، فانه يختار من الكلمات ما هو موجود في اللغة المترجم إليها .

وحبذا لو استخدمنا الأرقام مكان الشهور بنوعيها فهذي الأرقام عنصر مهم من عناصر اللغة العالمية ؛ ولذا فانه بدل أن نكتب (الحادي عشر من أيلول عام ألفين وواحد) يمكن أن يكتب بطريقة أفضل – في مقترحنا - كما يلي أرقاماً فقط (٢٠٠١/٩/١١) هذا أيسر في عملية الترجمة من الصيغة الأولى .

الأرقام عنصر مهم من عناصر اللغة العالمية ، يستخدم الآن على نطاق واسع في الصغير والكبير من حياتنا ، بدءاً من أرقام الهواتف والبيوت والبنايات والطوابق في الفنادق والمؤسسات . . . إلى ترقيم ألوان السيارات . . . إلخ .

فإذا نزل إنسان أيا تكن لغته فندقا في أي رجا من أرجاء المعمورة أعطوه بعض الأرقام التي منها يعرف رقم الحجرة ، والذي يكون على اليمين ، والطابق الذي تقع فيه الحجرة وهو على اليسار ، مثال (٤٠٢) بالرقم المشرقي ، أو : (402) بالمغربي ، عُرف أن الغرفة تقع في الطابق الرابع من المبنى ، و هي الحجرة الثانية في طابقها ، هذه الأرقام على بساطتها وقلة عددها التي ربما تكون في عدد أقل من أصابع اليد الواحدة ، والتي لو لم تك لاحتجنا إلى ترجمتها إلى لغة كل مقيم في فندقه ، وهكذا .

وفي ألوان السيارات مثلاً لم تعد الألفاظ قادرة على التعبير عن عديد الألوان ، سيما المصنعة منها ، على كثرة ما في العربية من ألفاظ معبرة عن شتى الألوان ؛ ولذا اتكأت الصناعة إلى الرقم ، أصبحت الألوان لا تحصى عددا ، ولا تضبطها لغة أيا كانت هذه اللغة ، ولم تعد غير الأرقام ، إذ هي أيضاً مفتوحة ، لا يحدها شيء ، تيك (هذي) الأرقام لا تحتاج إلى ترجمة من لغة إلى أخرى إذ هيه (هي) مترجمة نفسها بنفسها .

ولذا فإن مما ييسر عملية الترجمة أن نستخدم الأرقام والإحصائيات والجداول ، إن هذا يعطي معلومات أكثر وأغنى وأكثر خصوبة وفاعلية ، إضافة إلى شيء بالغ الأهمية هو يسر ترجمتها إلى حد يجعلها لا تحتاج إلى ترجمة ، كما سبق ، ولعل لنا عود إلى تِه – هذه – النقطة فيما بعد .

إن خبراء التفاوض ينصحونا عند الترجمة الفورية بالدقة والحرص عند سماع الأرقام والتأكد من صحة السمع لما يقال من أرقام يقول دين ألن فوستر [1] : توخ الحرص عند ذكر الأرقام بوجه خاص ،وتأكد أن المترجم بلغ الطرف الآخر بالرقم الذي ذكرته أنت بالضبط ، والعكس صحيح ، فمن السهل أن تحدث ترجمة خاطئة للأرقام أثناء التفاوض ، فتصبح الآلاف ملايين (فكلمة mille في الفرنسية تعني ألفا ، وليس المليون) . . . إلخ ، وهناك عديد وعديد من القصص المرعبة التي نتجت عن أخطاء في هذا المجال ، بحيث يصبح من الضروري أن نؤكد على الأرقام عند الترجمة ، والتأكد من أن المترجم الفوري متمكن في مجال ترجمة الأرقام .

١ـ المساومة عبر الحدود ، ترجمة نيفين غراب ، القاهرة ١٩٩٧م ص ١٠٦ .

ولاسيما إذا كان بالمفوضات كثير من المعلومات الفنية والإحصائية [1]ولذا كانت لغتنا العربية في غاية العبقرية والانتباه إلى ذيّاك المجال ، حيث حددت لنظام (العدد) مجموعة معمقة من القواعد بهذا الخصوص ، من حيث التذكير والتأنيث ومن حيث التعريف والتنكير ، وتمييز العدد ، والتمييز بين العدد المفرد والمضاف والمعطوف ، والإعراب والبناء ، كل هذا حفلاً واحتفاء بالعدد لخطورته في التعامل بين الناس ، ويستطيع القارئ إذا شاء أن يرجع إلى باب العدد في كتب النحو ليرى مصداق ما نرى ونشير .

ويكفي أن نقدم للقاري – القارئ – مثالا واحدا ، وان كان في الكتابة ، لقد رأى علماء العربية أن يكتبوا (مائة) بهذا الشكل ، وكان حقها حسْب القواعد الهَمْزية أن تكتب هكذا (مئة) لكنه عدل عن هذا الشكل إلى (مائة) حتى لا تختلط بكلمة (فئة) بالفاء ؛ لأننا إذا اتفقنا على دفع (**مئة ألف جنيه**) فإنها في هذه الحالة لا تحتاج من الغاشين غير نقطة على الفاء لتصبح (**فئة ألف جنيه**) فيتحول المبلغ من ١٠٠.٠٠٠ إلى ١٠٠٠ واحد فقط ، وهلم جرا .

نعود مرة أخرى إلى الأرقام في الترجمة الفورية ، فنقول : إن نطقها قد يوقع في اللبس ، في حين إن كتابتها يزيل كل شكل من أشكال اللبس ، أو التدليس والغش ، ومن ثم فان الدراسات والبحوث يمكن أن تثريها الأرقام والإحصائيات وفي ذات الوقت تحقق درجة من درجات اليسر والسهولة والسرعة في الترجمة وفي الترجمة الفورية أيضاً يمكننا معاونة المترجم بتقسيم الحديث إلى أجزاء ، لا هي بالطويلة جداً ، ولا هي بالقصيرة جداً ، وإنما نبتغي بين ذلك سبيلا ، وأن تعطي

١- السابق .

المترجم الفرصة لكي يتحدث إليك ، وإذا كان بعض المفاوضين ربما يتخوف من الاستعانة بمترجمين فوريين في البداية ، إلا أنه سرعان ما يبدأ في الاستمتاع بهذا الأمر .

إن العمل من خلال مترجم يعطيك الوقت اللازم للتفكير ولمراقبة ردود الأفعال لدى مستمعيك في كل جملة تنطق بها ، الأمريكيون – مثلاً – يميلون بوجه عام للاندفاع في الحديث بدون تفكير أو تخطيط ، ولكن عندما يعملون مع مترجمين يصبحون أكثر إدراكاً ووعياً للكلمات التي تصدر عنهم ، فتصبح أكثر معنى ، حيث إنهم يريدون التأكد من وضوح مقصدهم للمترجم ، وفي ذات الوقت فإنه عند انتظارك حتى يقوم المترجم بترجمة كلماتك ، ويفرغ منها ، تستطيع أن تفكر وتزن ما ستقوله بعناية على ضوء استجابة الطرف الآخر لما قلته [١] بالفعل.

ولا ننسى أيضاً أن الحديث عبر مترجم مما يفضله بعض الساسة أو الدبلوماسيين أو غيرهم ، لأنه إذا حدث لبس أو سوء فهم ، فإن المتحدث يلقي بالتبعية على المترجم أو على الترجمة ، وهكذا يجب أن يكون المترجم الفوري على حذر في عمله ، لأنه في أية لحظة يمكن أن يكون كبش فداء أو كبش الغداء .

ومن الأرقام ندلف إلى الإشارة التي نلجأ إليها عندما لا نجد للغة المخاطب وسيلة أو نهتدي إليها سبيلا ، وهذا ما يحاول كل أجنبي يعيش في بلد لا يعرف لغته ، حيث تصبح الإشارة أداة التفاهم الرئيسة والمهمة على الأقل في البداية ومن ناحية أخرى فإن المعلم والمحاضر يمكن أن يستخدما الإشارة في عملية التعليم وأثناء المحاضرة ، هو مما يشيع داخل الفصول الدراسية .

١ـ السابق ص ١٠٧ .

فعندما كنت اعلم العربية في أكرانيا كنت ألجأ إلى لغة الإشارة لإيضاح مقصودى من الكلمات ، ففي درس عن أعضاء الجسم – مثلا – كنت أستخدم الإشارة إلى كل عضو أتحدث عنه ، حتى تتعمق الصلة بين الشيء وبين الكلمة التي تدل عليه في أذهان الطلاب والطالبات ، وهكذا .

وعن التفاوض يمكن أن تساعد مفاوضك ومترجمك أيضاً بالحركة الإيماءة والإشارة مع الكلامة أيضاً ، بل بدون الكلامة أو اللغة اللفظية ، فعلى سبيل المثال لماذا تقول (افعل ذلك) حين تستطيع الإشارة لمحدثك بأن يوقع على الأوراق ؟ فاستخدم الإشارة ، ما استطعت إليها سبيلا .

بقى أن نتحدث عن الألوان ولغة العلماء ، ونبدأ بالأولى فنشير إلى أن الألوان قد أصبحت في كثير من الأحايين عنصراً مهما من عناصر اللغة العالمية ونعطي هنا مثالين فقط ؛ خوف الإطالة ، وروم – رغبة – الاختصار :

١. إشارات المرور : الخضراء للسير ، والحمراء للوقوف والصفراء للترقب ، هذا الاستخدام نجده في دول العالم ومدنه ، لا تحتاج إلى مترجم أو مفسر لمعناها .
٢. الخرايط : أصبح لكل لون يستخدم على الخريطة مدلولة ومعناه المفهوم والمقروء ، مهما كانت لغة الكتابة على الخريطة وعلى سبيل المثال ، لا الحصر نجد الألوان المستخدمة في تغطية المساحات التي توضحها فئات الارتفاع تتباين من اللون الرمادي للمناطق دون مستوى سطح البحر ، ويستخدم الأزرق بدرجات لتلوين مسطحات البحار والمحيطات، وتزداد درجة اللون مع عمق المسطح المائي ،

تبدأ من الأزرق الفاتح جداً في المناطق الضحلة على السواحل إلى الأزرق الداكن جداً لأعماق المحيطات ، أو لأعمق المحيطات [١] .

وهكذا تصبح الخريطة الملونة معينا للترجمة ، أو على الأقل هي لا تحتاج إلى ترجمة ، بل هي مترجمة نفسها بنفسها ، فإذا احتوى كتاب ما يُرام له أن يترجم على خرايط ، فالأسهل الأيسر أن تكون تيك – هذه - الخرايط ملونة ، محاولة هنا للإفادة من اللون باعتباره عنصرا من عناصر اللغة العالمية المنشودة.

آخر ما نتحدث عنه من عناصر تهِ (هذه) اللغة العالمية الأمل والحلم هو لغة العلماء ، ففي شتى العلوم ثمَّ رموز ولغة بين العلماء ، أصبحت مفهومة فاشية بين أبناء التخصص الواحد ، ففي علم الأصوات مثلاً نجد رموزاً صوتية دولية يكتب الباحثون في دراساتهم كيف ؟ بالمثال يتضح المقال :

١. الرموز الصوتية الدولية : وتعرف باختصار IPA ، وتوصف بأنها أوسع الرموز انتشارا في العالم ، حيث لا تصلح نظم الكتابة في بعض اللغات للدراسة ، فالمنطوق مختلف عن المكتوب ، رموز الكتابة الصوتية الدولية معتمدة على أن لكل صوت رمزا كتابيا واحدا فقط ، كما أن نظم الكتابة تختلف في لغة عن الأخرى ، وربما لا يعرف الباحث هذه اللغة؛ ولذا يلجأ للرموز الدولية ، فإذا كتبنا sa?ala استطاع أن يقرأها - وأن يعرف قيمتها وما تعني،أي باحث أيا تكن لغته ، دون الحاجة إلى ترجمة ، إن هذي الرموز الستة على قلة عددها تعني أشياء كثرا منها :

١- الزيادي : مبادئ الخرايط والمساحة ، الإسكندرية ١٩٩٣ م ص ٣٥ ، ٦٣ .

- الكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع ،ثلاثتها قصيرة مفتوحة كل مقطع مكون من : (صامت + حركة قصيرة) .
- الكلمة مكونة من ستة أصوات ، ثلاثة هي صوامت أي (السين – الهمزة – اللام) وفتحه / a / قصيرة تنتهي بها المقاطع الثلاثة .
- هذه الحركة وهاتيك الصوامت محددة معروفة لدى الدارسين ، الصوامت بمخارجها وصفاتها المختلفة والفتحة القصيرة أيضاً بشكل اللسان والشفتين فيها .

كل هذي المعلومات لو أردنا أن نحولها إلى لغة لفظية أو مكتوبة لاحتاجت شرحاً كثيراً وإسهاباً ، ولعل المعنى لا يكون واضحاً مفهوماً بهذا الشكل ، كما أن هذه اللغة اللفظية سوف تحتاج بكل توكيد إلى ترجمة ، في حين نستعيض عن هذا كله بهذي الرموز الستة السابق كتابتها .

٢. وفي علم الأصوات أيضاً فرق بين أن نضع الرمز بين شرطتين مائلتين هكذا / r / هذا معناه أن الراء واحدة صوتية ، وليست عضوا فقط ، مثل [g]إذنا نتحدث عن عضو من أعضاء الجيم وليس عن وحدة صوتية تفرق بين معاني الكلمات ، كالفرق بين (مال / جال) بل هي عضو من وحدة الجيم ، التي تشتمل في العربية أيضاً العضوين [d] و [ ] .

هذا في لغتنا العربية ، أما في لغة كالروسية مثلاً فالأمر يختلف ، كيف ؟ ليس فيها جيم مركبة / d / كما في لغتنا ، لا كوحدة صوتية ، ولا كعضو في

وحـدة صـوتية ، كمـا أن الجـيم الانفجاريـة / g/ وحـدة مسـتقلة تمامـا عـن الجـيم الإحتكاكية /   / .

ونكتفي بما ذكرنا من أمثلة لغة العلماء تاركين باقي الأمثلة التي وردت في دراستنا إلى القارئ يرجع إليها ، إن رام مزيداً من التفاصيل حول لغة العلماء ، خاصة في مجال الدراسة الصوتية ، أو حول أي عنصر من عناصر اللغة العالمية.

نعود في مترجمتنا لنتساءل ما صلة هذي العناصر بالترجمة ، أو بمقالتنا التي نقدم لترجمتها ؟ في الإجابة نقول : لاحظنا أن ترجمة مقالة نبهان هذه قد أخذت أقل وقت مقارنة بغيرها مما ترجمنا ، وأتضح أن السر في هذا يكمن في أن تيك المقالة قد تضمنت جداول وأمثلة ، هذه الأمثلة حولناها أيضاً إلى جداول ، فأصبح لدينا قرابة الأربعين من مجموع هاتيك الجداول التي كانت سهلة جداً جداً في ترجمتها ، والأهم من هذا أنها أخذت الوقت الأقل .

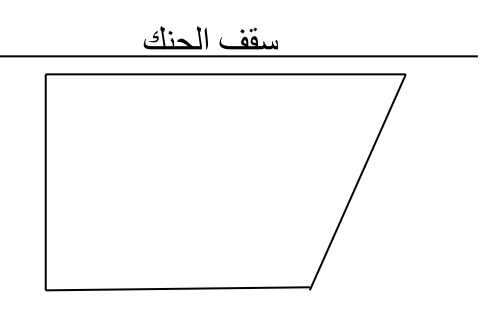
وعلى الجانب الآخر فإن إعداد الأمثلة ووضعها في صيغة جداول كان عملا مضنيا ، اقتضى وقتا مطولاً وصبراً شديداً وتطلب دقة وحرصاً زائدين ، ولكنه من جانب آخر كان مفيداً مفيداً إلى حد بعيد ، وإن جاء في صيغة بسيطة سهلة ، أو قل هي الأبسط والأسهل ، مع غناها الشديد في المعلومات ، وما تثمر من استنتاجات ، مكنتنا من إبداء ملاحظات تقابلية بين النص العربي الذي جاء على ألسنة المهاجرين وبين النص البرتغالي ، كما جاء في الدراسة .

هذا مثال ، به يتضح المقال ، عندما ننظر في هذا المثال المجدول :

الكلمة في نطق المهاجرين	الكلمة في البرتغالية	المعنى
vistu	visto	تأشيرة (فيزا)

الشكل الثالث

إذا قارنا بين نطق المهاجرين للكلمة ونطقها في البرتغالية وجدنا الفارق بين النطقين يكمن في تحول الضمة البرتغالية / o / إلى ضمة عربية / u / فما الفارق بين الحركتين العربية والبرتغالية ؟ الفارق أن الضمة العربية ضيقة أو هي إلى الضيق تماماً أقرب ، ولكن الأخرى هي نصف ضيقة ، أي أن الجزء الخلفي من اللسان أقرب إلي سقف الحنك في الحركة العربية منه إلى الحركة البرتغالية حيث اللسان أبعد في موضعه عنه في الضمة العربية ، كما نرى في الشكل :



شكل[١] الرابع

وكل ما سبق عن وضع اللسان في نطق الحركتين أما عن وضع الشفتين فإنهما مع الحركة العربية هما أكثر ضيقاً أوضحا عن الحركة البرتغالية ، إذ الشقتان تتسعان عنه في الحركة العربية ، و هذا فارق آخر بين الحركتين ، فكلا

١- هذا رسم تقريبي لوضع اللسان في نطق الحركتين حسب نظرية دانيا جونز (الحركات المعيارية) أنظر كتابنا (أصوات العربية) ص ٩٧.

الحركتين يرتفع الجزء الخلفي من اللسان ، لكنه في الحركة / o/ أقل منه في/ u / كما أن الشفتين في الأخيرة أكثر ضيقا من الأولى ، وهكذا .

كل هذي المعلومات وهاتك – هذه – السطور جاء من سطر واحد ،أو قل جاءت من مقارنة بين كلمتين أخذتا عشرة حروف هي مجموع حروفهما .

ولكل هذا وبسبب هذا فإن استخدام البيانات والجداول والأشكال التوضيحية هو بالإضافة إلى ثرائها الخصب بالمعلومات فإنها أيضاً تأخذ وقتا في الترجمة أسرع أو أقل، إنها تتناسب بشكل واضح مع الترجمة الآلية ، حيث تتعامل الآلة بشكل نمطي مع ما تترجمه .

ومن ثم نستطيع أن نضع معيارا الاختيار ما نترجمه على سلم أولياتنا – خاصة في النصوص غير الأدبية – سواء أكان النص علمياً أو إعلامياً ، وبشكل خاص الأول منهما ، في الجنوح إلى النص الذي يستخدم الأمثلة والجداول والرسوم البيانية والأشكال الإيضاحية بشكل عام .

نحاول استغلال هذي العناصر السابقات للغة العالمية : (لغة العلماء – الأرقام – الألوان – الإشارة – الألفاظ المشتركة بين اللغات) ومن ثم ننصح من يكتب خاصة العلماء ، ومن يتوسم في إنتاجهم أن يترجم إلى لغات أخر غير لغة النص الذي يكتب به هذا الإنتاج ، ننصحه أن يأخذ في الاعتبار الميل إلى عناصر اللغة العالمية ، والإقلال – ما أمكن - من اللغة اللفظية ، خاصة لغة العلماء ، إذ هي يمكن أن تتيح ترجمة أيسر وأسرع وأكثر خصوبة وغنى في المعلومات .

نعم إن لغة العلماء تمكن من هذا وتتيحه ، فكتابة الضمتين بهذا الشكل / u - o / مكن من المقارنة بينهما بسهولة شديدة أفضل بكثير مما لو فصلنا الكلام عنهما باللغة اللفظية ، إذ إن الباحثة استخدمت الكتابة الصوتية في كتابة الحركتين ،

هذه الكتابة التي هي في رأينا عنصر من عناصر اللغة العالمية التي فصلنا الحديث عنها في دراسات سابقة لنا ، وهي اللغة التي يستخدمها علماء اللغة في دراساتهم وبحوثهم أيا تك هذي اللغة المستخدمة في النص .

ولكن لا بأس هنا من بعض المقترحات ، يمكن أن نراعيها في الكتابة العلمية ، كما تقدم أيضاً لمن يكتبون بشكل عام ، ممن يتوقع لهم أن تترجم كتاباتهم إلى لغة أخرى غير لغة النص .

بل إن هذي المقترحات تلزم أيضاً وتفيد ليس في التعامل مع النص المكتوب فقط ، بل مع النص المنطوق أيضاً وفي الترجمة الفورية ، ولعل بعضها ألزم في هذه الأخير من ترجمة النص المكتوب .

١. أن تكتب بلغة بسيطة ، لا يُ‌ُ‌ُ‌ُ صطنع فيها التعقيد ، كلمات وعبارات قصيرة سهلة وشائعة ، وكلمات قصيرة المقاطع ، عبارات واضحة مباشرة ، فلا داعي مثلاً لأن نقول : (في اتجاه إيجابي بناء) في الوقت الذي يمكن التعبير عن نفس الفكرة باستخدام كلمة واحدة هي
(ناجح) أو (جيد) مثلاً .

ففي ماليزيا كنا نسمع من بعض الناس أحياناً عبارة (لا مشكلة) no problem فلا نفهم منها شيئاً ، فهل تعني الموافقة ، أو المحايدة ، أو عدم الاكتراث ، أو التحدي . . . إلخ ؟.

٢. تجنب استخدام الكلمات التي لها أكثر من معنى فكلمة right مثلاً ربما تعني (اليمين) عكس الشمال أو اليسار ، وقد تكون بمعنى

(صح) أو (حق) وقد يسبب استخدام مثل هذه الكلمات إرباكا للمترجم واضطراباً ، وللمستمع والقاري أيضاً .

٣. لا تحول الأعلام المشهورة إلى أفعال ، هذا يعقد عملية الفهم لدى المترجم ، لأنه ربما لا يتيقن من المعنى المقصود ، مثال Lebanonize أي لبنن ، أو قرظن ، أو بلْقن ، مأخوذة من:-
(لبنان – قرظاي ، حامد رئيس أفغانستان الحالي – البلقان) .

٤. لا تسرف في استخدام الألفاظ بشكل بلاغي ، لأن المترجم ربما يفهم الكلمات بشكل حرفي صريح ، لا بشكل بلاغي كناني .

٥. لا تستغرق في اللهجات المحلية والعامية الدراجة ، لأن هذا ربما لا يفهم جيداً وبشكل أعمق لدى غير أصحاب اللغة ، لقد سألني بعض زملائي من أساتذة اللغة العربية النيجريين عن معنى كلمة (بسبوسة) نوع من الحلويات، الكلمة معروفة جداً في بلدنا مصر ، لكنها ربما لا تعرف في غيرها ، ولنتذكر أن من يتعلم لغة يترجم منها لا يشترط أن يكون تعلمها في بلدنا ، أو بلادها ، بل ربما لم تتح له زيارتها في حياته كلها .

وعند الترجمة الفورية على وجه الخصوص يمكن القول نصحاً بما يلي :

١. أن لا يتحدث المتكلم بسرعة لا تمكن المترجم أو المستمع من متابعة ما يقول وترجمته ، وأن لا يجهر بكلامه بشكل مزعج وكأنه في حالة غضب ، وبطبيعة الحال لا يخافت بكلامه ، ولكن يبتغي بين ذلك سبيلاً .

٢. أن لا يستخدم ما قد يكون له معنى مختلف لدى المستمع خاصة أن الكلمات في لغة كالإنجليزية تتفق نطقاً أو تتشابه بشكل كبير وتختلف معنى وكتابة أو هجاء، فعندما يستخدم الأمريكي كلمة Check بمعنى فحص أو مراجعه ، قد يتصور الأوربي أن المتحدث يقصد (الشيك) المصرفي ، وعندما يستخدم أمريكي كلمة draught بمعنى خصم ، سيظن البريطاني أنه قال draft بمعنى شيك ، أو جرعة من الشراب .

٣. تجنب تكرار القول ، لو تكلمت بشيء من التأني والحرص ، وتأكدت باستمرار من الفهم المتبادل فان إعادة الكلمات والجمل يمكن أن تؤدي إلى مزيد من فرص الخطأ وسوء الفهم .

وقد يقال إن المترجم الذي يتصدى للنص المكتوب ، أو الآخر المنطوق (الترجمة الفورية) يجب أن يكون مؤهلاً تأهيلاً مهنياً عالياً أو مناسباً على الأقل لمهمته أو مهنيته ، ولكن لماذا لا نيسر له الأمور ، ونعبد له الطريق ، ونجنبه شيئاً من الزلل والعثرات ؟ وهذا ما لا يتناقض مع كون المترجم متقناً لمهنته ولكلتا اللغتين التي يتعامل معهما ، المترجم منها ، والمترجم إليها .

والآن ومن خلال الأمثلة التي جدولنا نقدم لقارئي الأكارم بعض التقابليات بين اللغتين العربية والبرتغالية ، فنقول تحت عنوان :

نظرات تقابلية بين العربية والبرتغالية

وبما أن الدراسة حددت مجالها في (المعجم) فإنها لم تتناول مستويات أخُرَ ولكن الأمثلة التي سطرتها الدراسة تفتح الشهية لكتابة بعض الملاحظ على مستوى القواعد (التراكيب – الصرف – الأصوات) بادئين مستفتحين بــ :

١. التراكيب : ملحوظة مهمة ، منطقية ومبررة ألا و هي حذف أداة الإضافة في كلام المهاجرين اللبنانيين،حيث جُرد المتضايفان البرتغاليان من الأداة الرابطة ، وجاء لهذا أمثلة عديدة منها :

Bluse de la ⟶ Buluza suf

ذلك أن العربية – خاصة الفصحي – ميزت المتضايفين بالسلب والنقصان وليس بالزيادة ، كما في الفرنسية والإنجليزية والبرتغالية أيضاً ، ففي الأولى du ثم of في الثانية ، ولذا فإن العرب المهاجرين اللبنانيين قد سلكوا نفس السلوك عند استخدامهم المتضايفين في البرتغالية .

ولكن كيف ميزت العربية المتضايفين بالنقصان ، لا بالزيادة ؟ المضاف حرم من التنوين ، أو حجب عنه هذا التنوين في المفرد وفي الجمع ذي الألف والتاء ومع الجمع المكسر ، مثل (كتاب النحو – صفحات الكتاب – كتب التفسير) هذا نوع من الاختصار ، والإفادة في ذات الوقت .

أما المضاف المثنى أو المصحح جمعه ، أو بمعنى آخر ما يعرب بالحركات الطوال،فإن النون في كليهما واجبة الحذف قولاً واحداً في العربية ، مثل :-
(صفحتي الغلاف – وجها العملة – مدرسو الفصل – مع معلمي الأجيال) مع ملاحظة أن واو الجمع لا يوضع أمامها ألف ، إن هذه الألف تختص بواو الجماعة التي تتصل بالفعل فقط ، ماضياً كان أو مضارعاً أو أمراً ، مثل : (كتبوا – لن يكتبوا – اكتبوا) . . . إلخ .

والسبب أن واو الجماعة المتصلة بالفعل هي ركن مهم من أركان الجملة (فاعل – نائب فاعل – اسم كان أو احد أخواتها . . .) إلخ ، ومن ثم وقف لها هذا الحارس المهم ، وهو الألف .

كذا ميزت العربية المضاف إليه بالجر دائماً ، فهذه الإضافة أحد أسباب أربعة للجر مع التوابع والجر على المجاورة وسبق حرف الجر للأسماء ،وبطبيعة الحال فإن هذا الإعراب وكذا التنوين ، كلاهما من اختصاص الوصل ، ليس الوقف ففي الوقف لا إعراب ولا تنوين ، وكذا المضاف إليه إذا وقف عليه فلا إعراب ولا تنوين ، وهكذا .

٢. الصرف : بعد التراكيب جاء دور الصرف ، فماذا وجدنا من ملاحظ هنا؟!

أ- أول ملاحيظي أن المهاجرين استخدموا السابقة بـ (المكسورة) على المضارع للمفرد الغائب للدلالة على الاستمرار ، وهي إحدى سمات اللهجات العربية الغاشية المتفشية ، حتى وصلت إلى الفصحى أحياناً ، على ألسنة بعض المتحدثين بها ، بل وصلت – بسبب تمكنها من لغة المهاجرين – حدا جعلها تدخل حتى على الكلمات غير العربية ، وهي البرتغالية هنا ، مثل :

mostrar ⟶ bi master

والكلمة التي قبل السهم تعني في البرتغالية (يعرض) وبعد السهم هو نطق المهاجرين اللبنانيين .

ب- تجمع المفردات البرتغالية بالألف والتاء :

blusa ⟶ bluzat

وهذا ما يتفق مع مسلك العرب مع الكلمات الدخيلة في لغتهم ، مثل :

تلغراف ⟵ تلغرافات

كمبيوتر ⟵ كمبيوترات

مع ملاحظة أن ألف الجمع تمال ، أو تصبح كسرة ممالة وطويلة /e:/ كما في :

kalsun ⟶ kalsunet

وهذا ما يحدث في اللهجة اللبنانية ، ليس في ألف الجمع المؤنث فقط ، بل مع كل الفتحات ، خاصة الطويلة .

ج- إن صياغة الكلمة البرتغالية تتغير لتصبح أقرب إلى العربية ، أو إلى الصياغة العربية ، مثل :

doce ⟶ dawsi

فتحولت الضمة في الكلمة البرتغالية doce (حلاوة) تحولت هذه الضمة إلى واو لينة /w/ في نطق المهاجرين اللبنانيين ، ولهذا أمثلة كثيرة أخرى،منها :

namorar ⟶ bi – nawmir

تحولت الضمة في الكلمة البرتغالية ، وهي قبل السهم إلى واو لينة أيضاً ولكنها جاءت قبل الميم وليس بعدها على ألسنة المهاجرين ، فأصبحت :

bi-nawmir وليس bi-namwir

كما هو المتوقع ، لقد تغير تتابع الصوتين كما كان المفروض من mw إلى wm ، إذ الضمة التي تحولت إلى واو لينة موضعها ومكانها في الكلمة البرتغالية جاءت بعد الميم ، وليس قبلها .

ذلك أن التتابع wm في لسان اللبنانيين المهاجرين لعله أكثر من mw ، وهذا ما يفسر هاتيك الظاهرة المعروفة في لغتنا باسم القلب المكاني :

يئس ⟵ أيس

صواعق ⟵ صواقع

جذب ⟵ جبـــذ

وكما يحدث على ألسنة عامة الناس والأطفال ، مثل :

عواميد ⟵ عمويد

قواميس ⟵ قمويس

د- ولكن الكلمة البرتغالية قد يصيبها بعض الاختصار على ألسنة المهاجرين ، و هذا يدخل أيضاً في إطار محاولة تقريب الصيغة البرتغالية من الصيغة العربية ، أو محاولة تعريبها ، مثل :

pensao ⟶ beso

بمعني (نزل) .

٣. الأصوات : وقد وجدنا عديد الأمثلة ، منها :

أ- تحويل الحركة نصف الضيقة إلى الضيقة ، أو بمعنى آخر ميل الحركة في الكلمة البرتغالية إلى الضيق ، أو تكون أكثر ضيقاً على ألسنة المهاجرين فنجد :

o ⟶ u

e ⟶ i

كما في : primu ⟵ primo (ابن العم)

moldi ⟵ molde (قالب)

وهو شيء طبيعي لأن الحركتين العربيتين الكسرة والضمة ، كلتاهما ضيقتان بشكل واضح ، ومن ثم فإن نطق اللبنانيين يميل بالضمة /o/ إلى الأضيق / u / وكذا الكسرة / e / إلى / i / .

وهو ما يتسق أيضاً مع تحول الفتحة / a / إلى كسرة ممالة /e/ كما مر في ألف جمع المؤنث – وغيره – كما سبق .

ب- تحويل الباء المهموسة في البرتغالية إلى باء مجهورة ، مثل :

(شنطة) pasta ⟶ basta

وهذا شيء طبيعي فليس في العربية باء مهموسة ، ونرى أن السبب في هذا أن الباء العربية – خاصة في قراءة القرآن الكريم – تقلقل إذا كانت ساكنة ، وهذا ما حافظ على جهرها ، والبعد عن إهماسها ، وهو في رأينا - في رأينا – سبب خلو لغتنا من نظير مهموس للباء العربية .

جـ - مما لاحظناه أيضا أن النون تحذف إذا جاورت صامتا آخر ، دون فاصل من حركة ، قصيرة أو طويلة ، مثل :

cantina ⟶ katin

manga ⟶ magu

هو نوع من الاختصار ، خاصة أن النون – سيما في القرآن الكريم – تتأثر كثيراً و هي ساكنة بما يأتي بعدها ، كما في الإخفاء والإخفاء الشفوي والإد غام الناقص والإدغام الكامل ، في مثل [1] (أنت – أنكر – من بعد – من يوم – من ربهم) الخ .

وفي المثال الأول هنا لوحظ مد الحركة القصيرة التي الصامت الأول لتصبح فتحة طويلة ، ربما للتعويض عن حذف النون ، وربما للنبر على المقطع الأول من الكلمة ، وربما للسببين معاً .

١- راجع كتابنا : (الأصوات في رواية حفص عن عاصم) ص ٢٨ ، ٥٦ .

١. وتميزت لغة المهاجرين أيضا بالعدول عن تحاور صامتين في بداية الكلمة أو ما يسمى بالبدء بالصامت الساكن ، ومن ثم تم الفصل بين الصامتين بحركة قصيرة :

blusa ⟶ buluza

وهذا ما يتفق مع ما تفعله العربية – خاصة الفصحى – في عدم البدء بالصامت الساكن ، أو بصامتين متجاورين ، ومن ثم كان في العربية ما يسمى بألف الوصل ، التي توصل إلى النطق بالساكن :

ktub ⟶ iktub

هـ - الوقف على السكون بإسقاط الحركة القصيرة من نهاية الكلمة :

(حذاء) sapato ⟶ sabat

فقد سقطت الحركة الأخيرة – الضمة الممالة – من الكلمة ، تماما كما يحدث في العربية التي لا تسمح بالوقف على حركة قصيرة البتة ، ولا تبدأ كلمة أو مقطعا بحركة ، لا طويلة ، ولا قصيرة .

و- تحول الفاء المهجورة إلى باء :

vapor ⟶ babur

لأن النظير المجهور للفاء العربية – المهموسة – غير موجود البتة ، ولذا لجأ المهاجرون إلى أقرب صامت من ناحية المخرج وهو الباء ، ولعل السبب أيضاً أن هذا هو النطق العربي للكلمة في الوطن ، ولذا نقله المهاجرون إلى مهاجرهم .

ويرى العنيسي [1] أن هذه الكلمة هي من أصل إيطالي vapore معناها بخار ، مرادف باخرة ، ويظهر أن هذه الأخيرة هي من أصل عربي (بخار) أو

١- مرجع سابق ، ص ٦ .

(باخرة).

ز- وفي نطق المهاجرين أيضاً تحولت الواو إلى نون :

calcao→ kalsun

ربما لأن العربية لا تميل إلى تتابع الحركة الطويلة والصوت اللين الساكن أو لا تميل إلى تجاورهما ، هكذا a : w ، أو لأن هذه الكلمة موجودة في العربية هكذا بالنون (كلسون) وهو ما يلبس تحت السراويل في الشتاء اتقاء برده .

والآن قد انتهت التقدمة للدراسة التي تبدأ بملخصها :

الأستاذ الدكتور أحمد مصطفي أبو الخير

Abu_elkher@yahoo.com

www.geocities.com/abu_elkher

ملخص الدراسة

تهتم هذه الدراسة بتداخل المعجم البرتغالي في اللغة العربية المنطوقة وأمثلة هذا التداخل ، وسياقاته الخاصة ، فضلاً عن أسباب تفضيل ألفاظ بعينها .

وقد اعتمدت الدراسة على إجراء مقابلات مع مائتين وأربعين مهاجراً لبنانياً من المقيمين في ساو باولو ، قُسِّم هذا العدد إلي مجموعتين ، أولاهما أتت إلي البرازيل بين عامي ١٩٠٠ – ١٩٦٠م ، في حين قدمت الثانية بين عامي ١٩٧٠-١٩٨٠.

أما عن متغيرات الدارسة في جانبها التطبيقي فكانت الفروق بين أفراد العينة في المستوي التعليمي (أوليّ – ثانوي – جامعي) والجنس(ذكر / أنثي) والسن والديانة (مسلم / مسيحي) والمهنة .

وقد شملت الاستبانة بيانات عن الهوية والتعليم (في الوطن الأم وفي البرازيل) والمهنة والإلمام باللغات الأجنبية وتاريخ الهجرة .

ولتوثيق المادة اللغوية فقد تم عمل تسجيلات صوتية لحوارات باللغة العربية عن قضايا الحياة اليومية .

أنتهي الملخص ، وتبدأ الدراسة بالعنوان التالي :-

أولاً – أسباب الهجرة لدي المجموعيتن :

أظهرت الدراسة أن سبب
هجرة المجموعة الأولي من عينة الدراسي كان اقتصادياً أكثر منه سياسياً أو دينياً في حين كان الدافع وراء هجرة المجموعة الثانية سياسياً وإلي حد ما دينياً .

وبرغم اختلاف دوافع الهجرة لدي المجموعتين ، فقد اتفقتا على اختيار البرازيل مهجرا لهما ، حيث أتوا إليها لما علموه من توافر الفرص الاقتصادية بها ، فضلاً عن وجود أصدقاء وأقارب لهم في البرازيل .

شيء غريب حدث من المهاجرين الأوائل هو أنهم حين غادروا وطنهم إلي الأمريكتين كان في نيتهم الذهاب إلي الولايات المتحدة ، وبالفعل فإن بعضهم قرر الذهاب أولاً إلـي البرازيل لأنهم توقعوا أن يكون الحصول على تأشيرة دخول للولايات المتحدة أسهل في البرازيل .

وكما حدث فقد أنهوا إقامتهم بالبرازيل غير أنه في وقت لاحق سرت أخبار عن الصعوبات التي اكتنفت الهجرة إلي الولايات المتحدة ، ومن ثم اختار المهاجرون اللبنانيون البرازيل مُقاماً – أو مستقراً – نهائياً لهم .

وقد ذكر بعض المقابَلين أن مهاجري المجموعة الأولي كانوا مضطرين لاقتراض ثمن تذاكر السفر إلي البرازيل ، أو كان أقاربهم المهاجرون يقومون بإرسال التذاكر لهم .

أما المجموعة الثانية فقد كانوا أوفر حظاً ، لما تمتع به لبنان – وقت هجرتهم - من وضع (اقتصادي) أفضل مقارنة بوقت هجرة المجموعة الأولي .

أحد العوامل المهمة في دراسة لغة المهاجرين يرتبط بالسياسة التي اتبعتها البرازيل تجاه الهجرة ، خاصة في بدايات القرن العشرين التي شهدت تشجيع الحكومة البرازيلية للمهاجرين الراغبين في العمل الزراعي ، والذين أتوا غالباً في مجموعات .

ولكن لا يوجد ما يشير إلي هجرة اللبنانيين إلي البرازيل في مجموعات ، بل جاء كثير منهم فرادي ، وكانوا أكثر توجهاً نحو الإقامة بالمدن والاشتغال

بالأنشطة التجارية ، وهذا جانب مهم في تقييم بيانات المهاجرين ؛ ذلك أن المقابَلين والبرازيليين ذوي الأصول العربية بشكل عام قدموا إلي البرازيل بشكل فردي ، وليس على هيئة جماعة متماسكة ، كما هو شأن اليابانيين والإيطاليين والألمان وغيرهم .

ونظراً لاشتغال المهاجرين اللبنانيين بالتجارة فقد كان لزاماً عليهم تعلم البرتغالية بشكل أسرع من الذين عملوا في الزراعة .

وقد مر التفاعل بين المهاجرين الجُدد والمجتمع الذي هاجروا إليه بمرحلتين ، التكيف ثم الاندماج ، حيث اختار المهاجرون العرب القيم الثقافية البرازيلية بدرجة كبيرة مع طريقتهم الخاصة في الحياة ، حيث صارت هذي القيم الثقافية جزءاً لا يتجزأ من حياتهم اليومية .

وقد لاحظنا في بحثنا أن المجموعة الأولي قد كيفت قيمها الخاصة مع تلك القيم السائدة في بيئتهم الجديدة ، فأظهرت سلوكياتهم اليومية قبولاً وتجسيداً لالتزاماتهم الجديدة .

أما المجموع الثانية فقد كانت – برغم – تآلفهم مع القيم البرازيلية الثقافية أكثر حذراً ، كما حدث التثاقف [1] بشكل تدريجي ، لم يؤد إلي تغير ثقافي تام.

فعلي سبيل المثال حدثت زيجات مشتركة بين أبناء وأحفاد المجموعة الأولي وبين المجتمع البرازيلي ، في حين لم تُقبل المجموعة الثانية على مثل هذه الزيجات إلي الآن ؛ لأنهم كأقلية مهاجرة قرروا الإقامة بشكل منعزل عن البرازيليين ، ولكن هذا لا يعني أنه لا توجد لدي هذه المجموعة الثانية معارف أو أصدقاء برازيليون ، إن عملة اختيار القيم في هذا المجتمع (الوسط) الجديد تمت

١- المزج بين ثقافة الوطن وبين ثقافة المهجر .

بطريقة يصعب علينا كمراقبين التأكد منها ، فهناك عاملان أساسيان ، هما زمن الإقامة في البرازيل وكذا درجة الاحتكاك اليومي بطبقات الناس الذين يتعامل معهم المهاجرون .

ولأسباب تاريخية فإن كلتا مجموعتي الدراسة قد احتكتا بمستويات ثقافية مختلفة في لبنان ، وهو ما أفاد في مسألة اندماجهم ، ذلك أنهم قد اعتادوا على أشكال عديدة من التفاعل المتبادل قبل هجرتهم إلي البرازيل .

وبمرور الوقت اندمجت المجموعتان المهاجرتان في البيئة البرازيلية بشكل جيد ، خاصة في ساو باولو ، ونظراً لاتساع المساحة الزمانية بين المجموعتين فإنه من غير المتوقع أن يحدث الاندماج بنفس الطريقة ، كما أن النمو السكاني والتطور في ساو باولو- بما يتضمن من زيادة كبيرة في أعداد المهاجرين – قد جعل سكان المدينة الأصليين يتقبلون مجيء المهاجرين البرازيليين من مناطق أخري من البلاد ، أو من خارج البلاد .

هذا فضلاً عن أن وجود المجموعة الأولي التي سبقت قد سهل اندماج المجموعة الثانية التي تلتها ، برغم القيود التي فرضتها البيئة الجديدة ، فلقد أظهرت المقابلات مع المجموعتين تفاوتاً في مستويات الاندماج مع الثقافة البرازيلية .

ثانياً – تقييم ظاهرة التداخل المعجمي :-

إن استخدام أكثر من لغة – والذي يعد قاعدة لهؤلاء الذين يعيشون ثقافتين في ذات الوقت أو يتعرضون باستمرار لتأثير ثقافة أخرى – هذا الاستخدام يمكن أن ينتج عن تداخل على كل المستويات اللغوية : الصوتية ، الصرفية ، النحوية ، المعجمية .

ومن خلال المادة اللغوية التي تم الحصول عليها من المقابلين في هذه الدراسة ، تم اختيار حالات التداخل المعجمي وتصنيفها طبقاً للحقول الدلالية ، وفي دراسة نوعية [1] تم تحليل سمات معجمية خاصة في لغة المهاجرين وما يستخدمون من ألفاظ ، أما الجانب الكمي الإحصائي من الدراسة فقد أظهر وجود تداخل في العربية المنطوقة ، ودرجة هذا التداخل وكميته .

ثالثاً – التحليل الكيفي :

ومن خلال النظر في الكلمات المشتقة من البرتغالية المستخدمة في العربية المنطوقة اكتشفنا علاقات دلالية بين الوحدات المعجمية ، وتأكدنا من الوضع النهائي للتداخل المعجمي بين اللغتين البرتغالية والعربية .

ومن خلال المادة المجموعة في الدراسة تم التمييز بين ثمانية حقول دلالية مختلفة ، تختص بما يلي : (العمل – العلاقات الأسرية – السكن – الطعام – السفر – الترويح – الحياة المدرسية – المهنة) وجاء العدد الأكبر من الكلمات المقترضة من البرتغالية إلي العربية في حقل العمل .

ولما كانت التجارة هي النشاط الرئيس لمجموعتي الدراسة فقد كان الاحتكاك بالشعب البرازيلي في هذا المجال أمرا مستمرا لا مناص عنه ولا فكاك ، وفي كل حقل دلالي يمكن تمييز علاقات متنوعة بين الألفاظ :

- المترادفات : كلمات مختلفة لها معني [2] واحد ، فالمهاجرون يستخدمون ثلاث كلمات بمعني واحد ، وهي : – maskati

---

٢- غير إحصائية ، نهتم بالنوع والكيف ، وليس بالعدد .
١- تعريف الكاتبة للترادف .

vêdedor – maršãti ، والمعنـي (الشـخص الـذي يبيـع) وهـي بالبرتغالية : aquele que vende .

- المنضَويات [١] الكلمات المنضوية تحت كلمة ، هي حقلها الدلالي مثل : kalsun وفي البرتغالية calçaõs بمعني بنطلون قصير (شورت) وهي قريبة مشتقة المعني من البرتغالية calşa بمعني بنطلون الحقل الدلالي للأولي ، أو بمعني آخر فإن الأولي منضوية تحت الأخيرة ، أو هذه الأخيرة هي – الزعيمات [٢] : الكلمات التي تخضع لها كلمات أُخر أو بعبارة أخري : الكلمات التي تسمِّي الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه الكلمات الأخرى مثل : ropa feita بالبرتغالية roupa feita وهو ما يعني (الملابس الجاهزة) التي تتعلق بها كلمات أخري ، مثل : saya بالبرتغالية saia بمعني تنورة ، و kalsa (بنطلون) بالبرتغالية : calça – كما سبق – وأخيراً balitɒ (جاكت) وفي البرتغالية paletɒ.

التضاد : الكلمة عكس الأخري في المعني ، مثل bi-daśir بالبرتغالية deixar بمعني (يترك – يسامح) وهما عكس : bi-kawbir بالبرتغالية : cobrar أي يهاجم أو يتهم .

١- الحقل الدلالي الخاص بالعمل :

٢- اقتبسنا هذا المصطلح من معجم علم اللغة النظري لمحمد علي الخولي ، فقد ذكر أن Hyponym تعني : كلمة معناها مشمول ضمن معني كلمة أخرى ، مثل كراث تقع ضمن الخضروات ، وقط ضمن الحيوان ، انظر ص ١٢٢ ، وأري الكلمة المنضوية – وجمعها منضويات – وهي المنضوية بشكل واضح إلي حقلها الدلالي ، مثل الكراث في الخضروات والقط في الحيوان ، وهكذا .

٣- اخترنا هذه الترجمة لكلمة Hyponyms ، فالكلمات (جاكت – بنطلون – تنورة) توضع في حقل دلالي مسمي ، هو (الملابس الجاهزة) فهذه الأخيرة هي الزعيمة للكلمات الثلاث الأولي وغيرهن مما يقع في حقل واحد ، هو الذي ذكرناه .

ينقسم حقل العمل في دراستنا إلي شقين، الأول يتعلق بالتجارة والآخر بالصناعة ، ويشتمل هذا على المواقف اللغوية التالية : (الأفعال – الأشياء التي تباع – العُدد والأدوات – الفنيون والمعاونون في العمل – أماكن العمل ومؤسساته – نظم العمل) وهاك التفصيل لما سبق :-

١- الأفعال : في التجارة والصناعة نجد عديدا من الأمثلة ، منها :

الجدول الأول

مسلسل	نطق المهاجرين	الكلمة في البرتغالية	المعني
١	bi - vayez	viajar	يسافر
٢	bi- maskiet	mascatear	يتجول لبيع بضاعته
٣	bi- marik	marker	يكتب سعر السلعة
٤	bi- master	mostrar	يعرض

مثال :

الجدول الثاني

الجملة في نطق المهاجرين	الجملة بالبرتغالية	المعني
أنا بلّشت حياتي am bi - maskiet	eu comecei a vida mascateando	بدأت حياتي بائعاً متجولاً

ب- الأشياء التي تباع ، مثل :

الجدول الثالث

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين		الكلمة في البرتغالية	المعنى
	المفرد	الجمع		
١	buluza	bluzât,bluzêt	blusa	البلوزة
٢	buluza şuf	bluzât şuf	blusa de lã	بلوزة صوف
٣	kàmizet	kàmizetêt	camiseta	t-shirt [١]
٤	malia	maliât	malha	سترة
٥	kàlsun	kàlsunêt	calção	بنطلون قصير
٦	kubertur	kuberturiêt	cobertor	بطانية
٧	kolša	kolšât	colcha	مفرش السرير
٨	gravata	gravatât	gravata	ربطة العنق
٩	sàbàt	sàbàbit	sapato	حذاء
١٠	kàlsadu	kàlsadiêt	calçado	النعل[٢]
١١	kartera	karterât[٣]	carteira	حقيبة سفر

١- ويطلق عليها في اللهجة المصرية (فلنة) أي الخارجية التي تلبس بدل القميص ،وهي غالباً بنصف كُم ؛ لأنها تلبس غالباً في الصيف ، وتنطق أحياناً بالقلب أي : (فنلّة) ويبدو أنها جاءت من الكلمة الإنجليزية **Flannel** والتي تعني في الأصل (نسيج صوفي ناعم) يقول طوبيا العنسي: (وهو شعار دقيق من صوف) انظر : تفسير الألفاظ الدخيلة ، ص ٥٢ ، وتطلق هذه اللفظة (الفلنة) على ما يلبس تحت القميص ، وهي تميز عن **t.shirt** بوصفها بالداخلية ، أو يدل السياق على هذا المعني ، وكذا في الأخري التي توصف بالخارجية ، أو يقوم السياق مقام هذا الوصف.

٢- ترجمة **footwear** ، ونقصد بالنعل كل ما يلبس في القدم ، وهذي أوسع في المعني من الحذاء أو (الجزمة) كما في اللهجة المصرية .

٣- هذه العلامة [^]تشير إلي طول الحركة القصيرة .

وهذا هو المثال على ما سبق :

الجدول الرابع

مسلسل	الجملة في نطق المهاجرين	الجملة في البرتغالية	المعني
١	اشترينا kàlsunêt من كل نمرة	compramos calçoes du todos os numeros	اشترينا نعالاً من كل نمرة
٢	أنا أبيع kuberturiêt أكثر من kolsât	eu vendu cobertores mais do que calchas	أبيع بطاطين أكثر من مفارش السرير

جـ - العدد والأدوات ، وقد وجدنا عدداً من الأمثلة، منها :

الجدول الخامس

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين		الكلمة في البرتغالية	المعني
	المفرد	الجمع		
١	vitrin	vitrinêt	vitrina	واجهة العرض
٢	bàlkun	balkunêt	balção	طاولة في دكان أو مصرف
٣	etiket	etiketât	etiqueta	ملصق (على سلعة)
٤	baka	bãkât	banca	كُشْك
٥	màkana	màkanêt	Màquina	ماكينة

تابع الجدول السابق:-

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين		الكلمة في البرتغالية	المعني
	المفرد	الجمع		
٦	màkana kurtà	màkanêt kurtà	màquina de cortar	ماكينة قطع
٧	màkana hiat	màkanêt hiat	màquina de costura	ماكينة خياطة
٨	móldi	moldêt	molde	قالب
٩	mudelu	mudelêt	modelo	طراز

ومن أمثلة ما سبق :

الجدول السادس

مسلسل	الجملة في نطق المهاجرين	الجملة في اللغة البرتغالية	المعني
١	اشترينا al-balkunêt مع al-vitrinet جُداد لمن دخلنا على المحل	compramos os balcoes e as vitrinas novas , quando entramos na loja	اشترينا الطاولات الجديدات والواجهات عندما دخلنا إلي المحل
٢	نحنا عنّا màkana kurtà وأربعه màkanêt خياط	nòs temos uma màquina de cortar e quatro maquinas de costura	لدينا ماكينة قطع وأربع ماكينات خياطة

د – الفنيون والمعاونون في العمل : الكلمات المتعلقة بالمعاونين في العمل أو التي تسم بيئة العمل ، منها :

الجدول السابع

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين	الكلمة في اللغة البرتغالية	المعني
١	ĩ brigodeu	empregado	عامل / أجير
٢	girĕ ti	gerente	مدير
٣	vĕdedor	vendedor	بياع – بائع
٤	kũ tador	contador	محاسب

ولم نجد جمعا لما سبق من الكلمات الأربع غير كلمة : vĕdedoriêt ، أما باقي الكلمات فلم يأت لها جمع ، مثال ما سبق في جمل :

الجدول الثامن

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين	الكلمة في اللغة البرتغالية	المعني
١	al- ĩ brigodu تبعنا كتير منيح[1]	o nosso empregado é muito bom	أجيرنا ممتاز جداً
٢	في تاني محل حطينا girĕti	na outra laja colocamos um gerente	وضعنا مديراً للمحل الآخر

١ – مليح ، تحولت اللام إلي نون ، وهو ما يحدث كثيراً في اللهجات العربية ، مثل إسماعيل وإسماعين .

هـ- مكان وظروف العمل : الكلمات التي تتعلق بمكان العمل ، منها :

الجدول التاسع

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين	الكلمة في اللغة البرتغالية	المعني
١	أشتغل al -prasa	trabalhar na praca	أشتغل في الشارع
٢	bil-stadu	pelo estado	عبر الولاية
٣	محل mubilia	laja de mobilias	محل أثاث
٤	محل tisidu	laja de tecidos	محل القماش
٥	ofisina ropas feitas	oficina de roupas feitas	محل ترزي
٦	حرير fàbraka	fàbrica de seda	مصنع حرير
٧	fàbraka tualiât	fàbraka de toalhas	مصنع مناشف (فوط)

مثال ما سبق :

الجدول العاشر

مسلسل	الجملة في نطق المهاجرين	الجملة في اللغة البرتغالية	المعني
١	أنا vayažt bil-stadu سان باولو	eu viajei pelo estadu de são paulo	سافرت عبر ولاية ساو باولو

تابع الجدول العاشر

مسلسل	الجملة في نطق المهاجرين	الجملة في اللغة البرتغالية	المعني
٢	بعد المبيع bil-rua أنا فتحت محل ropas feitas	depois da venda na rua, eu abri uma loja de roupas feitas	بعد المبيع في الشارع فتحت محل ملابس جاهزة

و- نظم العمل - الكلمات التي تنتمي إلي بيئة العمل هي :

الجدول الحادي عشر

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين	الكلمة في اللغة البرتغالية	المعني
١	krediariu	crediàrio	نظام التقسيط
٢	barsiladu , parsiladu	parcelado	بالتقسيط
٣	brestasõ , prestasõ	prestação	تقسيط
٤	kumisõ	comissão	العمولة – السمسرة
٥	bil -atakado	no atacado	بيع بالجملة
٦	atakadist	atacadista	بائع جملة

تابع الجدول الحادي عشر

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين	الكلمة في اللغة البرتغالية	المعنى
٧	bil- varežu	no varejo	تجزئة- بالتجزئة
٨	varežist	varejista	بائع تجزئة
٩	fiador	fiador	كفيل - ضامن

مثال ما سبق :

الجدول الثاني عشر

مسلسل	الجملة في نطق المهاجرين	الجملة في اللغة البرتغالية	المعنى
١	في هالوقت، الواحد لازم يبيع bil - krediariu	nesta época,temos que vender a crediàrio	في هذا الوقت يجب أن أبيع بالتقسيط
٢	al-věedoriêt تبعنا دايما عَنْدُن kumisõ بالمبيع	os nossos vendedores sempre têm comissao nas vendas	يأخذ الباعة لدينا عمولة دائما على ما يباع

٢- حقل العلاقات الأسرية - في هذا الحقل كلمات مثل :

الحقل الثالث عشر

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين	الكلمة في اللغة البرتغالية	المعني
١	brimu - primu	primo	ابن العم
٢	brima - prima	prima	بنت العم
٣	namurado	namorado	الخِدْن[١]
٤	namurada	namorada	الخدينة
٥	bi-nawmir	namorar	يعطي موعدا غراميأ

مثال ما سبق:

الجدول الرابع عشر

الجملة في نطق المهاجرين	الجملة في اللغة البرتغالية	المعني
انا nawmàrt كتير بنات هوني ، وبعدين أنا تجوست[٢] مع -al brima تبعي	eu namorei muilas meninos aqui e depois eu me casei com a minha prima	خادنت بنات كثيرات هنا ، ثم تزوجت من بنت عمي

٣- الحقل الدلالي الخاص بالسكن : هناك كلمات في هذا الحقل من مثل :

١- تستخدم العربية كلمة واحدة للمذكر والمؤنث هنا ، وهي (خِدْن) وجمعها (أخدان) للمذكر والمؤنث أيضاً، في القرآن الكريم :" ولا متخذات أخدان ""٥ المائدة " وأيضاً :" ولا متخذي أخدان " " ٢٥ النساء " والخدن : الصاحب في السر ، للذكر والأنثي ، ولأن العربية لا تفرق بين المذكر والمؤنث في هذي الكلمة فقد استخدمناها للمذكر ، واخترنا للمؤنثة كلمة أخري هي (خَدِينة) .

٢- أي (تزوجت) حدث قلب مكاني للصوامت فأصبحت (تجوزت) ثم أهمست الزاي فأصبحت سيناً ، فكانت الكلمة كما رأينا (تجوست)

الجدول الخامس عشر

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين		الكلمة في البرتغالية	المعنى
	مفردة	مجموعة		
١	kurtin	kurtinêt	cortina	ستارة
٢	tualia	tualiât	toalha	فوطة
٣	fòrn	——	forno	فرن
٤	talifòn	——	telefone	هاتف
٥	armariu	——	armàrio	دولاب
٦	lustri	——	lustre	نجفة
٧	ilivador	——	elevador	مصعد

مثال ما سبق في جملة :

الجدول السادس عشر

جملة المهاجرين	الجملة باللغة البرتغالية	المعنى
بَعتنا داهن البيت وغيرنا al-qurtinêt وحطينا armariu إجداد بالمطبخ	mandamos pintar a casa e trocamos as cortinas, colocamos armària novo na cozinha	بيضنا البيت وغيرنا الستائر ، ووضعنا نملية جديدة في المطبخ

٤- الحقل الدلالي الخاص بالطعام:

الجدول السابع عشر

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين	الكلمة في البرتغالية	المعنى
١	dausi	doce	حلاوة
٢	bòlu	bolo	كحك
٣	baskot وتصغيرها : baskoteie	biscoito	كحكة محلاة أو محشوة
٤	mamun	mamao	بباية (فاكهة)
٥	bakati	abacate	فاكهة المحامي (أبو فروة)
٦	magu	manga	منجة (منجو)

مثال :

الجدول الثامن عشر

الجملة في نطق المهاجرين	الجملة في البرتغالية	المعنى
اعملي معروف امسكي baskoteie مع القهوى	por favor, pegue um biscoitinho com o cafe	من فضلك خذي كحيكة (تصغير كحكة) مع القهوة

٥- الحقل الدلالي الخاص بالسفر ووسائل المواصلات فيه كلمات مثل :

الجدول التاسع عشر

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين	الكلمة في البرتغالية	المعنى
١	vistu	visto	تأشيرة
٢	bosaž – pasaž	passagem	تذكرة
٣	babur[1]	vapor	قارب بخاري
٤	naviu	navio	سفينة
٥	basiklet	bicicleta	دراجة بخارية
٦	karu	carro	سيارة
٧	beso - peso	pensao	نُزُل

مثال : الجدول العشرون

مسلسل	جملة المهاجرين	الجملة البرتغالية	المعنى
١	بس أنا وصلت عَلّ برازيل ضَلَتْتْ bil- bĕsõ	quando eu cheguei ao Brazil , fiquei na pensão	بمجرد أن وصلت البرازيل أقمت في نُ ُزُل
٢	أنا أشتريت karu أزغير [٢] لإبني	eu comprei um karro pequeno para para o meu filho	اشتريت لابني سيارة صغيرة

١- الرأي أن المهاجرين اللبنانيين أخذوا هذه الكلمة من العامية العربية (بابور) وتنطق في مصر أحياناً (وابور) ويقصد به القاطرات التي تسير – أو كانت- بالبخار ونتصور أن هذه الكلمة هي من الكلمة العربية (بخار) .

٢- حول الصاد في (أصغير) إلي زاي فجاءت (أزغيّر) كما سبق، يلاحظ أنه لم يؤنث الصفة (أزغير) إنه يبدو أن هذا التأنيث غير موجود في الكلمة البرازيلية التي نطقها المهاجر ، أو هكذا أفهم .

٦-الحقل الدلالي الخاص بالترويح فيه كلمات منها :

الجدول الحادي والعشرون

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين	الكلمة البرتغالية	المعنى
١	braya – praya	praia	شاطئ
٢	barki – parki	parque	حديقة عامة
٣	klub	clube	نادي
٤	fešta	festa	حفلة
٥	ristorãt	restaurante	مطعم
٦	kãtin	cantina	مطعم إيطالي
٧	radiu	radio	مذياع

الجدول الثاني والعشرون

الجملة في نطق المهاجرين	الجملة في البرتغالية	المعنى
في مرّات أنا بْروح معَ جوزي إتعشّا fil- ristorãt تبع -al klub	a s vezes , eu vou commeu marido janterno restourante do clube	أحياناً أذهب مع زوجي نتعشي في مطعم النادي

٧- الحقل الدلالي الخاص بالحياة المدرسية ، وفيه كلمات مثل :

الجدول الثالث والعشرين

مسلسل	الكلمة في نطق المهاجرين	الكلمة في اللغة البرتغالية	المعني
١	orietasõ	orientacão	التوجيه
٢	idukasõ	educacão	التعليم
٣	sistem	sistema	النظام
٤	diblom - diplom	diploma	دبلومة
٥	madrasi barlikular- partikular	escola particular	مدرسة خاصة
٦	bil-maternal	no maternal	في الحضانة
٧	bil-brimariu , bil-primariu	no primario	في المدرسة الابتدائية
٨	bil-žinaziu	no ginasio	في المدرسة المتوسطة
٩	bil-kuležial	no colegial	في المدرسة العليا

الجدول الرابع والعشرون

مسلسل	الجملة في نطق المهاجرين	الجملة في اللغة البرتغالية	المعنى
١	أنا ما جبيّت al-sistem تبع idukasõ هوْني في بَرازِل	eu não gostei do sistema de educacão aqui no prazil	أنا ما أحببت نظام التعليم هنا في البرازيل
٢	أنا أَخَتّ al-diplom في لبنان	au recebi o diploma no Libanon	أخذت الدبلومة في لبنان

٨ – الحقل الدلالي الخاص بالمهنة ، وفيه كلمات مثل :

الجدول الخامس والعشرين

مسلسل	نطق المهاجرين	الكلمة البرتغالية	المعنى
١	maskati-marsãti	mascate	بّياع
٢	ferãti	feirante	بياع متجول في الأسواق
٣	kumersiãti	comerciante	تاجر
٤	industirial	industrial	صاحب مصنع
٥	doktur	doutor	طبيب
٦	ižinieru	engenheiro	مهندس
٧	abukàt	advogado	محام
٨	brufisur	prafessor	مدرس (أستاذ)

مثال ما سبق :

الجدول السادس والعشرين

مسلسل	جملة المهاجرين	الجملة في البرتغالية	المعنى
١	عندي ابن ižinieru وبنت brufisura	eu tenho um filho engenheiro e umo filha professora	عندي ابن مهندس وبنت مدرسة
٢	الحياة maršăti ما كتير مِنيحه	vida du maskate não e muito boa	حياة البياع ليست مليحة

طبيعة المعجم

تتسم لغة المقابلين بالصيغ الاسمية التي تحدد خصائص أو حقائق تمثل مجموعة من الخصائص الموضوعية (Coseriu 1981) وبالنظر إلى نوع العمل : تجارة – البيئة المحيطة – الأسرة – الترويج – المنزل – المدرسة . . . يمكن ملاحظة كيفية استخدام كلمات بعينها متصلة بهذه المواقف في اللغة الأم .

ولقد أظهر تقييم المفردات التي تمت دراستها هنا بعض النماذج لتوليف كلمات جديدة (عربية – برتغالية) أما المعجم المستخدم من قبل المفحوصين ، فقد تم تصنيفه إلى المجموعات التالية :

المجموعة الأولى : يتم التعبير عن المعنى المقصود في البرتغالية والعربية بواسطة وحدة معجمية مركبة ، ولمزيد من التفصيل عن هذا المفهوم انظر :
(Poittier ١٩٧٢ ، ص ٢٧) هذا التداخل بين اللغتين يلاحظ في ثلاثة أنواع من التراكيب (النحوية) :

الأول : التركيب العربي البرتغالي : فتأتي الكلمة العربية قبل البرتغالية :

الجدول السابع والعشرون

مسلسل	نطق المهاجرين	التركيب البرتغالي	التركيب العربي
١	محل mubilia	loja de mobilia	محل أثاث
٢	محل fazeda	loja du fazenda	محل قماش
٣	مَدْرسي stadu	escla do Estado	مدرسة حكومية
٤	بِشتِغِل al- rua	trabalho na rua	اعمل في الشارع

الثاني – التركيب البرتغالي العربي ، فتاتي الكلمة البرتغالية قبل الكلمة العربية :

الجدول الثامن والعشرون

مسلسل	نطق المهاجرين	التركيب البرتغالي	التركيب العربي
١	fabraka حرير	fabrice de seda	مصنع حرير
٢	korti حرير	corte de seda	قطعة حرير
٣	buluza صوف	blusa de la	سترة صوف
٤	rolu خياط	rolo de linha	بكرة خياطة

الثالث – التركيب البرتغالي / البرتغالي : (حيث استخدم المهاجرين كلمتين برتغاليتين ، ولكنهم أكسبوهما شيئاً من بصمات العربية ، مثل الاستغناء عن أداة الربط بين المنضافين في البرتغالية de أو نطق الكلمتين تأثرا بلغة الأم ، كما يتضح مما يلي [1]) :

الجدول التاسع والعشرون

مسلسل	نطق المهاجرين	التركيب البرتغالي	التركيب العربي
١	beti finu	pente fino	مشط رفيع
٢	artigu natal	artigo de natal	بطاقة عيد الميلاد
٣	fabraka tualiat	fabrica de toalhas	مصنع مناشف

١-٢ ما بين القوسين من إضافة المترجمين لتوضيح هذا النوع من التراكيب .

المجموعة الثانية : وتنقسم إلى قسمين :

الأول – البرتغالية تعبر بأكثر من كلمة عن معنى بعينه ، في حين تعبر العربية بكلمة واحدة ، مثل :

الجدول الثلاثين

مسلسل	نطق المهاجرين	البرتغالية	العربية
١	armariniu	armarinho	خردوات
٢	miudezaz	miudezas	خردوات
٣	bayli	baile	رقص
٤	dasa	danca	رقص
٥	fazeda	fazenda	قماش
٦	tisidu	tecido	قماش

الثاني - في العربية أكثر من كلمة للمعنى الواحد ، في حين لا يوجد في البرتغالية غير كلمة واحدة فقط لذياك المعنى :

الجدول الحادي والثلاثون

نطق المهاجرين	البرتغالية	العربية
brufisur	professor	معلم (مدرس)
brufisur	professor	أستاذ

المجموعة الثالثة – في العربية وحدة معجمية مركبة ، وفي البرتغالية وحدة معجمية بسيطة :

الجدول الثاني والثلاثون

مسلسل	نطق المهاجرين	البرتغالية	العربية
١	malia	malha	قميص صوف
٢	basta	pasta	شنطة كتب
٣	kalsum	calcao	بنطلون قصير
٤	kolsa	colcha	مفرش سرير
٥	etiketa	etiqueta	رقعة لاصقة
٦	katin	cantina	محل أكل (مطعم إيطالي)

المجموعة الرابعة – في العربية أكثر من وحدة معجمية مركبة وفي البرتغالية وحدة معجمية بسيطة :

الجدول الثالث والثلاثون

مسلسل	نطق المهاجرين	البرتغالية	العربية
١	subiriniu	sobrinho	ابن الأخ – ابن الأخت
٢	brimu	primo	ابن الخال – ابن العم

المجموعة الخامسة – الكلمات البرتغالية وليس لها نظير عربي :

الجدول الرابع والثلاثون

مسلسل	نطق المهاجرين	الكلمة البرتغالية	الكلمة في الإنجليزية[1]
١	namuradu	namorado	boy friend
٢	masus	chuchu	chayote (نوع من الخضروات)
٣	bolu	bolo	cake
٤	mamum	mamao	papaya
٥	bakati	abacate	avocado
٦	bakasi	abacaxi	pineapple
٧	magu	manga	mango
٨	kakeie	caqui	Kaki (نوع من الفاكهة)

المجموعة السادسة – الوحدات بسيطة في البرتغالية وفي العربية أيضاً ، كما في : الجدول الخامس والثلاثين

مسلسل	نطق المهاجرين	الكلمة البرتغالية	الكلمة العربية
١	artigu	artigo	صًنف ([2])
٢	vazu	vaso	زًهرية
٣	sidadi	cidade	مدينة
٤	kurtin	cortina	ستارة
٥	kuniadu	cunhaho	صهر
٦	kuadro	quadro	لوحة
٧	bola	bola	كرة
٨	brikedu	brtnquedo	لعبة

١- اضطررنا أن نكتب الكلمات في الإنجليزية دون أن نترجمها إلى العربية حتى لا يتعارض هذا مع وجهة نظر الدراسة بان هذي الكلمات البرتغاليات لا نظير لهن في العربية ، وقد نرى أن بعض هذي البرتغاليات لهن في العربية نظائر ، ولكنا حافظنا - من باب الأمانة – على نقل وجهة النظر التي أوردتها الدراسة .

٢- شكلنا الكلمات العربية حسبما جاء في الدراسة .

المجموعة السابعة – في العربية وحدة معجمية بسيطة وفي البرتغالية الوحدة مركبة ، مثالها :   الجدول السادس والثلاثون

نطق المهاجرين	في البرتغالية	في العربية
sosiu brubietariu	socio de proprietario	شريك

رابعاً التحليل الكمي لمعجم المجموعتين : لقد خضع التداخل المعجمي للمجموعتين المقابلتين للتحليل الإحصائي ، كما أخذ في الاعتبار الحقول الدلالية لمجموعات الكلمات وكذا تقسيمات المقابلين ، كما في الجدولين الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين ، وبعد تحديد متغيرات المجموعتين كان الهدف هو التأكد من أن ظاهرة التداخل ترتبط بهذه المتغيرات، فاتضح أن المستوى التعليمي كان العامل الأول الأكثر ارتباطا بالتداخل .

جداول التكرار للكلمات المتداخلة :

برغم أننا تعاملنا مع حقول دلالية منفصلة ، فإن النتائج كانت متشابهة ، لقد نظم الجدولان الثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون بشكل يوضح تكرار الكلمات المتداخلة وفقاً لوظائف هذه الكلمات لدى مستخدميها ، ووفقاً أيضاً لمستواهم التعليمي .

وبصفة عامة فإن المجموعة الأولى تستخدم هذه الكلمات بشكل أكثر تكراراً من المجموعة الثانية ، وبغض النظر عن سمات هذه المجموعة فإن استخدام الكلمات المتداخلة يقل مع ارتفاع المستوى التعليمي .

الجدول السابع والثلاثون

توزيع المتغيرات

<table dir="rtl">
<tr><th colspan="2">العينة</th><th>المجموعة</th><th>الديانة</th><th>النوع</th><th>المستوى التعليمي</th></tr>
<tr><td>العدد</td><td>٢٤٠</td><td>١٢٠</td><td>٦٠</td><td>٣٠</td><td>١٠</td></tr>
<tr><td colspan="2" rowspan="8">العينة</td><td rowspan="4">المجموعة الأولى ١٩٦٠ - ١٩٩٠</td><td rowspan="2">مسلمون</td><td>نساء</td><td>ابتدائي
ثانوي
عال</td></tr>
<tr><td>رجال</td><td>ابتدائي
ثانوي
عال</td></tr>
<tr><td rowspan="2">مسيحيون</td><td>نساء</td><td>ابتدائي
ثانوي
عال</td></tr>
<tr><td>رجال</td><td>ابتدائي
ثانوي
عال</td></tr>
<tr><td rowspan="4">المجموعة الثانية ١٩٧٠ - ١٩٨٠</td><td rowspan="2">مسلمون</td><td>نساء</td><td>ابتدائي
ثانوي
عال</td></tr>
<tr><td>رجال</td><td>ابتدائي
ثانوي
عال</td></tr>
<tr><td rowspan="2">مسيحيون</td><td>نساء</td><td>ابتدائي
ثانوي
عال</td></tr>
<tr><td>رجال</td><td>ابتدائي
ثانوي
عال</td></tr>
</table>

الجدول الثامن و الثلاثون

تكرار الكلمات المقترضة و النسبة المئوية لها طبقا لمجال المهنة

الحقل الدلالي	المستوي التعليمي	المجموعة الأولي		المجموعة الثانية		الإجمالى
		عدد الكلمات	%	عدد الكلمات	%	
العمل	ابتدائي	٣٨.٤٠٩	%٥٨	٢٠.٣٤٠	%٤٢	٤٨.٧٤٩
	ثانوي	٢٢.٩١٥	%٦٢	١٤.١٧٧	%٣٨	٣٧.٠٩٢
	عال	١٧.٧٠٣	%٨٣	٣.٦٩٥	%١٧	٢١.٣٩٨
العلاقات الأسرية	ابتدائي	٨٧٧	%٥٦	٦٨٩	%٤٤	١.٥٦٦
	ثانوي	٧٥٢	%٦١	٤٨١	%٣٩	١.٤٤١
	عالٍ	٥٩٣	%٧٣	٢١٩	%٢٧	٨١٢
السكن	ابتدائي	٢.٠٧٦	%٥٧	١.٥٨٣	%٤٣	٣.٦٥٩
	ثانوي	١.٧٨٥	%٥٦	١.٣٧٧	%٤٤	٣.٣٦٨
	عالٍ	١.٦٠٢	%٥٩	١.١٠٨	%٤١	٢.٧١٠
الغذاء	ابتدائي	٢.١٤٨	%٥٧	١.٦٣٤	%٤٣	٣.٧٨٢
	ثانوي	١.٩٧٤	%٥٨	١.٤٢٥	%٤٢	٣.٣٩٩
	عالٍ	١.٧٢٦	%٦٢	١.٠٤٦	%٣٨	٢.٧٧٢
السفر	ابتدائي	١.٧٦٠	%٦٣	١.٠٥٥	%٣٧	٢.٨١٥
	ثانوي	١.٦٥٢	%٦٨	٧٦٥	%٣٢	٢.٤٠٧
	عالٍ	١.٤٨٣	%٧٦	٤٦٨	%٢٤	١.٩٥١
الترويح	ابتدائي	١.٤٩٢	%٥٠	١.٤٧٧	%٥٠	٢٠٩٦٩
	ثانوي	١.٤١٩	%٥١	١.٣٧١	%٤٩	٢.٧٩
	عالٍ	١.٣٨٠	%٧٤	١.١٦٦	%٤٦	٢.٥٤٦
المدرسة	ابتدائي	١.٤٨٩	%٤٦	١.٧٢١	%٥٤	٣.٢١٠
	ثانوي	١.٢٦١	%٦٢	٨٢٢	%٣٩	٢.٠٨٣
	عالٍ	١.٠٦٦	%٧٤	٣٧٩	%٢٦	١.٤٤٥
المهنة	ابتدائي	١.٤٨٩	%٤٦	١.٧٢١	%٥٤	٣.٢١٠
	ثانوي	١.٢٦١	%٦٢	٨٢٢	%٣٩	٢.٠٨٣
	عالٍ	١.٠٦٦	%٧٤	٣٧٩	%٢٦	١.٤٤٥

الجدول التاسع والثلاثون
تكرار الكلمات المقترضة و النسبة المئوية لها حسب المستوى التعليمى

الحقل الدلالي	المجموعة	ابتدائي		ثانوي		عالي		الجملة
		عدد الكلمات	%	عدد الكلمات	%	عدد الكلمات	%	
العمل	الأولي	٢٨.٤٠٩	%٤١	٢٢.٩١٥	%٣٣	١٧.٧٠٣	%٢٦	٦٩.٠٢٧
	الثانية	٢٠.٣٤٠	%٥٣	١٤.١٧٧	%٣٧	٣.٦٩٥	%١٠	٣٨.٢١٢
العلاقات الأسرية	الأولي	٨٧٧	%٣٩.٥	٧٥٢	%٣٣.٨	٥٩٣	%٢٦.٧	٢.٢٢٢
	الثانية	٦٨٩	%٤٩.٦	٤٨١	%٣٤.٦	٢١٩	%١٥.٨	١.٣٨٩
السكن	الأولي	٢.٠٧٦	%٣٨	١.٧٨٥	%٣٣	١.٦٠٢	%٢٩	٥.٤٦٣
	الثانية	١.٥٨٣	%٣٩	١.٣٧٧	%٣٤	١.١٠٨	%٢٧	٤.٠٦٨
الطعام	الأولي	٢.١٤٨	%٣٦	١.٩٧٤	%٣٤	١.٧٢٦	%٣٠	٥.٨٤٨
	الثانية	١.٦٣٤	%٤٠	١.٤٢٥	%٣٥	١.٠٤٦	%٢٥	٤.١٠٥
السفر	الأولي	١.٧٦٠	%٣٦	١.٦٥٢	%٣٤	١.٤٨٣	%٣٠	٤.٨٩٥
	الثانية	١.٠٥٥	%٤٦	٧٦٥	%٣٣	٤٦٨	%٢١	٢.٢٨٨
الترويح	الأولي	١.٤٩٢	%٣٥	١.٤١٩	%٣٣	١.٣٨٠	%٣٢	٤.٢٩١
	الثانية	١.٤٧٧	%٣٧	١.٣٧١	%٣٤	١.١٦٦	%٢٩	٤.٠١٤
المدرسة	الأولي	١.٤٨٩	%٣٩	١.٢٦١	%٣٣	١.٠٦٦	%٢٨	٣.٨١٦
	الثانية	١.٧٢١	%٥٩	٨٢٢	%٢٨	٣٧٩	%١٣	٢.٩٢٢
المهنة	الأولي	١.٢٩٤	%٣٨	١.١٥٨	%٣٤	٩٩٨	%٢٨	٣.٤٥٠
	الثانية	١.١٣٢	%٥٢	٧١٩	%٣٣	٣٣٦	%١٥	٢.١٨٧

ويرجع تفسير استخدام الكلمات المتداخلة إلى المستوى التعليمى الأقل ، أو بمعنى آخر يرجع إلى المستوى الثقافى الذى تعرضو له في البرازيل ، أو ظروف الحياة التي مروا بها في بلدهم الأصلي ، أما طرق التحليل الإحصائي التي استخدمت هنا فهي المعادلة التربيعية واختبار كا^2 لـ بيرسون ، وجوسّ .

ومن خلال البيانات المجدولة تمكنا من إثبات أن التداخل كان له أهمية أكبر لدى المجموعة الأولى مقارنة بالمجموعة الثانية (انظر الجدول الثامن والثلاثين)

وأن المهاجرين ذوي التعليم العالي كانوا أقل استخداماً للتداخل من غيرهم (انظر الجدول التاسع والثلاثين) .

وحقيقة أخرى ظهرت في الجداول هي التقارب [1] النسبي في الاستخدام بين المجموعتين ، برغم أن التداخل كان أكثر وضوحاً لدى المجموعة الأولى ، فقد تطابقت المجموعتان في استخدام كلمات معينة ، وكان أكثرها عدداً في حقل العمل .

لقد أسهم اختلاف النشاط المهني في كمية الحصيلة اللغوية للمهاجرين حتى لو كانت هذه الكلمات عربية ، لقد تم التثبت من وجود ظاهرة التداخل عن طريق المعالجات الإحصائية وكانت ذات أرقام دالة إحصائياً عندما كان متوسط العينة بين الحدين الأدنى والأعلى .

١ـ عدم وجود هوة كبيرة في استخدام التداخل بين المجموعتين .

الخاتمة والنتائج

أول ما تجب إليه الإشارة هو وجود اتصال بين ثقافتين ، فقد لوحظ وجود علاقة بين المهاجرين اللبنانيين وبين ثقافتهم الجديدة في البرازيل ، خاصة فيما يتعلق ببعض سمات حديثهم ، ومن خلال التحليل التقابلي فقد اختلف تصورهم لعالمهم قبل القدوم إلى البرازيل وبعده .

أما العوامل المؤدية إلى هذا السلوك اللغوي فهي عوامل نفسية واجتماعية وتاريخية،ويمكن إرجاع استخدام الكلمات المقترضة إلى عدة أسباب :

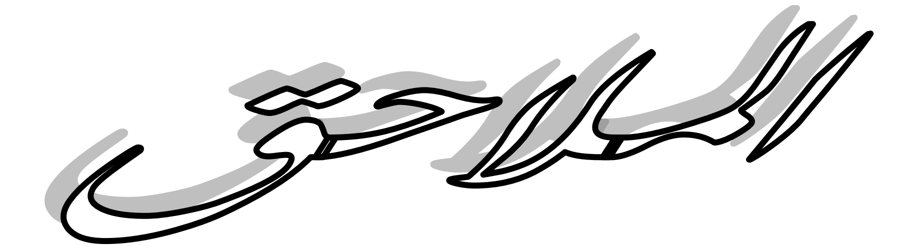
١. السلوك اللاإرادي للمتكلم : فإن المرء لا يعرف ما إذا كان يتحدث بتداخل بين اللغتين ، أم لا ، ولماذا ؟ ويظهر هذا السلوك جليا في حال المجموعة الأولى التي قبلت قيم الثقافة السائدة (برغم عدم إجادة بعضهم لبنية اللغة البرتغالية الفصحى) .
٢. اختلاف السياق والحصيلة اللغوية : تعد البيئة الجديدة بمثابة قوة اجتماعية مؤثرة في المهاجرين ، فبرغم معرفتهم لكلمات عربية فقد اعتادوا عليها (سماعاً وكلاماً) في موقف مختلف تماماً وهو ما أدى إلى مشكلات دلالية ، وفضلاً عن ذلك ظهرت مواقف وكلمات لم تك موجودة في اللغة – أو الثقافة – العربية .
٣. الاقتصاد اللغوي : فالمتكلم يدرك أن استخدام كلمات معينة يفيده في الاتصال الشفوي ، وهذه الكلمات يمكن تحديدها عن طريق ملامح دلالية متعددة .

إن الأسباب التي تفسر طبيعة التداخل المعجمي هي العوامل النفسية والاجتماعية واللغوية ، هذه الحقيقة تؤكد العلاقة المعقدة بين الفرد والبيئة والتي

تظهر من خلال اللغة ، فالتداخل اللغوي، وكذا محاولات التكيف مع بيئة جديدة هي أمور مرنة متحركة (ديناميكية) غير جامدة في المنظور الأوسع ، مما ييسر تقييم نتائج الاحتكاك الثقافي (التثاقف) وهي شيء متأصل في التطور الدائم للإنسان .

إن التعامل مع مجموعتي الدراسة ، والاحتكاك بالثقافة العربية كعنصر دمج جعل من الممكن فهم القيم والمعايير التي يتمسكون بها ، أو المميزة لهم .

و الآن انتهت الترجمة ، بعدها ملاحق الدراسة



اقتباسات متنوعة من كتاب الشرايين المفتوحة لأمريكا اللاتينية

منطق الدول الغنية : إن الحديث عن عدالة الأسعار في الوقت الحاضر هو مفهوم من القرون الوسطي ، لماذا يا سادة ؟ لأننا في ذروة حقبة التجارة الحرة .

وبقدر ما تزداد الحرية المتاحة في التجارة والأعمال يصبح من الضروري إنشاء المزيد من السجون من أجل الفقراء الذين يضارون من جراء هذه التجارة ، وجيوش المحققين والجلادين لا تعمل فقط في خدمة السوق الخارجية المسيطرة ، بل إنها أيضاً تحقق لنفسها شلالات متدفقة من الأرباح تفيض من القروض والاستثمارات الأجنبية في الأسواق الداخلية الخاضعة .

أعلن الرئيس الأمريكي ولسون منذ عام ١٩١٣ : جرى الحديث عن تنازلات تقدمها أمريكا اللاتينية لرأس المال الأجنبي وليس عن تنازلات تقدمها الولايات المتحدة لرأسمال البلدان الأخرى .

التقسيم الدولي للعمل يتخلص في أن بعض البلدان تخصص في الربح ، وبعضها الآخر يتخصص في الخسارة ، وقد كان إقليمنا - من العالم الذي نسميه الآن أمريكا اللاتينية – مبكراً جداً في ذلك ، لقد تخصص في الخسارة منذ أن اندفع أوربيو عصر النهضة عبر البحر ، وغرسوا أسنانهم في حنجرته .

مرت القرون وبلغت أمريكا اللاتينية بمهامها حد الكمال ، ولكنها ما زالت تقوم بعمل الخادمة لكل الاحتياجات الأجنبية مصدراً واحتياطياً للبترول والحديد والنحاس واللحم والفواكه والبن ، المواد الأولية والأغذية المنتجة إلى البلدان الغنية التي تكسب من استهلاكها أكثر بكثير مما تكسب أمريكا اللاتينية من إنتاجها فالرسوم التي يحصلها المشترون أعلى بكثير من الأسعار التي يتلقاها البائعون .

وفي أمريكا اللاتينية نفسها تجد البلدان الكبيرة تضطهد جاراتها الصغرى وفـي داخـل كـل بلـد تمـارس المـدن الكبيـرة والمـوانئ اسـتغلال المصـادر والمـدن الداخلية لإمدادها بالمؤن والأيدي العاملة .

كانت ثروتنا تولد دائماً فقرنا لتغذي رفاهية الآخرين حيث يتحول الذهب إلى خردة والغذاء إلى سم .

إن الطبقات الحاكمة في أمريكا اللاتينية نظراً لارتباطها بمنظومة السلطة الاستعمارية، ليس لديها أدنى اهتمام بالتحقق مما إذا كانت الوطنية يمكن أن تكون مريحة أكثر من الخيانة ، أو ما إذا كان التسول هو الشكل الوحيد الممكن فـي السياسة الدولية ، حيث ترتهن السياسة لأنه ليس هناك سبيل آخر ، غير الاستكانة والخضوع والرضوخ .

يتزايد الناس على قارعة الطريق بلا عمل : لا في الريف ولا المدينة ، حيث تسود الآلات ، إن بلادنا تتقيأ بشراً ، وتقوم البعثات الأمريكية الشاملة بتعقيم النساء على نطاق واسع ، وتبذر حبوباً ولوالب وعوازل مطاطية كي تحصد أطفالنا ، ولكن هؤلاء الأطفال – في بلادنا – يواصلون بإصرار توالدهم مطالبين بحقهم الطبيعي في مكان تحت الشمس .

الإمبراطورية الكبرى في هذا العالم : هي قلقة ، ولأنها غير قادرة على على مضاعفة الخبز ، فإنها تفعل كل ما بوسعها لتقليل عدد الجالسين إلى الطعام .

حارب الفقر ؟ كيف : (اقتل شحاذا) هكذا سطر أحد أساتذة الدعاية السوداء على أحد جدران مدينة لاباز حاضرة بوليفيا جنوب غرب البرازيل، ماذا يقترح ورثة مالتوس [١] سوى قتل كل الشحاذين المقبلين قبل أن يولدوا .

إن روبرت مكنمارا رئيس البنك الدولي ، قبل ذلك كان رئيساً لمؤسسة فورد ووزيراً للدفاع – أكد أن الانفجار السكاني يمثل العقبة الرئيسة أمام تقدم أمريكا اللاتينية ، ويعلن أن البنك الدولي سيعطي أولوية للبلدان التي تطبق خططاً لتحديد النسل، ويوضح مكنمارا بأسى أن أمخاخ الفقراء تفكر بدرجة أقل تدنيا إلى ٢٥ % فقط .

ويقوم دهاقنة البنك الدولي يجعل أجهزة الحاسوب تدق وتخرج ألغازاً بالغة التعقيد حول مزايا أن لا يولد المرء .

وقد اشتهرت عبارة لندون جونسون : أن تستثمر خمسة دولارات ضد النمو السكاني أكثر فعالية من مائة دولار تستثمر في النمو الاقتصادي ، أما الرئيس أيزنهور فقد تنبأ بأن سكان الأرض إذا استمروا في التضاعف بنفس المعدل فلن تزداد فقط حدة الثورة، بل سينتج كذلك تدهور في مستوى معيشة كل الشعوب بما في ذلك شعبنا .

لا تعاني الولايات المتحدة داخل حدودها من مشكلة الانفجار السكاني ، لكنها أكثر الدول اهتماماً بنشر وفرض تنظيم الأسرة في أركان الأرض قاطبة ، ولا تهتم بذلك الحكومة وحدها ، فإن روكفلر ومؤسسة فورد بدورهما يعاذيان من كوابيس يتقدم فيها ملايين الأطفال مثل الجراد من آفاق العالم الثالث .

١ـ توماس روبرت مالثوس (١٧٦٦ – ١٨٣٤ م) عالم اقتصاد إنجليزي ، دعا إلى كبح الزيادة السكانية عن طريق تحديد النسل .

وقد انشغل أفلاطون وأرسطو بالمشكلة قبل مالتوس ومكنمارا ، إلا أن كل هذا الهجوم – في أيامنا – يحقق جيداً مهمة محددة ، إنه يطرح تبرير التوزيع شديد التفاوت للدخل بين البلدان وبين الطبقات الاجتماعية ، وإقناع الفقراء بأن الفقر هو نتيجة الأطفال الذين لا يتم تجنبهم ، ووضع حائل أمام سخط الجماهير بالحركة والتمرد .

موانع الحمل : التي توضع داخل الرحم فاقت القنابل والرشات في جنوب شرق آسيا في محاولة إعاقة النمو السكاني في فيتنام ، أما في أمريكا اللاتينية فإن القضاء على مقاتلي العصابات في رحم الأمهات أكثر واقعية وفعالية من قتلهم في الجبال والشوارع ، لقد قامت عدة بعثات أمريكية شمالية بتعقيم آلاف النساء في إقليم الأمازون برغم أن هذه المنطقة هي أقل مناطق كوكبنا سكاناً وفي غالبية بلدان أمريكا اللاتينية لا يزيد السكان عن الحاجة بل ينقصون ، بل إن نصف أراضي البرازيل – مثلاً – لا يسكنها أحد .

إنهم يطرحون تجنب النسل في الأراضي الخاوية ، ويزعمون أن هناك نقصاً في رءوس الأموال في بلدان تفيض فيها رءوس الأموال عن الحاجة ، نعم تفيض لكنها تبدد ، يطلقون اسم المساعدات على جراحة تشويه العظام التي تمارسها القروض ، وعلى استنزاف الثروات الذي تمارسه الاستثمارات الأجنبية عودة للجذور : كانت أسبانيا تعيش إجلاء العرب ، لم يك عام ١٤٩٢ مجرد عام اكتشاف أمريكا ، ذلك العالم الجديد الذي ولد من هذا الخطأ ذي النتائج المدمرة ، لقد كان كذلك عام استعادة غرناطة ، إذا أن فرناندو ملك أراجوان وإيزابيل ملكة قشتالة تجاوزا بزاوجهما تمزق مملكتيهما ، لقد نجحا أوائل عام ١٤٩٢ م في الاستيلاء على آخر معقل للدين الإسلامي على أرض أسبانيا .

استغرقت استعادة ما فقد في سبع سنوات نحو ثمانية قرون وكانت حرب إجلاء العرب قد أفرغت الخزانة الملكية ، لكن هذه الحرب كانت في نظر أصحابها- أو من أوقدوها- حرباً مقدمة ، الحرب المسيحية ضد الإسلام .

لذلك ليس من قبيل المصادفة أنه في نفس عام ١٤٩٢ م تم طرد مائة وخمسين ألف يهودي من البلاد ، كانت أسبانيا ترسم واقعها بوصفها أمة وهي تشهر السيوف التي تحمل مقابضها علامة الصليب ، في حين جعلت الملكة إيزابيل من نفسها داعية المحاكم التفتيش المقدسة .

إن حدث اكتشاف أمريكا لا يمكن تفسيره بدون التقاليد العسكرية لحرب الحملات الصليبية التي سادت قشتالة في العصر الوسيط ، في حين لم تتباطأ الكنيسة في إضفاء طابع القداسة على غزو الأراضي المجهولة على الجانب الآخر من بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) وقد جعل البابا ألسكندر السادس الذي كان من بلنسية الملكة إيزابيل مالكة وسيدة العالم الجديد.

كان توسع مملكة قشتالة يوسع مملكة الرب على الأراضي ، بعد ثلاثة أعوام من الاكتشافات قاد كريستوف كولومبس بنفسه الحملة العسكرية ضد سكان الدومينيكان الأصليين ، قامت حفنة من الفرسان ومائتان من المشاة وبعض الكلاب المدربة بتمزيق الهنود إرباً ، وأرسل إلى أسبانيا أكثر من خمسمائة منهم بيعوا كالعبيد في أشبيلية ، وماتوا بائسين .

لكن بعض اللاهوتيين احتجوا وحُظر استعباد الهنود رسمياً مع مولد القرن السادس عشر ، إلا أنه في الواقع لم يحظر فقط ، بل بورك ، فقبل كل حملة عسكرية كان يجب على القادة أن يقرأوا على الهنود أمام كاتب عمومي إنذاراً مسهبا وبليغاً يستحثهم على اعتناق الكاثوليكية المقدسة : " وإذا لم تفعلوا أو أبديتم

في ذلك إبطاء لسوء طوية، فإنني أشهدكم على أنني بعون الرب سأحمل عليكم بسطوة ، وسأشن عليكم الحرب في كل مكان ، وبكل طريقة أستطيعها ، وسأخضعكم لطاعة الكنيسة وصاحبة الجلالة ، وسآخذ نساءكم وأبنائكم - كما تأمر جلالتها - وسآخذ أملاككم ، وأوقع بكم كل ما أستطيع من شرور وأذى .

وقد استبق كثيرون من هنود الدومينيكان هذه القدر الذي قرضه عليهم المضطهدون البيض الجدد ؟ قتلوا أطفالهم ثم انتحروا ، ومع هذا لم يمنع المؤرخ الرسمي لوصف هذه المذبحة في منتصف القرن السادس عشر على النحو التالي كثيرون من الهنود من أجل تسليتهم قتلوا أنفسهم بالسم حتى لا يعملوا ، في حين خنق آخرون أنفسهم بأيديهم !!

الجراثيم والأمراض : كانت أشد الحلفاء فعالية ، فقد جلب الأوربيون معهم الأوبئة الفتاكة ، الجدري والتيتانوس والأمراض الرئوية والمعوية وأمراض العيون والتيفوس والجذام والحمى والصفراء وتسوس الأسنان الذي يجعل الأفواه تتعفن كان الجدري أسبقها في الظهور ، انتشر ذاك الداء الوبيل المجهول والمقزز الذي يشعل نار الحمى ويفتت اللحم ، سعال ، دمامل ملتهبة تحرق ، مات كثيرون بسبب داء الدمامل اللزج الثقيل ، أخذ الهنود يموتون مثل الذبابات ، لم تك أجهزتهم تملك دفاعاً ضد الأمراض الجديدة ، ومن نجا من هذا كله غداً ضعيفاً لا يفيد في شيء .

كانت أسبانيا : مثل الفم الذي يتلقى الغذاء فيمضغه ويطحنه ليرسله على التو إلى أجهزة الجسم الأخرى ، ولا يحتفظ لنفسه منه سوى بطعم عابر، أو بشيء يعلق بالأسنان أو بينها ، كان الأسبان يملكون البقرة ، ولكن آخرين كانوا يشربون لبنها فقد كان كل شيء يذهب إلى أيدي المقرضين والمصرفيين والمرابين لدفع أقساط الديون وفوائدها .

مع سقوط الأندلس : كان الدفاع عن العقيدة الكاثوليكية قناعا للنضال ضد التاريخ طرد اليهود والعرب حرم أسبانيا في زمن الملكية الكاثوليكية من كثير من الحرفيين المهرة ، ومن رءوس أموال لا غنى عنها ، ففي عام ١٦٠٩م سيق ما لا يقل عن ٢٧٥ ألفا من العرب إلى الحدود ، ما كان له آثار مدمرة في اقتصاد البلاد ، فدمرت الحقول الخصبة جنوبي نهر الإبرو في أراجون . . بل شمل الخراب كل شيء ، في ١٥٥٨ بقى ١٦ ألف مصنع نسيج ، لكن بعد أربعين سنة فقط لم يبق غير أربعين ، وتناقص عدد الماعز في الأندلس من ٧ ملايين إلى مليونين فقط .

كان القرن السابع عشر عصر التشرد والجوع والأوبئة، كان عدد المتسولين الأسبان لا نهائيا ، ومع هذا تدفق على أسبانيا المتسولون من كل أنحاء أوربة ، وانظر إلى الصورة المقابلة المناقضة : بحلول عام ١٧٠٠ كان في البلاد ٦٢٥ ألف نبيل من أغنياء الحرب ، برغم أن البلد كان يفرَّغ من السكان ، فقد نقص عددهم خلال القرنين السادس والسابع عشر ، بعيد طرد العرب .

مجتمع بوليفيا : المريض بالبذخ والتبذير لم يترك لهنوده غير ذكرى باهتة لأمجاده وأطلال معابده وقصوره وثمانية ملايين جثة من جثث الهنود ، انظر في المقابل إن واحدة من الماسات التي تزين درع فارس غني إنها تساوي في نهاية المطاف أكثر مما يستطيع أي هندي أن يكسبه طوال حياته ، لكن الفارس هرب بالماسات، واليوم تستطيع بوليفيا التي هي واحدة من أفقر بلدان العالم أن تتباهى – إن لم يك هذا عبثا يبعث الشجن – بأنها غذت ثروات البلدان الأغنى ، وفي أيامنا هذه بوليفيا أكثر البلدان عطاء للعالم ، وأقلها فيما تملك ، هذا البلد ما يزال جرحا مفتوحا للنظام الاستعماري في أمريكا ، ما يزال اتهاما ، وعلى العالم أن يبدأ في طلب غفرانه ، وفي بوليفيا كانت تقام المآدب الضخمة تتنافس في تبديد الريع المذهل الذي تدره

مناجم بوتوسى ، وحين تنتهي الاحتفالات الباذخة كانت الأطباق الفضية والأدوات الذهبية تلقى بها من الشرفات ليلتقطها المارة المحظوظون .

ما يزال في بلدي مثل برج إيفل وأقواس نصر ، ويقال إن جواهر السيدة العذراء بإحدى كنائسها يمكن أن تسدد كل الدين الخارجي الضخم لبوليفيا ، وعليه فإن رؤوس الأموال لم تكن تتراكم ، بل كان يجرى تبديدها ، كانت تطبق تلك الحكمة القديمة : (أب تاجر ، ابن فارس ،حفيد شحاذ) .

التبريرات كانت متوافرة ، تحولت مذبحة العالم الجديد إلى عمل من أعمال البر مع الذنب ولد تسق كامل من الأكاذيب من أجل الضمائر المذنبة حول الهنود إلى حيوانات جر لأنهم يتحملون أثقالاً أكبر مما يتحمل ظهر حيوان اللاما الضعيف وجرت البرهنة على أن الهنود هم فعلاً حيوانات جر ، لا علاج لهم أفضل من العمل في المناجم من أجل شفاء الشر الطبيعي لديهم.

هم يستحقون المعاملة التي ينالونها لأن خطاياهم ووثنيتهم تمثل إهانة للرب ، كما لا يلاحظ على هذه الحيوانات الباردة إي نشاط روحي ، أما بيكون ومنتسكيو وهيوم فقد رفضوا أن يتعرفوا على أشباه لهم من البشر المنحطين للعالم الجديد ، وتحدث هيجل عن العجز الفيزيقي والروحي لأمريكا وقال : إن الهنود قد ماتوا بنفخة من أوربة .

بعد أربعمائة عام وتزيد من مرسوم البابا بولس الثالث الذي اعترف ببشرية الهنود أصدرت محكمة العدل العليا في البراجواي تعميماً يبلغ كل قضاة البلاد بأن الهنود مخلوقات بشرية تماماً مثل بقية سكان الجمهورية ، لكن أحد استطلاعات الرأي في البلاد ، قال : (من بين كل عشرة بارجويين يعتقد ثمانية أن الهنود مثل الحيوانات) بل كان الهنود يصادون مثل الوحوش ، ويباعون بسعر رخيص ،

ويستغلون بنظام يماثل العبودية ، برغم أن كل البارجويين تقريباً يجري في عروقهم دم هندي .

وبرغم كل هذه الفترة الطويلة من التدمير فقد خلف هنود أمريكا شواهد عديدة على عظمة مجتمعاتهم ، آثار دينية محكمة تفوق الأهرامات المصرية ، وإبداعات تقنية فعالة للتعامل مع الطبيعة ، وأعمالاً فنية تشي بعبقرية لا تلين وفي متحف ليما حاضرة البيرو يمكن مشاهدة مئات الجماجم التي أجريت لها عمليات تربنة وعلاج بشرائح الذهب والفضة من جانب الجراحين الإنكا .

وكان هنود المايا فلكيين عظماء قاسموا الزمن والمسافة بدقة مدهشة واكتشفوا قيمة الرقم صفر قبل أي شخص آخر في التاريخ ، وقد أذهلت قنوات الري والجزر الصناعية التي خلفها الأزتك بعض محتليهم ، برغم أنها لم تك من ذهب ، ولكن ماذا حدث لكل هذا ؟ .

على شاطئ المحيط الهادي دمر الأسبان أو تركوا للخراب الزراعات الضخمة من الذرة واللوبيا والفاصوليا والفول والبطاطا ، ولم يبين منها سوى الأحجار والأجمات والرسوم والخرابات ليس هذا فقط ، بل ألقى النظام الاستعماري في المناجم الأسبانية مئات من الهنود المعمارية والمهندسين والفلكيين والعمالة الفنية الماهرة ليختلطوا بحشود العبيد ، ويقوموا بعمل خشن ومنهك في استخراج المعادن، لم تك المهارة التقنية لهؤلاء الناس تهم الاقتصاد الاستعماري ، وكانوا يعدون فقط عمالاً غير مؤهلين .

وفي الجانب الآخر : سحق كل تمرد أو ثورة أو خروج عن النظام الاستعماري وهذا مثال ، أحد زعماء الهنود (توباك) عذب مع زوجته وأبنائه ومقربيه في ميدان عام ، قطعوا لسانه ، وربطوا ذراعية وساقيه إلى أربعه خيول لكي يمزقوه

إلى أربعة أشلاء أو خمسة ، قطعوا رأسه وأرسلوا أشلاءه إلى أماكن متفرقة ، حرقوا جذعه ونثروه فوق ماء النهر ، وأوصوا بإبادة سلالته حتى الدرجة الرابعة.

في بدايات القرن العشرين كان بعض المُلاك من الهنود المكرسون للخدمة المنزلية يعرضون للإيجار في صحف لاباز بوليفيا وحتى ثورة ١٩٥٢ التي أعادت للهنود حق المساواة المداس بالأقدام ، لقد كان بعض هؤلاء الخدم يأكلون بقايا طعام الكلب الذي ينامون إلى جواره ، وينحنون حين يخاطبون أي شخص ذي جلد أبيض .

وبعيداً عن الخدمة في البيوت نجد أن الأجير الهندي ملزم بالعمل أياماً بالمجان حتى يسمح له صاحب المزرعة بأن يزرع أرضه هو ، فقط في الليالي التي يطلع فيها القمر، يعمل بالمجان حتى يضمن له حق زراعة الجبل المجدب بعد أن كان يزرع أرضه قبل ذلك بحرية لا حدود لها .

وفي المقابل : فإن الثروات كانت تأتي وضيع في غمضة عين ، كثيرون من أصحاب المناجم أو من غيرهم كان على استعداد لدفع ثروة مقابل زنجي يجيد العزف ولدفع ضعف ذلك من اجل عاهرة يفرق معها في الخطايا المتواصلة والمخزية .

مساهمة ذهب البرازيل في تقدم انجلترا: لم يكن ثمن المنسوجات الإنجليزية يدفع بالخمور، بل بالذهب ، بذهب البرازيل ، وفي الطريق بقيت معامل النسيج - البرتغالية - مشلولة ، ولم تكتف البرتغال بقتل صناعتها الخاصة وهي لا تزال في البيضة ، بل صفَّت كل جراثيم أي نوع من التطور الصناعي في البرازيل ، فقط حظرت المملكة أي تكرير للسكر عام ١٧١٥ وبعدها بأربعة عشر عاماً اعتبر شق

طرق مواصلات جديدة في إقليم المناجم جريمة ، كما أمر بحرق مصانع الغزل والنسيج البرازيلية .

انجلترا وهولندة : بطلتا تهريب الذهب والعبيد جمعتا ثروات ضخمة من التجارة غير المشروعة في اللحم الأسود ، اقتنصتا ما يزيد عن نصف الذهب الخاص بضريبة (الخمس الملكي) الذي يجب أن يتلقاه التاج البرتغالي من البرازيل ، لكن انجلترا لم تكتف باللجوء إلى التجارة الممنوعة لتحويل الذهب البرازيلي إلى لندن ، بل جربت أيضاً كل الطرق المشروعة أيضاً .

أصحاب المصانع : والأراضي الواسعة في البرازيل لم يكونوا يزرعونها مواد غذائية ، بل كانوا يستوردون الغذاء كما يستوردون تشكيلة واسعة من الأشياء الترفية ، تأتي من وراء المحيط ، مع العبيد وأكياس الملح ، كانت الوفرة والرفاهية – كما هي العادة – مناظرتين لبؤس أغلبية السكان التي كانت تعيش في حالة مزمنة من سوء التغذية .

من تلك العصور الاستعمارية : ولدت العادة – التي ما زالت سارية – في أكل الطين ، إن نقص الحديد يولد فقر الدم ، وتدفع الفريزة الأطفال في الشمال الشرقي إلى التعويض بالطين عن الأملاح التي لا يجدونها في غذائهم المعتاد الذي يتلخص في المينهوت والفاصوليا واللحم القديد ، إن واتاهم الحظ ، وقديمـــاً كان الأطفال الذين يمارسون هذه الرذيلة يعاقبون بوضع كمامة على أفواههم ، أو يعلقوا في سلة من الخوص على ارتفاع كبير من الأرض .

الشعب الذي يسلم بقاءه لمنتج واحد ينتحر، في عام ١٩٢٠ حين كان سعر السكر ٢٢ سنتا فقط للرطل، حطمت كوبا الرقم القياسي في صادرات كل فرد حتى تخطت انجلترا ، وحققت أكبر دخل للفرد في أمريكا اللاتينية ، ولكن – أو قل -

ولهذا حدث في ديسمبر من نفس العام ، سقط سعر السكر إلى ٤ سنتات ليس إلا وسرعان ما انطلق إعصار الأزمة ، أفلست معامل السكر ، اشترتها الرأسمالية الأمريكية الشمالية ، وبرخص التراب ، كما أفلست كل البنوك الأسبانية والكوبية ، بما في ذلك البنك القومي ذاته ، ولم ينج سوى فروع بنك الولايات المتحدة ، سقط الاقتصاد الكوبي التابع سريعاً ، ولم يستطع الإفلات من مصير محتوم ، مخطط له بشكل محكم .

ليس هذا فقط ، ليس هذا فقط ، ولكن عام ١٩٣٢ شهد السكر سعراً هو أقرب إلى خيال المجانين والمعتوهين ، لقد أصبح أقل من سنت واحد ، وبعد ربع قرن من هذا السعر الخرافي كان لدى كوبا من العاهرات المسجلات أكثر من عمال المناجم ، تشي جيفارا قال : (إن التخلف هو قزم ذو رأس ضخمة ، وبطن منتفخة لا تنسجم ساقاه الضعيفتان وذراعاه القصيرتان مع بقية جسمه).

كانت هافانا تتلألأ ، وتنطلق في شوارعها الضخمة سيارات الكاديلاك ، وفي أكبر ملهى ليلي في العالم تتهادى على أنغام الموسيقى أجمل النجمات ، أما الريف الكوبي فقد عاش البؤس والفقر المدقع على الحقيقة وعلى المجاز . ومرت السنون : سريعاً جاء عام ١٩٦٥ ليعاني بلد آخر منتج للسكر هو جمهورية الدومينكان من غزو ٤٠ ألفاً من مشاة البحرية مستعدين للبقاء إلى أجل غير مسمى في هذا البلد المسكين ، كان السقوط الحاد إلى حافة الهاوية في أسعار السكر أحد العوامل الرئيسة التي فجرت سخط الناس ضد جلاديهم ، ولم يتأخر رجال البحرية من إعادة النظام ، بعد أن خلفوا وراءهم فقط أربعة آلاف قتيل في المعارك مع أصحاب البلد وجهاً لوجه وجسد لجسد ، في حي بائس من أحياء الحاضرة سان دومينجو .

وقد قامت منظمة الدول الأمريكية – التي تتمتع بذاكرة جحش - لأنها لا تنسى أبداً أين تأكل ، قامت بمباركة الغزو ودعمته بقوات جديدة ، كان لا بد من قتل جرثومة كوبا أخرى .

عودة إلى تجارة العبيد مرة أخرى : كانت انجلترا البطلة الأولى في شراء وبيع اللحم الآدمي حتى أصبح الأمر لا يناسبها ، إلا أن الهولندين كانت لديهم تقاليد أقدم في هذه التجارة ، كان كارلوس الخامس قد أهداهم احتكار نقل العبيد إلى مستعمرات الآخرين أما لويس الرابع عشر – ملك فرنسا – فقد كان يناصف ملك أسبانيا عام ١٧٠١ – لجلب العبيد إلى أمريكا ، وكان وزيره كولبير – مهندس التصنيع الفرنسي – يؤكد أن تجارة العبيد مطلوبة من أجل تقدم البحرية التجارية القومية .

بين مولد القرن السادس عشر ونهاية التاسع عشر عبر المحيط ملايين الإفريقيين لا يعرف عددهم ، لكنهم كانوا بالتوكيد أكبر بكثير من المهاجرين البيض القادمين من أوربة ، وبرغم أن من بقوا منهم على قيد الحياة كانوا أقل بكثير بطبيعة الحال ، فقد شيد هؤلاء العبيد منازل سادتهم قطعوا الغابات ، عصروا قصب السكر ، زرعوا القطن ، وغرسوا الكاكاو ، وحصدوا البن والتبغ ، ونقبوا مجارى الأنهار بحثا عن الذهب ، كم هيروشيما تعادل أبادتهم المتعاقبة . لقد كان شراء الزنوج أسهل من تربيتهم ، حسب بعض التقديرات فإن أحد المغامرين فى ستينيات القرن السابع عشر ، أنتزع ثلاثمائة رجل من غينيا البرتغالية ، وهربهم إلى أمريكا ، غضبت عليه الملكة لآن (هذه المغامرة تستنزل انتقام السماء) على حد قولها ، لكن الرجل أخبرها أنه فى مقابل العبيد حصل – فى الكاريبى – على حمولة من السكر والجلود واللآلئ والزنجبيل ، فعفت الملكة عن القرصان ، وأصبحت شريكته فى التجارة .

بعد هذا بقرن من الزمان كان دوق يورك يختم بالحديد المحمى الحرفين الأولين من اسمه DY على الإلية اليسرى، أو على صدر الثلاثة آلاف زنجي الذين تقتادهم شركته سنويا إلى جزر السكر .

وفيما كانت بعض الشركات تعطى أرباحا تصل ٣٠٠% كان من بين ٧٠ ألف عبد شحنتهم هذه الشركة بين عامي ١٦٨٠-١٦٨٨م لم يبق حيا بعد عبور المحيط سوى ٤٦ ألفا ، إفريقيون عديدون ماتوا ضحية الأوبئة ، أو لسوء التغذية أو انتحروا بالإضراب عن الطعام ، أو شنقوا أنفسهم بسلاسلهم ، أو ألقوا بأنفسهم من السفينة إلى المحيط المزروع بزعائف أسماك القرش.

ومن نجوا وتكدسوا فى السفن عرضوا فى الأسمال ، جلدا على عظم ، فى الميدان العام ؛ بعد أن يمروا فى استعراض عبر الشوارع ذات الطراز الاستعمارى على أنغام موسيقى القرب ؛ أما من يصلون وقد بلغ الإرهاق منهم مبلغه فيمكن تسمينهم فى مستودعات للعبيد قبل إعدادهم ليلمعوا تحت عيون المشترين ؛ أما المرضى فيتركون ليموتوا فى المرافئ .

أما الصاغة فقد صنعوا أقفالا وأطواقا من الفضة للزنوج والكلاب ؛ السيدات الأنيقات كن يظهرن بين الناس مصحوبات بقرد تكسوه سترة مطرزة وعبد (طفل) بعمامة وسروال فضفاضة من الحرير .

بأرصدة تجارة العبيد أقيمت سكك حديد الغرب الضخمة فى بريطانيا ، وولدت صناعة الأردواز – مثلا – فى ويلز، إن التجارة المتراكمة من التجارة الثلاثية – المنتجات الصناعية والعبيد والسكر – قد أتاح اختراع الآلة البخارية ، فقد دعم جيمس وات تجارا كونوا ثرواتهم بهذا الطريقة .

انطلقت البحرية البريطانية تهاجم سفن تجارة العبيد ، لكن التجارة ظلت تنمو لتزويد كوبا والبرازيل ، وقبل أن تصل السفن الحربية الإنجليزية إلى سفن القراصنة كان العبيد يلقون في الماء ، ولم يبق لهم في السفن غير الرائحة وأواني الطهي الساخنة ، وقبطان يموت من الضحك في كمه ، أو كما يقول المصريون (في عبه) .

رفع قمع الاتجار الأسعار وضاعف الأرباح بشكل متسارع ، كان التجار يعطون بندقية قديمة مقابل كل رجل قوى ينتزع من القارة الإفريقية الحبيبة ليعاد بيعه في كوبا بأكثر من ستمائة دولار ، ومع هذا منع هؤلاء التجار الناس من أن يصنعوا في بلادهم إبرة ، أو حدوة حصان ، فما فوقها .

كتب أحد المحامين من الدمينيكان إلى ملكه في أوربة : (إن الخوف من تمرد العبيد عبث ، فثمة أرامل في جزر البرتغال هادئات جدا – اى بعد قتل أزواجهن – ومعهن ثمانمائة عبد) فماذا فعل المحامى النابه ؟ جلد بعض العبيد ، وقطع آذان الآخرين .

هذا المنظر الذى رأيته - أي قطع الآذان - بأم عيني فى أحد الأفلام الأمريكية ، ومعه رأيت حاملي البنادق يأمرون بعض الناس بالجرى بأقصى سرعة لاتخاذهم غرضا يتعلمون منهم دقة التصويت على الهدف المتحرك .

على أية حال بأنه بعد أربع سنوات من كلام هذا المحامى اندلعت أول انتفاضة للعبيد فى أمريكا ، كان عبيد دييجو بن كولومبس ، مكتشف أمريكا هم أول من ثاروا ، وانتهى بهم الأمر إلى أن علقوا على المشانق فى ممرات معمل تكرير السكر .

قادة التمرد فكانوا يحرقون على نار هادئة ، لكن أحد القادة المظفرين ضد إحدى انتفاضات العبيد عاد محملا بالغنائم ومعه ٣٩٠٠زوج من الآذان محملة على ظهور الخيول .

رواج المطاط وصعود البن تطلب فيالق ضخمة من العمال ، جيش ضخم من الآيدى الرخيصة للأشغال الشاقة يساق أفراده كالماشية، الرجال العراة الذين شيدوا فى يوم وليلة مدينة برازيليا فى قلب الصحراء ، هذه المدينة التي كانت تعد أحدث عاصمة فى العالم يحوطها حزام فقر عريض ، إن هؤلاء العمال الذي شيدوا هذه الحاضرة الجديدة للبلاد ألقى بهم فى الأحياء الهامشية التى تعيش على فضلات العاصمة المتلألقة .

كان البن يفيد من يستهلكونه أكثر ممن ينتجونه ، فى الولايات المتحدة وأوربة يولد أرباحا و فرص عمل ويعبئ رءوس أموال كبيرة ، أما فى أمريكا اللأتينية فإن يقدم أجور جوع، ويزيد من حدة التشوه الاقتصادى للبلاد الموضوعة فى خدمته .

إن البلدان الغنية التى تدعو إلى التجارة الحرة تطبق أشد سياسات الحماية ضد البلدان الفقيرة ، إنهم يحولون كل ما يلمسونه إلى ذهب فى أيديهم و صفيح صدئ في يد الآخرين ، بما فى هذا ما تنتجه الدول المختلفة ، السوق الدولية للبن شديدة الشبه بالخدعة ، فهذه دولة البرازيل قبلت – فى وقت سابق – فرض رسوم عالية على صادراتها من البن سريع الذوبان، لكى تحمى مصالح بلدها ؟ كلا إنما لكى تحمى مصالح الأمريكيين الشماليين لنفس المنتج .

البن سريع الذوبان الذى تنتجه البرازيل أرخص وأجود مما تنتجه الصناعة المزدهرة فى الولايات المتحدة، لكن من الواضح أنه فى ظل النافسة الحرة هناك

من هم اكثر حرية من الآخرين، كولومبيا – مثلا – تعتمد على البن وعلى سعره الخارجى لدرجة أن المنحنى البيانى للزواج - فى بعض مناطق زراعته – يستجيب بشدة لمنحنى أسعار البن ، و هذا أمر نمطى بالنسبة لبنية تابعة ، فمنحنى اللحظه المواتية [1] لإعلان الحب فى أحد التلال الكولومبية تتقرر فى بورصة نيويورك .

وبرغم هذا كله كان هناك من يؤكد أن قتل نملة - فى بلادنا – جريمة أكبر من قتل رجل ؛ لأن الرجل يبعث بعد موته فى حين تموت النملة نهائيا ، وإلى الأبد .

فى بلادنا اللاتينية إحباط : اقتصادى ،واجتماعى ، وقومى ، لقد تلا الاستقلال تاريخ من الخيانات ، وظلت أمريكتنا – التى تمزقها حدودها الجديدة – محكوما عليها بالزراعة والتبعية

١- هكذا كان يفعل الناس في مصر أيام رواج القطن المصري .

حتى التقنيات الأفضل التي تزيد من الناتج الضئيل للأرض لا تمثل بركة للفلاحين ، برغم أنها تسهم فى التقدم العام ، لا تزيد أجورهم ولامشاركتهم فى المحاصيل التى ينتجونها ، الريف يشع فقرا لساكنيه ، وثراء لقلة قليلة من غيرهم.

تحلق الطائرات الخاصة فوق الصحراوات البائسة ، ويتضاعف البذخ العقيم فى المنتجعات الضخمة ، وتمور أوربة بالسياح من بلادنا المنتفخين بالنقود الذين يهملون زراعة أراضيهم ، إلا أنهم لا يهملون تثقيف أرواحهم ، هذا ما ينقصهم .

كان صعود الولايات المتحدة وتدعيمها كنسق مستقل اقتصاديا لا يستنزف – نمو الخارج – الثروة المتولدة على صدره قد تمنع هذا النسق منذ ما قبل الاستقلال بحوافز وضروب حماية رسمية ،وأبدت انجلترا مرونة واضحة ، في

ذات الوقت الذي حرمت على مستعمرات أخرى في بلادنا وحظرت عليها بحسم أن تصنع ولو دبوسا .

رواد الفضاء : منذ القدم الأول على سطح القمر أعلنوا أن إقامة محطة فضائية بعيدة لأغراض قريبة : (من هذه المنصة الرائعة للمراقبة سيمكننا فحص كل ثروات الأرض ، آبار البترول المجهولة ، ومناجم النحاس والزنك).

ويظل البترول الوقود الرئيس في عصرنا، ويستورد الأمريكيون الشماليون جزءاً مهماً منه ، ومن أجل قتل الكوريين والفيتناميين والأفغانيين والعراقيين و اللبنانيين والفلسطينيين وغيرهم هم بحاجة إلى نحاس ، وكذلك يحتاجون إلى الزنك والبوكسيت – لصنع الطائرات – والحديد والمنجنيز والنيكل والكروم ... إلخ ومناجمهم تقترب من النضوب ومن ثم كان الاعتماد المتزايد على الإمدادات الخارجية الذي يحدد تطابقاً متزايداً أيضاً بين الأمريكيين الشماليين والجنوبيين - في أمريكا اللاتينية وفي غيرها - وبين الأمن القومي للولايات المتحدة .

يبدو الاستقرار الداخلي للقوة الأعظم في العالم وثيق الصلة والارتباط بالاستثمارات الأمريكية الشمالية جنوب نهر الريو- الذي يفصل المكسيك عن الولايات المتحدة - نصف هذه الاستثمارات تقريباً مخصص لاستخراج البترول ولاستغلال الثروات التعدينية ، والتي لا غنى عنها لاقتصاد الولايات المتحدة في السلم مثلما في الحرب .

سعر فدان الأرض في البرازيل : يحكى أن رجال أعمال أجانب اشتروا قبل عام ١٩٦٧ – بسعر (سبعة سنتات) للفدان مساحة تساوى مجموع أراضي خمس ولايات أمريكية شمالية ، وكان شعار حكومة البرازيل آنئذ : (يجب أن تبقى

الأبواب مفتوحة جيداً أمام الاستثمار الأجنبي ، لأننا نحتاج إلى أكثر مما يمكننا الحصول عليه ، ليس هذا فقط ، بل لتبرير المسح الجوي من جانب الطيران الأمريكي الشمالي أعلنت الحكومة أنها تفتقر إلى الموارد ، هذا هو المعتاد في أمريكا اللاتينية ، يجرى دائماً تسليم الموارد باسم نقص الموارد .

مجلس الأمن القومي : يقول : (مما يثير الشك حقيقة أن المساحات المحتلة أو التي في سبيلها إلى الاحتلال من جانب عناصر أجنبية تتطابق مع الأقاليم الخاضعة لحملات تعقيم البرازيليات بواسطة الأجانب) بعثات تبشيرية أجنبية من الكنيسة البروتستانتية للولايات المتحدة أساساً احتلت الأمازون ، تستقر في أغنى نقاط المعادن المشعة والذهب والماس، تنشر على نطاق واسع موانع الحمل ، من قبيل العوازل التي توضع في الرحم ، وتعلم الإنجليزية للهنود ، ليس لغة الناس أو لغة البلد ، يُلقنون مبادئ الدين، وتطوق مناطقهم عناصر مسلحة بحيث لا يستطيع أحد النفاذ إليها .

الأمازون – للعلم – هي أكبر المناطق اتساعاً بين صحراوات كوكبنا ، تم تطبيق تحديد النسل في هذه المساحة الهائلة الخالية ، تجنباً من المنافسة السكانية للبرازيليين القليلين جداً الذين يعيشون وينجبون في أركان نائية من الغابة أو من الأراضي المستوية الشاسعة .

الإمتيازات الأجنبية : تنتزع من البرازيل بارتياح ثرواتها الطبيعية المذهلة خاصة من المعادن ذات المقاومة الشديدة للحرارة ، المستخدمة في إنشاء المفاعلات النووية والصواريخ و سفن الفضاء والطائرات النفاثة والأقمار الصناعية ، إنها معادن نادرة ذات درجة عالية من النقاوة ، مثل النيوبيوم واليوارنيوم .

أنتجت بوليفيا : على طول تاريخها معادن وخامات رخيصة ، وخطباً بليغة ، حيث تتوازى البلاغة مع البؤس ، ومنذ الأزل كرس المبتذلون والدكاترة وفلاسفة (الغبرا) مرتدو معاطف الفراء أنفسهم لتبرئة المذنبين في هذا البلد الذي لا يستطيع أن ينتج سباكه الخاصة .

هذا البلد يمنح نفسه بالمقابل ترف الحفاظ على عديد من كليات الحقوق تهدف إلى تخريج مصاصي دماء الهنود ، وفي هذا البلد أيضاً تجد حول المقابر مبتهلين من العميان من أجل الموتى مقابل قطعة نقود ، وفي المقابر ما لا يحصى من الأطفال ، إذ من بين كل طفلين يولدان في المناجم يموت واحد بعد أن يفتح عينيه بقليل ، أما الآخر فسوف يكون عامل منجم جيد حين يكبر بالتأكيد ، وقبل أن يبلغ الخامسة والثلاثين لن تكون له رئتان .

كيف يعيش عمال المناجم ؟ من بين كل عشرة شباب من الذكران ينام ستة منهم في نفس الفراش مع أخواتهم ، يحس كثير من الآباء بالحرج والاستياء حين يلاحظهم أبناؤهم خلال ممارسة الجنس ، لا حمامات ، المراحيض هي أعشاش عامة صغيرة تغطيها الأوساخ والذباب ، ويفضل الناس عليها الخرابات ، تلك الأماكن المقفرة المكشوفة ، حيث الهواء على الأقل ، برغم وجود القمامة والبراز المتراكم والخنازير التي تلعب هانئة .

خدمة المياه أيضاً جماعية حين تصل تسرع إليها الطوابير ، تتلقاها من الحوض العمومي في أوعية البنزين والجرار ، الطعام قليل ردىء ، نشويات قليلة من الشعرية والأرز، البطاطس المهروسة وقليل من اللحم القديد .

المعادن والتعدين : أنشأت الولايات المتحدة في عام ١٩٤٨ في سفارتها بالبرازيل وظيفة جديدة هي وظيفة الملحق التعديني ، الذي واجه منذ البداية كمية من العمل

تساوي على الأقل عمل الملحق العسكري أو الثقافي ، عمل بلغ من كثرته أنه سرعان ما تم تعيين ملحقين تعدينيين اثنين بدلاً من واحد ، وفي عام ١٩٥٢ حظر الاتفاق العسكري الموقع مع الولايات المتحدة على البرازيل بيع المواد الأولية ذات القيمة الاستراتيجية – مثل الحديد – إلى الدول الاشتراكية .

الشركات البترولية الضخمة : تصنع وتعزل الملوك والرؤساء وتمول مؤتمرات القصور والانقلابات ، تحت أيديها جنرالات ووزراء ، وجيمس بوندات(فتوات وقبضايات) بلا عدد في كل الأنحاء وبكل اللغات ، إنها تحدد مسار الحرب والسلام.

يحدث مع البترول : مثلما يحدث مع البن أو اللحم ، إن البلدان الغنية تكسب من تكيد عناء استهلاكه أكثر بكثير مما تكسب الدول من إنتاجه ، الفرق واحد لعشرة أو أقل ، حيث تحصل شركات البترول على سيل من الجمارك والضرائب وتكاليف أرباح النقل والتكرير والتجهيز والتوزيع ، وكل هذا تحتكره الشركات الكبرى وحدها.

التنمية رحلة غرقاها أكثر من مبحريها، إن المنافسة الحرة لم تصبح حقيقة ظاهرة في نظرهم إلا بعد أن تأكدوا أنهم القوة الأقوى ، بعد أن طوروا صناعاتهم تحت مظلة أكثر تشريعات الحماية صرامة في أوربة ، عندما كانت الصناعة الأوربية بعيدة عن الصدارة ، كان يحكم على الإنجليزي الذي يضبط وهو يصدر الصوف الخام بقطع يده اليمنى – التي يعمل بها – وكان يشنق إذا عاود اقتراف هذه الخطيئة ، وكان من المحظور دفن الميت دون الحصول على شهادة من القسيس بأن الكفن جاء من مصنع بريطاني .

عندما كانت السكك الحديدية زاهرة – في البرازيل – كانت الشركات البريطانية تحصل على امتيازات ملحوظة في الأراضي الواقعة على أحد جانبي

الطر يق ، فضلاً عن الطر يق نفسه ، و حق بناء خطوط فرعية جد يدة ، وكا نت الأرض ثروة استثمارية إضافية.

وقد أدت منحة خرافية للسكك الحديدية في عام ١٩١١ إلى حرق عدد لا حصر له من الأكواخ ، وإلى طرد أو موت الفلاحين في مناطق الامتياز ، مما فجر واحدة من موجات الغضب الشعبي في التاريخ البرازيلي .

المستعمرات الأمريكية اللاتينية : كانت دو ماً تسلم هواء ها وماء ها وملحها إلى الرأسمالية الأوربية الصاعدة ، كل هذا في مقابل سلع كمالية لتدليل طبقاتها الحاكمة ، وكانت الأنشطة المتنامية الوحيدة في بلادنا هي الأنشطة الموجهة نحو التصدير، وقد استمر الحال على هذا النحو قروناً .

بل إن التأميم الذي قامت به البراز يل لشركتي البر يد والبرق ، والكهر باء كان كسبا مجزياً لهما ، حصلتا على تعويض بالذهب الخالص عن منشآت صدئة وآلات جديرة أن تعرض في المتاحف .

استطرادا إلى صندوق النقد الدولي : تنفذ الدول توجهاته تنفيذا أعمى ، والنتيجة أن العلاج يز يد المريض مر ضا ، سيما إذا كا نت الجر عات التى يتناولها المريض عقاقير القروض والا ستثمارات ، ويقدم صندوق النقد الدولى القروض أو يعطى الضوء الأخضر الضروري لإعطاء القروض ، هذا الصندوق و لد فى الولا يات المتحدة ، مقره ا الرئيس فيها ، و هو يخدمها ، ويعمل من الناحية الفعلية بو صفه مفتشا دوليا كى تبسط البنوك الأمريكية سيطرتها .

الشركات العابرة للقوميات : لا تغتصب فقط الائتمان الداخلى للبلدان التى تعمل بها مقابل إسهام رأسمالى قابل للجدل ، بل إنها كذلك تضاعف لهذه البلدان دينها الخارجى .

في أيامنا يتطابق استيراد التكنولوجيا من الاقتصاديات المتقدمة مع عملية نزع ملكية الشركات الصناعية – والمؤسسات – ذات رأس المال المحلى من جانب الشركات العابرة للقوميات ، القادرة على كل شيء وتتحقق حركة تركيز رأس المال من خلال تصفية لا ترحم للمستويات الصناعية العريقة والتي ليس من قبيل الصدفة أنها هى بالضبط تلك التابعة للملكية القومية ، إن نزع القومية المتسارع عن الصناعة الأمريكية اللاتينية يجلب معه تبعية تكنولوجيا متزايدة ، فالتكنولوجيا المفتاح الحاسم للسلطة محتكرة فى العالم الرأسمالي ، وحين تأتى إلينا تأتى مستعملة غير جديدة ، لكن تدفع بلادنا ثمن الشيء وكأنه النسخة الأصلية الوحيدة .

تجربة بلادنا اللاتينية : تجربة تاريخية فريدة ومتصلة من التمزيق والتفكك مقنعة بقناع التنمية ؟ قبل قرون حرق الفاتحون الأراضى ، زرعوا للتصدير محاصيل التصدير ، أبادوا التجمعات الهندية فى أنفاق الناجم ، وفى مصافى الذهب من أجل تلبية الطلب على الفضة والذهب فيما وراء البحار ، أما تغذية السكان السابقين على كولومبوس والذى استطاعوا البقاء بعد الإبادة فقد تدهورت مع التقدم الأجنبي .

شعب البيرو : ينتج دقيق سمك غنى جدا بالبروتينات أكثر من أبقار الولايات المتحدة وأوربة ، لكن هذه البروتينات غائبة عن طعام أغلبية البروفيين ، فرع فولكس فاجن فى سويسرا يزرع شجرة مقابل كل سيارة يبيعها حماية للبيئة ، وفى نفس الوقت يحرق فرع فولكس فاجن فى البرازيل مئات الهكتارات من الغابات التى سيخصصها للإنتاج الكثيف من اللحوم للتصدير ، وتزاداد باطراد مبيعات شعب البرازيل من اللحم إلى الخارج ، وهذا الشعب نادرا ما يأكل اللحم .

سفن تجارة العبيد لم تعد تعبر المحيط الآن، يعمل تجار العبيد من وزارة العمل ، أجور إفريقية وأسعار للسلع أوربية ، الانقلابات فى أمريكا اللاتينية هى

فصول متتابعة من حرب اللصوصية ، وعلى الفور تدعو الدكتاتوريات الظافرة الشركات الأجنبية إلى إستغلال الأيدي العاملة المحلية ، الرخيصة والمتوفرة ، والقروض غير المحدودة والإعفاءات الضريبية والموارد الطبيعية فى متناول اليد. الشقاء : مهما ابتسمت الإحصائيات فإن البشر يكال لهم الشقاء ، ففي نظم مرتبة بالمقلوب حين ينمو الاقتصاد ينمو معه الظلم الاجتماعي ، وخلال أكثر فترات المعجزة البرازيلية نجاحاً ، ارتفع معدل وفيات الأطفال ، في ضواحي أغنى مدن البلاد .

الازدهار المفاجئ للبترول جلب التلفاز الملون بدل المدارس والمستشفيات ، إننا في هذه البلاد لا نشهد الطفولة الوحشية للرأسمالية ، بل شيخوختها الدموية ، إن التخلف ليس مرحلة من مراحل التقدم بل هو نتيجته ، تخلف أمريكا اللاتينية ينبع من تقدم الآخرين ويواصل تغذيته ، للنظام في بلدنا ساقان من الطين ، نتيجة قيامة بدور الخضوع في المجال الدولي ، ونتيجة سقمه منذ مولده فإنه يطرح نفسه باعتباره قدراً ، ويود أن يخلط بين نفسه وبين الأبدية وعنده كل ذاكرة مخربة إذا كانت مختلفة ، وكذلك كل مشروع للمستقبل .

يتم إجبار الناس على تناول الطعام بدون ملح ، والملح – الخطر – يمكن أن يوقظ الناس ، يجد النظام مثاله في مجتمع النمل ، البطيء الذي لا يعرف التغيير، ولهذا لا يستريح لتاريخ البشر ، لأن أموراً كثيرة تتغير، ولأن كل فعل – أيا كان هذا الفعل – تدمير في تاريخ البشر، يجب الرد عليه – إن عاجلاً أو آجلاً – في فعل ناس من الخلق .

حين أجرت حكومة أورجواي تقييما لبرامجها لإفراغ الضمائر والإخصاء الاجتماعي ، وجدت نفسها مضطرة للاعتراف بأنه ما يزال في البلاد ٣٧% من المواطنين مهتمين بالسياسة !!.

و من ثم جاء في مؤتمر صحفي لرئيس البلد ، إذنا نجنب البلاد مأساة الحماس السياسي ، فالرجال الطيبون لا يتحدثون عن الدكتاتوريات ، ولا يفكرون في الدكتاتوريات ، ولا يطالبون بحقوق الإنسان .

انتهى الاقتباس من كتاب الشرايين المفتوحة

والشيء بالشيء يذكر ، فهذا شيء مما ذكر في الفضائيات في ذات الموضوع وفي صحافتنا المصرية والإذاعة :

١- إذاعة صوت العرب [1]: ذكر أحد ضيفانه أن كندا تشجع زيادة السكان ، فتقدم منحة مالية عند إنجاب أي طفل ، وكلما زاد العدد زادت المنحة .

٢- فضائية الجزيرة [1] : في إحدى الدول اللاتينية ، وفي ثمانينات القرن الماضي ، قادت حركة الدرب المضيء الثورة ضد الحكومه، وعندما قبض على ستة من الحركة ، ماذا فعلوا بهم ؟ علقوا من أرجلهم إلى الطائرات ، وعندما تعالت هتافاتهم وإزعاجهم ألقى بهم من الجو ، واحد بعد الآخر ، إلا واحداً وعدوه بالعفو عنه إذا أرشد عن زعماء التمرد ، وبالفعل خاف الرجل على حياته ، وصارحهم عن مكان زملائه ، وأخبرهم عما يرومون – يرغبون – ولكنهم أيضاً ألقو به من الطائرة ، وغدروا به.

١- ٢٢ / ٥ / ٢٠٠٦ م .
٢- ٢٣ /٥/٢٠٠٦ م .

٣ - الأهـرام القاهريـة ، تحـت عنـوان : (اعترافـات أمريكيـة بالضـرب الاقتصادي ، هكذا جاء العنوان ، كتب الأستاذ (شريف دلاور) هكذا كتب الاسم ، كتب صاحبه : (جون بيركنز) خبير اقتصادي دولي ، أدلى باعترافاته في كتابه الأخير ، ألقى الضوء على ممارسات رجال الأعمال والساسة في الولايات المتحدة لبناء إمبراطورية عالمية ، تقودها الشركات الأمريكية الكبرى ، كيف ؟ .

يحـدد (بركنـز) دور كبـار الخبـراء العـاملين فـي الشـركات الأمريكيـة الكبرى في إيجاد الظروف والمناخات التي تؤدي إلى خضوع الدول النامية لهيمنة النخبة الأمريكية التي تدير دفة السياسة والاقتصاد ، يقوم الخبير بإعداد الدراسات التي تقنع المؤسسات المالية بتقديم قروض للدولة النامية بغرض تطوير البنية الأساسية ، وبناء محطات توليد الكهرباء ، وإنشاء الطرق والموانى والمطارات والمـدن الصـناعية ، ولكـن بشـرط قيـام المكاتـب الهندسـية وشـركات المقـاولات الأمريكية بتنفيذ هذه المشروعات .

وتكون النتيجة الحتمية أن الأموال لا تغادر الولايات المتحدة ، إنها ببساطة شديدة تتحول من المصارف في واشنطن إلى الشركات في نيويورك – مثلاً – أو غيرها من المدن ، وبرغم أن هذه الأموال تعود بشكل فوري إلى مصدرها ، فإن على البلد المسكين سيئ الحظ المتلقي للقروض سداد أصل هذه القروض، والفوائد المتراكمة المتراكبة .

ويقول بركنز : إن مقياس نجاح الخبير يتناسب طردياً مع حجم القرض ، بحيث يجبر البلد المدين على التعثر في السداد بعد بضع سنين ، وعندئذ يفرض الدائنون شروطهم على البلد المدين ، وذلك للسيطرة على الموارد أو الاحتلال

العسكري ، ويبقى البلد النامي بعد هذا كله مديناً بالأموال ، في ظل هرم رأسمالي أمريكا قمته ، طبقاً لما يُلَقَّنه الخبراء باعتباره واجباً وطنياً مقدساً على حد قول بركنز .

إنه يكشف خداع الأرقام ، فنمو الناتج القومي – مثلاً – قد يكون نتيجة استفادة أقلية من المنتفعين على حساب الأغلبية المحرومة ، بحيث يزداد الثري ثراء والفقير فقراً ومسكنة ، وبرغم هذا فإنه من الناحية الإحصائية البحتة يعتبر تقدماً اقتصادياً .

أيا الجانب غير المرئي في خطة القروض والمشروعات فهو تكوين مجموعة من العائلات الثرية ذات النفوذ في الاقتصاد والسياسة داخل الدولة المدينة ، تشكل امتدادا للمصالح الأمريكية والنفوذ الأمريكي ، ليس على شكل تآمر ، ولكن من خلال اعتناق نفس الأفكار والمبادئ والأهداف الأمريكية ، بحيث ترتبط رفاهية الأثرياء الجدد بالتبعية طويلة الأمد للولايات المتحدة ،وعلى الجانب الآخر فإن عبء القروض سيحرم الفقراء من الخدمات الاجتماعية ، أو غيرها لعقود قادمات.

انظر، مديونية العالم الثالث وصلت إلى ٢.٥ ترليون دولار، فوائد هذه الديون فقط ٢٧٥ مليار دولار سنوياً عام ٢٠٠٤ ، وهو رقم يفوق ما تنفقه كل دول العالم الثالث على الصحة والتعليم ، ويمثل أيضاً ٢٠ ضعف ما تقدمه سنوياً الدول المتقدمة من مساعدات خارجية .

وتعطي المقالة نمازج حية ناصعة من الدول التي جربت هذه السياسات عليها (الإكوادور – جواتيمالا – بنما – فنزويلا) ثم يختم بخداع اللغة ولعبة الدولار ، وهاك التفصيل :

١- الإكوادور : وتقع على الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية ، على المحيط الهادي ، شمالها تقع كولومبيا ، وفي الجنوب والشرق تقع بيرو ، وسكانها ١٥ مليوناً تقريباً ، العاصمة كيوتو ، فماذا حدث لهذا البلد ، وماذا فُعِل به ؟ لقد دفع نحو الإفلاس ، كيف ؟ خلال ثلاثة عقود ارتفع معدل الفقر من نصف السكان إلى ٧٠% منهم ، البطالة ازدادت من ١٥% إلى ٧٠% ، ارتفع الدين العام من ٢٤٠ مليون دولار إلى ١٦ ملياراً فقط ، فأضحى هذا البلد المسكين يخصص قرابة نصف دخله لسداد الديون ، بل اضطر اضطراراً إلى بيع غاباته إلى شركات البترول ، واتضح أن هذا كان الهدف الرئيس من دفع الإكوادور نمو الإفلاس وإغراقها في الديون ، لأن غاباتها التي بيعت تحتوي على احتياطي نفطي ينافس مثيله في الشرق الأوسط .

واليوم فإنه من كل مائة دولار من هذا النفط تحصل الشركات الأمريكية على ثلاثة أرباعها ، أي ٧٥ دولارا فقط ، في حين يحصل البلد على ٢٥ دولار ، يذهب ٧٥% منها لسداد الديون والدفاع ومصروفات الحكومة ، ولا يتبقى للصحة والتعليم والبرامج التي تستهدف الفقراء غير دولارين ونصف فقط .

٢- جواتيمالا والتي تقع في أمريكا الوسطى ، وبالتحديد في الركن الجنوبي الشرقي من المكسيك التي تتموقع في أعلى القمة الشمالية لأمريكا اللاتينية ، والمحاذية جنوب الولايات المتحدة ، مساحة جواتيمالا (١٠٩) آلاف ك م ، السكان أقل من ١٥ مليون نسمة ، العاصمة مدينة جواتيمالا .

فماذا حدث لهذا البلد ؟ أواخر القرن التاسع عشر أنشئت شركة أمريكية لتجارة الفاكهة ، لكنها نمت وترعرعت لتصبح إحدى أدوات السيطرة على أمريكا

الوسطي ، فلها مزارع ضخمة في كولومبيا ونيكاراجوا وكوستاريكا وجامايكا وسان ديمينجو وجواتيمالا وبنما ، في خمسينات القرن الماضي انتخب أرينز رئيساً لجواتيمالا من خلال انتخابات حرة وديمقراطية تجري في البلاد لأول مرة ، وأعلن الرئيس الجديد عن برنامج للإصلاح الزراعي هدد مصالح هذه الشركة العملاقة ، وأوجد سابقة خطيرة في هذه المنطقة ، في مواجهة هذه الشركة .

وعليه فقد قامت قيامة الشركة ، فقادت حملة دعائية واسعة داخل بلادها ، ادعت أن أرينز ضالع في مؤامرة سوفيتية ضد الولايات المتحدة ، ثم تمكنت المخابرات الأمريكية عام ١٩٥٤ من تدبير انقلاب ضد الرئيس المنتخب ديمقراطياً ، وضربت الطائرات الأمريكية العاصمة ، وجيء بدكتاتور متطرف هو الكولونيل كالروس أرماس ، الذي ألغى على الفور الإصلاح الزراعي والضرائب على الاستثمار الأجنبي ، كما ألغى نظام الاقتراع السري في الانتخابات ، ثم وضع في السجن ما استطاع من المواطنين .

٣- بنما : وقد سبق الحديث عنها ، فيها أضيق يابسة بين المحيطين الهادي والأطلسي ، ومن ثم كانت القناة البنمية ، والتي تحظى بالرعاية الأمريكية الخاصة – كما سلف – لقد حظي البلد لأكثر من نصف قرن بحكم بعض العائلات واسعة الثراء ، وذات العلاقة الوطيدة مع الولايات المتحدة ، وعندما تجرأ الرئيس عمر توريجوس على الخروج عن النص مقتديا بأستاذه الأكاديمي ورئيس الإكوادور ، البروفيسور ولدوس كان نصيب الرجلين حادثي طائرة ، الأخير ١٩٨١/٥/٢٤ ، وتلميذه بعده بشهرين ٧/٣١ من نفس العام ، وانضم الرئيسان إلى قافلة طويلة من المغتالين أو المنقلب عليهم ، مصدق في إيران ، وسلفادور ألّندى في تشيلي ... إلخ .

وبرغم هذا كله اضطرت الولايات المتحدة في ١٩٨٩/١٢/٢٠ إلى غزو بنما بحجة إلقاء القبض على الرئيس (نوريبجا) ولم يشفع للرجل فساده وتجارته في المخدرات ، لعله لم يقل للغولة (عينك) حمراء ربما فكر في منامه أن ينظر إلى عين هذه الغولة .

بلد صغير مساحته (٧٧) ألف ك م ، سكانه آن الغزو أقل من مليونين ومع هذا دكت حاضرته ومدنه وأحياؤه وقتل آلاف المدنيين الأبرياء من المدنيين والولدان والنساء ، كما شرد آلاف غيرهم عن ديارهم .

في عام ١٨٣٣ أكد الرئيس (مونرو) حق الولايات المتحدة (الخصوصي) في الأمريكتين ، والذي يتمثل في غزو أي بلد في أمريكا الوسطى أو الجنوبية يرفض سياسات الولايات المتحدة ، كانت الراية في القرن الماضي التهديد الشيوعي ، والآن ترفع الراية ضد الخوف من التطرف والإرهاب .

٤- فنزويلا : والتي تقع في أقصى الطرف الشمالي لأمريكا الجنوبية ، مساحتها أقل من مليون ك م ، سكانها أقل من ثلاثين مليوناً لقد كان الدور على هذا البلد ، لكن العراق افتداه ، وشكل أولوية عليه في الغزو ، ماذا يُطمع فيك يا عراق ، ماذا يُطمع فيه ويُطمع إليه ؟

فيه النفط الوفير والماء النمير الكثير ، والموقع الاستراتيجي والسوق الواسعة للتقنية الأمريكية والخبرات الهندسية ، لقد بات واضحاً منذ ١٩٨٩ أنه برغم مساندة صدام حسين في حربه ضد إيران فإنه لن يسير على الخط الاقتصادي المرسوم ، ولعل الأهم من هذا كله أنه فشل في حربه ضد جيرانه في الشرق ، أو انتهى دوره بوقف إطلاق النار أو قبوله بوقف إطلاق النار ، فإن من أعان ظالماً ابتلى به ، ولعل الغرب وعلى رأسه الزعيمة الكبرى سوف تنقلب على كل من

يكلف بمثل ما كلف به صدام ، هذا جزاء سنمار الجاهز من الغرب لكل من ينتهي دوره .

في إحدى خطب الشيخ عبد الحميد كشك – رحمه الله – إبان اندلاع الحرب المدمرة بين العراق وإيران بدرت منه كلمات لم يك أحد يتصورها آنئذ ، لقد قال: " إن صدام حسين لو انتصر – لا سمح الله – على إيران ، فإن السندوتش الذي سيأكله بعد ذلك هو الكويت ... " .

أية بصيرة جاءت لهذا الرجل وكشفت هذه النبوءة ، والتي تحققت بالتمام والكمال – ١٩٩٢ – ليحتل صدام الكويت ضارباً بعرض الحائط كل توسلات القوى والفعاليات العربية والإسلامية الفاعلة .

على أية حال كان لا بد من احتلال العراق ٢٠٠٣ ، وإرجاء احتلال فنزويلا إلى أجل غير مسمى ، أو إلى وقت أنسب ، هذا البلد اللاتيني رابع مصدر للبترول في العالم ، وثالث مورد للولايات المتحدة ، لقد ساءت العلاقات بين البلدين ، عندما فرض شافيز سيطرة حكومته على النفط ٢٠٠٢ ، وحاول الأمريكان تدبير انقلاب على شافيز ، إلا أن الجيش أعاده بعد ٧٢ ساعة ، ولكن الولايات المتحدة لم تتمكن من التفرغ لشافيز لانشغالها بجبهتي أفغانستان والعراق .

وأخيراً يشير الخبير الاقتصادي بركنز إلى اللعب باللغة ، فالضرب الاقتصادي والخراب المستعجل يغلف بمفاهيم : (الحكم الرشيد – تحرير التجارة – حقوق المستهلك) فلا تصبح السياسات الاقتصادية مرضية إلا من خلال منظور الشركات الكبرى . أما الدول التي تبدي اقتناعاً بهذه المفاهيم فعليها أن تقوم

بخصخصة الصحة [1] والتعليم ، وخدمات المياه والكهرباء ، ومعنى الخصخصة أن تباع كل هذه الخدمات إلى الشركات الكبرى أو من يدور في فلكها ، كما أن عليها إلغاء الدعم على السلع والخدمات ، وإلغاء جميع أنواع الحماية للصناعة الوطنية والزراعة ، وغيرها من مؤسسات الإنتاج في البلد ، في حين على هذه الدول القبول باستمرار أمريكا و شركائها من الدول الصناعية الكبرى تقديم الدعم لقطاعات أعمالها وفرض القيود التي تحمي [2] صناعاتها .

هذه الإمبراطورية الكبرى لا تعتمد على ما سبق فقط ، بل أيضاً تعتمد على أن الدولار يلعب دور العملة القياسية الدولية ، فالولايات المتحدة هي الوحيدة التي يحق لها طبع الدولار ، ولا يقدم القرض لأية دولة إلا بهذه العملة ، وبما أن الدول في الغالب لا تستطيع سداد الديون الثقيلة ، وهو المطلوب ، تبدأ المفاوضات والمساومات لتركيع من يعجزون عن السداد .

١- في كينيا مثلاً تنفق الحكومة أقل من دولار واحد على الطفل المصاب بالإيدز ، في حين يخصص ١٣ دولاراً عن كل فرد لسداد الدين الحكومي .

٢- تماماً كما يحاولون منع الحمل في بلاد العالم الأخرى ، في حين يشجعون الزيادة السكانية بتقديم منح عند إنجاب الأطفال ، وكلما زاد عدد الأطفال زادت المنحة .

حتى تتبع ملتهم

الأحـداث المزلزلـة فـي لبنـان وفلسـطين والعـراق وأفغانسـتان والسـودان والصومال وكوريا . . . الخ الخ وغيرها وغيرها ، كل هذا ذكرني بقول المولى جل وعلا : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير [1]) .

ولن نغوص مع القارئ في كتب التفسير وأسفاره ، لكنا سنتكئ على اللغة فقط ، في كلمتين محددتين ، هما : (ملتهم – أهواءهم) ؟ معناهما واحد تقريباً ، كيف ؟ معنى الكلمة الأولى (ملتهم = سنتهم وطريقتهم) في الحياة .

لقد كان سيد الخلق – صلى الله عليه وآله وسلم – يجتهد ما وسعه الجهد مع هـؤلاء القـوم (اليهـود والنصـارى) لإقنـاعهم بملـة الإسـلام لخـالق السـماوات والأرضين ، ولكنهم كانوا يعرضون دائماً ويتأبون ، ما كان يحزن سيد العرب والعجم ، في التنزيل : (فلعلك باخع نفسك) قاتلها هما وغماً ، لماذا أنت يا رسول قاتل نفسك (على آثارهم) ؟ يقول المولى في تكملة الآية : (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) هذا في بداية سورة الكهف ، الآية السادسة .

وفي بدء الشعراء ومفتتحها ذات المعنى : (طسم ، تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) .

ومن طريف ما يذكر أو يقال أن هذه المادة : (ب خ ع) لم ترد في القرآن الكريم ، لا فعلاً ولا مصدراً ، ولا مشتقاً إلا بهذه الصيغة الفريدة (باخع) اسم فاعل من بَخعَ .

١ـ ١٢٠ البقرة .

إذن فهم لا يستجيبون يا محمد ، لأن الحجة تنقصهم ، أو البرهان يعوزهم ، بل هم لا يريدون إلا ملتهم هم فقط ، طريقتهم وسنتهم في الحياة ، ولن تنال رضاهم إلا بعد أن تتبع ملتهم ، ولكن حذار يا محمد أن تتبع أهواءهم ، أي ما يريدون وما يهوَوْن ، إنك بهذا تفقد نصر الله وولايته .

ذكرتني هاتيك الآيات بمقولة كبيرهم وزعميهم : (من ليس معنا فهو علينا) فعلى العالم كله أن ينساق خلف (ملتهم وأهوائهم) في عالم جديد ، شرق أوسط جديد ، ديمقراطية ، حرب على الفقر والفساد والدكتاتورية وسائر صنوف الاستبداد ، ثم العولمة وعالم العوالم ، القرية الكونية الصغيرة والرفاهية والازدهار . . . الخ ثم بعد هذا كله أو قبله حرب على الإرهاب .

وكل هذه شعارات لم تعد براقة تخفي وراءها مشروعاً ، ظاهره أقول ظاهره قد يكون فيه شيء من الرحمة أو المعقولية ، ولكن في باطنه الويل والثبور وعظائم الأمور ، ودفن الشعوب في الرموس والقبور ، كيف ؟

على سبيل المثال لا الحصر والاستقصاء ، شعار الإصلاح الاقتصادي ، إنه يعني ويهدف في النهاية ، ويسير بخطى متسارعة جبارة نحو تحقيق أهدافه ، وهي :

١- تحطيم مؤسسات المجتمع الذي تعب وشقى وبخع نفسه من أجلها ، وذلك ببيعها للأجانب والغرباء ومن لف لفهم ، وتعلق بذيولهم ، وبرخص التراب ، وبأثمان تتأبى على الوصف بأنها أبخس أو أقل ، لتباع بعد ذلك بالمليارات .

ليس المصانع والمعامل والشركات والمؤسسات الوطنية في البلد ، بل في الطريق أيضاً المستشفيات والمدارس والجامعات ، وفي وقت قريب تقام سوق

النخاسة للبشر ليباعوا ، لا كالرقيق في السابق ، بل بشكل لا مثيل له في الذلة والهوان ، والقهر والإذلال .

٢- ومن المشاريع الطموحة في الإصلاح الاقتصادي والتي يصر عليها المستكبرون في هذا العالم وسدنته هو حظر التوظيف ، وحصره في طوائف ثلاث : (الشرطة – القضاء – السلك الدبلوماسي) فقط ، فقط ؟ والباقون من المدرسين والمهندسين والأطباء والصيادلة ، وسائر كوادر المجتمع ؟ لسوف يلقى بهم إلى الشوارع وطوابير البطالة حتى تسهل قيادتهم ، ويخضعوا تماماً ، ويتبعوا ملتهم وأهواءهم ، ومن عجيب ما سمعت أن بعض الأصوات تنادي بخصخصة القضاء ، الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه .

وقد كنت أستمع في إحدى الجلسات إلى أحد المستشارين الاقتصاديين ، يقول بالنص بأن المشكلة أمام الإصلاح الاقتصادي تكمن في التخلص من موظفي البلد ، كيف نتخلص منهم ؟ خطة ذات ثلاثة محاور ، الأول التقاعد المبكر ، وهذا الحل برغم العدد الكبير من الموظفين الذي أسعد بلده وجعلها تطير فرحاً بخروجه على المعاش ، وهو في عز شبابه وحيويته وعطائه ، يقول سيادته ؛ برغم هذا فإن هذا المحور ليس كافياً .

والمحور الثاني أن ننتظر همة عزرائيل ورجاله في التخلص من هذا العدد الهائل من الموظفين ، ولكن يا للأسى والحزن والأسف ، إن المَلك لا يسعفنا في قبض أرواح هؤلاء الموظفين ، ومن ثم سوف نجد أن المشروع الجديد يضع في تخطيطه وتنفيذه أن يساعد (عزرائيل) في قتل هؤلاء المساكين ، وهذا له عود فيما بعد .

أما المحور الثالث فهو حظر التوظيف ، مهما تفوق المرء ، ومهما كان لديه من كفاءات إلا أن يُتحف بالمحسوبية أو أن يدفع بالتي هي أحسن ، بل سوف يقتصر التعيين أو العمل على المحاسيب فقط ، أو من يمت لهم بصلة ، وإذا مست الحاجة أو دعت الضرورة لتعيين أحد ، فسوف يكون هذا لسنوات قلائل ، يعود بعدها إلى نوادي العاطلين المكتظة بروادها .

٣- وانظر إلى الديمقراطية في العراق الجريح أو في أفغانستان - مثلا مثلا - قتل الأبرياء يومياً ، وإصابتهم فقط في المقتل ، وبالعشرات ، بل بالمئين والمئات ، الأبرياء فقط ؛ كلا كلا ، بل كوادر المجتمع وأسسه ، العلماء والباحثون والأطباء والمهندسون والإعلاميون ، وكل هذا دعماً للديمقراطية ، أو قل معاونة لملك الموت الذي لا يسعفهم في قبض أرواح المساكين .

أما الحرب الأخيرة – أو قل حرب الإبادة – على الشعب العربي في فلسطين ولبنان ، ليست اعتداء قط ، بل هي للدفاع عن النفس ، هم يوقدون نيرانها لإبادة الشعب العربي الأبي وتركيعه ، يطلبون من المعتدي أن يستمر ويستمر ، يعطونه الذخائر الحارقة الخارقة ، ليقلب لبنان الشقيق رأساً على عقب ، ولتدميره تدميراً كاملاً ، لا تقوم له قائمة بعد ذلك ، لا في المستقبل المنظور ، أو غير المنظور .

كل هذا ليس خدمة لليهود ليعيشوا آمنين مطمئنين في فلسطيننا ، ولكنهم يستخدمون هؤلاء اليهود أداة ومخلباً لقتل الناس وتدميرهم ، حتى لا يسلم البشر ولا الشجر ولا حجر ولا مدر من أيديهم ، ولا يفلت .

إن حرب تموز – يوليو ٢٠٠٦ – قد أزالت عن عين الشعب العربي غشاوات وادعاءات كثيرة وكثيفة ، إن إقامة دولة لليهود في فلسطين لم يك عطفا

على الشعب اليهودي أو خدمة له ، بل كان خنجرا في صدر العالم العربي ، ليستمر الصراع بين اليهود وبين العرب لمئات مئات السنين ، يُقصم ظهر الشعبين ، كل منهما بيد الآخر .

وتبقى أوربة سالمة ، تستحي أبناءها وأطفالها ونساءها وتقتل أبناءنا وأطفالنا ونساءنا بسلاح وبيد غيرها ، بيوتهم وحصونهم ومؤسساتهم تبقى سالمة حصينة ، في حين تهدم بيوتنا وحصوننا على رءوس النساء والشيوخ والولدان الذين لا يجدون حيلة ولا مفراً من الحرب ، ولا يهتدون سبيلاً بعيدا عنها أو عنها نائياً وقصياً .

وهكذا يصبح وعد بلفور (١٩١٧) بإقامة وطن قومي لليهود مشروعاً لصراع بين الشعبين يمتد أجيالا وأجيالا ، ويقع اليهود في الفخ ، وتنطلي عليهم الحيلة الماكرة ، وإن كان الأمل أن يخرج من بين هؤلاء زعيم عاقل يدرك أبعاد هذه المؤامرة التي حيكت لهم ولنا .

إن مائة عام من الصراع معنا يجب أن تكون كافية في إفهام الشعب المحتل لأرضنا أن هذا الوطن مهما كان فيه من عسل ومنٍّ وسلوى لا يساوي شيئاً إذا افتقد الناس فيه الأمن والأمان والطمأنينة ، وما يقومون به ضد الشعب العربي في فلسطين ولبنان وغيرهما لا يمكن أن يجلب لكم شيئاً من أمان أو طمأنينة .

٤- آخر ما يشار إليه من المشروع الغربي (الأوربي – الأمريكي) في الإصلاح هو حقوق المرأة ، أي على ملتهم وأهوائهم ومراداتهم ، لتصبح المرأة العربية على النسق الأوروبي الكامل ، وتحطم جميع القيود أمامها ويطلق لها العنان في كل شيء ، ولتحتنك - تستولي على - مكان الرجل في الوظائف والمناصب ، فتجد الأم المسكينة والتي قاربت سن التقاعد تهرول

مجهدة إلى عملها ، في حين ينام أبناؤ ها الشباب في البيت كالعوانس لا يجدون وظيفة ولا عملاً ،ولا يهتدون سبيلا .

فهذه حقوق الإنسان التي يتشدقون بها ، يقول عنها أحد الكتب المُدَّرسة غصباً وعنوة وبالقوة والعافية : (وقد حاول الأدب القانوني أن يشيد نظرية عامة لحقوق الإنسان ، تَخِف عنها قبضة العواطف والعقائد ، لتحل محلها قواعد قائمة على أسس وطيدة غير مزعزعة ، مستمدة من التجربة الواقعية) .

انظر إلى الهدف من نظرية حقوق الإنسان ، إنه :

- تخفيف قبضة العواطف والعقائد ، ومنها الإسلامية ، أو قل على رأسها .
- إقامة قواعد عامة على أسس غير مزعزعة ، أي من العواطف والعقائد ، غير مستمدة منها ، ولكن من التجربة الواقعية ، من ملتهم وأهوائهم .

هذا هو الفكر الأوربي والأمريكي الذي يعلى شعار : (من ليس معنا فهو علينا) ولا يرضون عنا إلا أن نتبع ملتهم وإرادتهم ، لا يريد بالعالم إلا الخراب والدمار ، وإن تحت عناوين لم تعد تنطلي إلا على أذنابهم ومن لف لفهم ، وسار ذيلا خلف ركابهم ، أين هذا كله من ملة الإسلام ؟! حيث يعلن الكتاب الكريم هذي المبادئ السامية السامقة :

١- لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي [١] – فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء [٢] فليكفر .

٢- لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين

١- ٢٥٦ البقرة .
٢- ٢٩ الكهف .

قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون [١] .

إن الله لا ينهانا أن نعامل أو نعترف بأعدائنا ، بل لا ينهانا عن برهم والإحسان إليهم ، وأن نقسط إليهم ونقيم العدل معهم ، هذا ليس فيه غضاضة أو كراهة ، وإنما ينهانا ربنا فقط عن تولي ونصرة من يقاتلنا أو يخرجنا من ديارنا ، في هذه الحالة فقط لا نميل إليهم ، ولا ننصرهم على المسلمين أو المظلومين .

وأوربة وامتدادها الأمريكي قد قاتلونا ، وأخرجونا من ديارنا ، وظاهروا على إخراجنا ، بل خططوا لزرع هذا الخنجر في قلب العالم العربي .

ثم أمدوه بشتى صنوف الأسلحة والدعم والمؤازرة ، لا لكي يعيش آمناً في قلب وطننا ، بل ليشن حروب الإبادة علينا ، تبدأ ولا تنتهي إلا برصاصة رحمة على هذا الوطن العربي ، ليموت ويدفن فلا تقوم له قيامة حتى تقوم الساعة .

والآن بعد هذه الاستطرادة نعود إلى موضوعنا وكلامنا ، بعد أن قارنا بين الروح العربية التي تقبل الآخر أي آخر ، بل تواده وتقسط إليه ، وبين الروح الأخرى التي تعلي شعار (من ليس معنا فهو علينا) ولهذه الروح العربية الطيبة اختار الله العرب لحمل آخر رسالة من السماء العلى إلى الأرضين ، تلك الروح السامية التي صقلها وثقفها هذا الدين الخالد ، هذه الروح أيضاً هي التي كانت السبب المهم والرئيس لنشر لغتنا وديننا بين أركان العالم وأرجائه ، وجعل لنا - نحن العرب – هذا التأثير الواضح في الشعوب الأخرى ، برغم أننا لم نغزهم قط ولم نفتح ديارهم .

٣- ٨ ، ٩ الممتحنة .

لقد فتحت هذه الروح العربية الطيبة القلوب واشترتها وملكتها ، قبل أن تفتح البيوت والجدران والحصون والحيطان ، إنها روح الاعتراف بالآخر وقبوله التعامل معه بالود والقسط والعدل والمحبة .

انظر – قارئي الكريم – إلى قوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه ، و هو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد [١] . . .) .

ترى ماذا يفعل الغرب – أوربة وأمريكا – غير إهلاك الحرث والنسل ، هو الفساد بعينه وبشحمه ولحمه ، وظاهره وباطنه ، ومن ثم كان تهديد الله للمسلمين وتحذيره لهمُ : (فهل عسيتم – إن توليتم – أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم [٢]) ولله الأمر من قبل ومن بعد ، والآن آن لنا أن نعود – والعود أحمد – لما غادرنا من سطور بعد أن قلنا شيئاً مما يعتمل ويمور في القلوب والصدور .

٢٠٠٦/٨/١٤

الاثنين يوم وقف إطلاق النار على لبنان

د. أحمد مصطفى أبوالخير

رئيس قسم اللغة العربية بتربية دمياط

١ـ ٢٠٤ ، ٢٠٥ البقرة .

٢ـ ٢٢ محمد .

